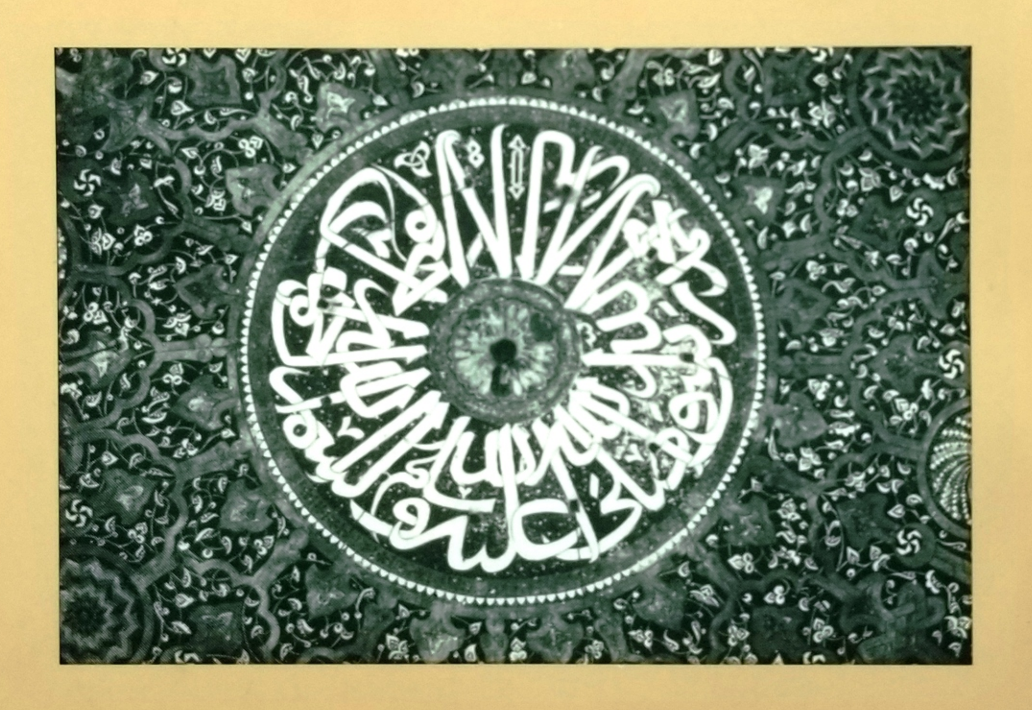
المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية

سلسلة الدراسات المترجمة – ٥

دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي



ترجمة و تقديم: د. نهى صادق

YEMEN RESEARCH SERIES:
Translations of Western Language Research into Arabic
Volume 5

Studies in the Medieval History of Yemen
(translated and introduced by Noha Sadek)

Blackburn, J.R. "Two Documents on the Division of Ottoman Yemen into Two *Beglerbegiliks* (973/1565)," *Turcica* 27 (1995), 223-36.

King, David A. "The Medieval Yemeni Astrolabe in the Metropolitan Museum of Art in New York City," *Zeitschrift für Geschichte der Arabisch-Islamischen Wissenschaften* 2 (Frankfurt-am-Main, 1985), 99-122.

Lewick, Nicholas. "The Mint of Sanâ," in *Sana: An Arabian Islamic City* (edited by R.B. Serjeant and R. Lewcock; London: World Festival of Islam, 1983), pp. 303-309.

Madelung, W.F. "The Origins of the Yemenite Hijra," in *Arabicum Felix: Luminosus Britannicus: Essays in Honour of A.F.L. Beeston on his Eightieth Birthday* (edited by Alan Jones; Reading: Ithaca Press, 1991), pp. 25-44.

Porter, Venetia. "Enamelled Glass Made for the Rasulid Sultans of the Yemen," in *Gilded and Enamelled Glass from the Middle East* (edited by Rachel Ward; London: The British Museum, 1998), pp. 91-95.

Sadek, Noha. "Notes on the Rasulid Historian al-Hazraðî's Career as A Craftsman," *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 27 (1997), 231-33.

Serjeant, R.B. "The Ports of Aden and Shihr (Medieval Period)," *Recueils Société Jean Bodin* 32 (1974), 207-24.

Serjeant, R.B. "Yemeni Merchants and Trade in Yemen, 13th-16th centuries," in *Marchands et hommes d'affaires asiatiques dans l'Océan Indien et la Mer de Chine 13e-20e siècles* (edited by D. Lombard and J. Aubin; Paris: Editions de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales, 1988), pp. 61-82.

Smith, G. Rex. "The Yemenite Settlement of Tha'bât. Historical, Numismatic and Epigraphic Notes," *Arabian Studies* 1 (1974), 175-88.

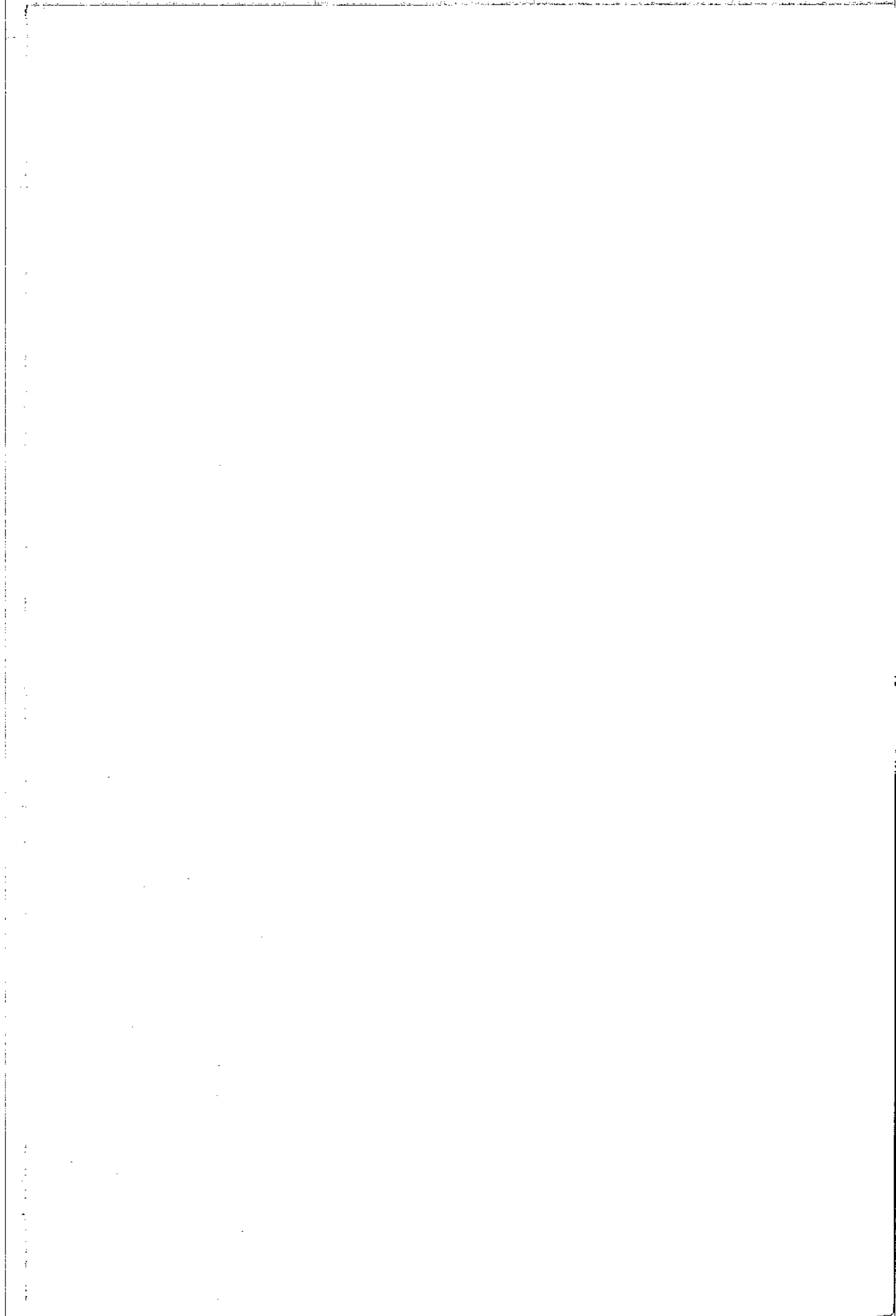
Smith, G. Rex. "Some Observations on the Tahirids and Their Activities in and Around Sanaa (858-923/1454-1517)," in *Studies in History and Literature in Honour of Nicola Ziadeh* (edited by I. Abbas et al.; London: Hazar Publishing Ltd, 1992), pp. 29-36.

Varisco, Daniel Martin. "The Almanac Tradition in Yemen," *Medieval Agriculture and Islamic Science: The Almanac of A Yemeni Sultan* (Seattle: University of Washington Press, 1994), pp. 3-19.

AIYS/US: P.O. Box 311, Ardmore, PA 19003-0311; AIYS/Yemen: P.O. Box 2658, Sanaa, Yemen
http://www.aiys.org; aiysyem@y.net.ye

Published with the assistance of a grant from the Bureau of Education and Cultural Affairs, U.S. Department of State

ISBN: 1-882557-09-3





دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي

ترجمة و تقديم: د. نهى صادق

المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية

٢٠٠٢

المحتوى:


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

تقديم

يرجع اهتمام العلماء والباحثين الغربيين بالدراسات اليمنية إلى ما يزيد عن قرنين من الزمن. وارتبط هذا الاهتمام إلى حد كبير بتواجد عدد كبير من المخطوطات اليمنية في المكتبات الغربية، فيكفينا أن نلقي نظرة على كتاب **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** لأيمن فؤاد سيد لنتعرف على أنواع المخطوطات المحفوظة في مكتبات بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وغيرها[١]. ونذكر هنا على سبيل المثال وليس التعداد أحد أوائل هؤلاء العلماء من القرن ١٨م، وهو المستشرق الفرنسي Silvestre de Sacy الذي صاغ باللغة الفرنسية كتاب **البرق اليماني في الفتح العثماني** لقطب الدين النهروالي ونشره في سنة ١٧٨٨[٢]. وقد تبعه آخرون في تحقيق مخطوطات أخرى، مثل H.C. Kay الذي حقق كتاب **تاريخ اليمن** لعمارة الحكمي ونشره في أواخر القرن ١٩م، وكل من J.W. Redhouse ومحمد عسل اللذان قاما بتحقيق وترجمة كتاب **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** للخزرجي في السنوات ١٩٠٦-١٩١٨. ويمكننا القول أن هاذين المصدرين كونا الركيزة الأساسية التي اعتمد عليها باحثو تاريخ اليمن الإسلامي في العصر الوسيط. كما ضمت المتاحف الغربية مجموعات من المسكوكات والتحف اليمنية، وهي الأخرى حازت باهتمام العلماء منذ القرن ١٩م كما تبين أقدم دراستان مفصلتان عن مسكوكات بني رسول أولهما ل:

Prideaux نشرت في سنة ١٨٨٣-١٨٨٥، والثانيـة من تـأليف Nützel ونشرت في سنة ١٨٩٢. بالإضافة إلـى Van Berchem الـذي درس لأول مرة في سنة ١٩٠٤ مجموعة من الأواني المعدنية والزجاجية التـي صنعت لسلاطين بني رسول. والهدف هنا ليس عرض لتاريخ الدراسات اليمنية في البحث الغربي، وإنما الإشارة إلى بعض النماذج المهمة منها. ويقدم هذا الكتـاب، وهـو الخـامس فـي سلسـلة الترجمـة التـي يصدرهـا المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، ١١ بحث باللغة الإنجليزيـة لبـاحثين متخصصين في تاريخ اليمن في العصر الإسلامي لتعرف القارئ العربي على اهتماماتهم وأساليب المنهج العلمي والمصادر التي اتبعوها.

تميز اليمن بوجود هجر للعلم مما جذب اهتمام العلمـاء مثـل مادلونج الـذي كـرس العديد من دراسـاته حول تـاريخ وفكـر الزيديـة[٣]. ويناقش في مقاله هنا مفهوم الهجرة في اليمن وتطورها مركزاً بالأساس على هجر المطرفية. وأدى موقع اليمن الإستراتيجي إلى نشـاط التجـارة وتطورها على مر العصور، وهو ما تعكسه مقالتا سارجنت عن المواني والتجارة. ويلاحظ حرص سارجنت، الذي كرس أكثر من نصـف قـرن لدراسة تاريخ اليمن وآدابه وعادات أهله، على الربط بين ملاحظاته عن نظم المواني التي جمعها أثناء إقامته في عدن وحضرموت وبين الوثـائق والمصادر التاريخية[٤]. وكان سارجنت من أوائل الذين انتبهوا إلى أهميـة كتاب **ملخص الفتن** الـذي يتنـاول الإدارة والجمـارك فـي عصـر الدولـة

الرسولية كوثيقة اقتصادية وتاريخية. أما سميث فقد جمع هو الآخر بين ملاحظاته الشخصية لقرية ثعبات التي زارها في السبعينات وبين دراسته لتاريخها في فترة بني رسول. ويعرض مقاله عن بني طاهر محاولتهم للسيطرة على صنعاء وصراعهم مع الإمام الزيدي[٥]. ويقدم بلاكبرن دراسة مفصلة وترجمة لوثيقتين عثمانيتين عن مشروع تقسيم اليمن إلى ولايتين في سنة ١٥٦٥/٩٧٣، مبيناً كيف تبلور هذا المشروع نتيجة لأطماع الولاة العثمانيون، وتوافق هذا التقسيم مع توسعات الدولة العثمانية في منطقة البحر الأحمر[٦].

وإلى وقت قريب كان المتحف البريطاني بلندن يضم أحد أكبر المجموعات من المسكوكات اليمنية وخاصة الرسولية منها في المتاحف الغربية. وتتركز دراسة لويك على نشاط دار ضرب السكة في مدينة صنعاء بحكم أهميتها على مر العصور. وعلى الرغم من قلة النقود المسكوكة باسم الملك الأشرف عمر بن يوسف ثالث سلاطين بني رسول نظراً لقصر مدة اعتلاءه العرش، فإنه يوجد عدد من مخلفات أخرى تنسب إليه، منها كتاب في علم الفلك ورسالة في العمل بالأسطرلاب، وكذلك أسطرلاب صنعه في سنة ١٢٩١/٦٩٠. وشكل هؤلاء الثلاثة مواضيع للدراسة من قبل كل من فارسكو وكينج. فقام الأول بتحقيق ودراسة متعمقة لتقويم في رسالة الملك الأشرف **التبصرة في علم النجوم**. وهذا التقويم الذي يعتبر أهم التقاويم الرسولية بحكمه أقدمها،

يحتوي على معلومات قيمة عن الدورة الزراعية في اليمن والأحوال الجوية[٧]. ويقدم كينج أول دراسة مفصلة عن أسطرلاب الأشرف عمر بالإضافة إلى مناقشة رسالته في الأسطرلاب[٨]. واعتنت بورتر[٩] بمناقشة تحف رسولية وهي أواني زجاجية صنعت للسلاطين الرسوليين في الورش المملوكية في الشام ومصر. والجدير بالإشارة أن هذه التحف تضم قنينتين باسم السلطان الأشرف عمر. كما ناقشت الباحثة ظهور واستخدام الشعار الخاص بالسلاطين على هذه التحف. أما كاتبة هذه السطور فركزت على فترة من حياة مؤرخ الدولة الرسولية أبو الحسن علي الخزرجي عندما شغل منصب مقدم المزخرفين، وعلى ما احتوته المصادر من معلومات يمكنها أن تلقي ضوءاً على بناء المساجد والمدارس في الفترة الرسولية وعلى العاملين في عمارتها[١٠].

د. نهي صادق



الحواشي:

[1] وهناك أيضاً كتاب الدكتور حسين العمري، **مصادر تاريخ اليمن في المتحف البريطاني**.-دمشق.-دار المختار، ١٩٨٠.

[2] نشر تحت عنوان:

"La Foudre du Yémen, ou Conquête du Yémen par les Othomans". *Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale* IV (1788), pp. 412-504.

[3] من ضمن مؤلفات ولفرد مادلونج:

Der Imam al-Qasim b. Ibrahim. Berlin, 1965.

[4] هناك قائمتان لمؤلفات سارجنت:

Pearson, J.D. "Published Works of Robert Bertram Serjeant", in R.L. Bidwell & G.R. Smith (eds.) *Arabian and Islamic Studies. Articles presented to R.B. Serjeant on the occasion of his retirement from the Sir Thomas Adams's Chair of Arabic at the University of Cambridge*. London & New York, 1983, pp. 268-82.

Kon, Ronald E. "Bibliography of Robert Bertram Serjeant", *New Arabian Studies* 3 (1996), pp. 69-78.

[5] يقوم ركس سميث حالياً بمشروع ترجمة كتاب ابن المجاور **صفة بلاد اليمن**. وقد طبعت أهم مقالاته عن اليمن في مجلد تحت عنوان:

Studies in the Medieval History of the Yemen and South Arabia. Aldershot, UK: Variorum Reprints, 1997.

[6] ركز ريتشارد بلاكبرن على الفترة العثمانية الأولى في عدد من مقالاته.

[7] كتب فارسكو عدة مقالات عن التقاويم والزراعة في عصر بني رسول، وجمعت مقالاته في المجلد:

Medieval Astronomy in Medieval Yemen: A Bibliography in Arabia and the Yemen. Aldershot: Variorum, 1997.

[8] ألف كينج مرجع بيبليوغرافي عن علم الفلك في اليمن:

Mathematical Astronomy in Medieval Yemen: A Bibiliographical Survey. Malibu: Undena Publications/ARCE, 1983.

[9] تقوم فينشيا بورتر بإعداد كتاب عن عصر بني طاهر.

[10] تعد نهى صادق كتاب عن عمائر بني رسول.

أصول الهجرة اليمنية*

و.ف. مادلونج

أن مصطلح ومفهوم الهجرة في العرف اليمني الحديث الذي يعني بالأساس منطقة قبلية محمية حظي مؤخراً باهتمام العلماء، فأقترح بعضهم أن الهجرة بهذا المعنى مؤسسة قبلية ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام[1]. وتم ربط مصطلح الهجرة بكلمة ''هجر'' التي تعني قرية رئيسية أو مدينة في اللغة الحميرية ثم في اللغة العربية باليمن في الفترة الإسلامية. والمصطلحان يعنيان نفس المعنى الأساسي لمستوطنة محمية. وفي الحقيقة أن مصطلح الهجرة في اليمن لا يعود إلى أصول قبلية قديمة وإنما أدخله الشيعة الزيديين. إذ إن مفهوم الهجرة لديهم هو الهجرة أو النزوح من أرض الآثمين والظالمين أي السنة الغير الشرعيين وكل من أغتصب الحكم وولاية الأمة الإسلامية وعلى هذا فهي واجب ديني، وذلك قبل إقامة الإمامة الزيدية في اليمن في سنة ٨٩٧/٢٨٤. وكتب كل من الإمام القاسم بن إبراهيم (ت ٨٦٠/٢٤٧) جد الإمام الهادي وعمه محمد بن إبراهيم رسائل تحث أتباعهما على هذا الواجب المرتكز على ما أمره القرآن بالهجرة للمسلمين الأولين من بلاد الوثنية[2]. وبعد نجاح الهادي في تأسيس الإمامة الزيدية، اصبح واجب الهجرة أكثر

* مترجم عن:

Madelung, W.F. "The Origins of the Yemenite Hijra," *Arabicus Felix: Luminosus Britannicus. Essays in Honour of A.F.L. Beeston on His Eightieth Birthday*, ed. Alan Jones. Reading, 1991, 25-44.

إيجابياً، فكان الانضمام للإمام الشرعي وتـأييده مثل انضمـام مـهاجرين مكة إلى الرسول (ص) في المدينة. ولذا صار أتبـاع الـهادي من خـارج اليمن، وخاصة أهل طبرستان الذين انضموا إليه، يلقبون بالمهاجرين.

وبعد دخول المفهوم الزيدي للهجرة اليمن، أصبح هذا المصطلح يشير إلى أماكن محددة يعيش فيها الزيديون وفقاً لقانونهم وشعائرهم الخاصة بدون أي تدخل خارجي. وبالإمكان تحديد فترة تطور هذا المعنى المحلي للهجرة. ولا يذكر الهمداني، الجغرافي اليمني الكبير الذي كان شاهداً دقيقاً للعادات القبلية في اليمن في القرن ٤/١٠، أي موضع يسمى هجرة في وصفه التفصيلي لليمن. ومن الواضح أن مصطلح ''هجرة'' بمعنى مكان أو مؤسسة قبلية لم يكن معروفا عنده. في حين ذكر ياقوت، الذي ألف كتابه **معجم البلدان** بين ٦٠٩-١٢١٢/٦٢٦-١٢٢٩ وكان أقل معرفة باليمن، عدة أماكن تسمى ''هجرة''. ووصف الهجرة اليمنية ''كمكان مثل الخانقاة سكنها المصلون وأهل العلم''[٣].

أما كلمة ''هجر'' فكانت معروفة لدى الهمداني الذي وصفها بأنها قرية في اللغة الحميرية ولغة العرب العاربة، كما أنه ذكر عدة مدن تحمل هذا الاسم[٤]. ويتضح دلالة اللفظ عن قرية كبيرة في وصفه لنجران: ''والهجر وهي القرية الحديثة والهجر القديمة موضع الأخدود''[٥]. وهذا المعنى للهجر يؤكده نشوان الحميري (ت

(١١٧٧/٥٧٣) ''هجر القوم موضع عزهم واجتماعهم''[٦]. ويتضح أن الكلمة كانت متداولة في نفس الوقت الذي أدخل فيه مصطلح ''هجرة'' ليشير إلى موقع. وعلى سبيل المثال، ذكر يحيي بن الحسين بن المنصور الله في كتابه **غاية الأماني** هجر الهراثم في سنة ١١٥٢/٥٤٧ وسنة ١١٩٩/٥٩٥ ، وهجر بني قتيل في بلاد حمير في سنة ١٢٥٤/٦٥٢[٧]. ومن الواضح أنها كانت القرى الرئيسية لقبائل الهراثم وبنو قتيل، ولكن لم يذكرهما الهمداني، على الأقل ليس بهذين الاسمين. ومن المحتمل إنهما أسستا أو تم تسميتهما في فترة لاحقة لعصره. ولا يوجد أي تضارب في المصادر حول تسمية مكان ''هجر'' أو ''هجرة'' إذ يشير المصطلحان إلى مفهومين مختلفين. ففي حين أن هجر هو مركز حكم القبيلة وسلطتها، فإن هجرة في العرف القبلي المتأخر تعني مكان محصور ومحمي لا يخضع لحكم القبيلة، ويحكمها أشخاص لا ينتمون إلى القبيلة وفقاً لقانون المذهب الزيدي. والحماية التي يتضمنها المفهوم القبلي للهجرة يشمل حمايتها من أي تدخل للقبيلة التي تقع الهجرة في أرضها.

ومن الممكن دراسة تطور المفهوم الزيدي للهجرة ونشأتها في اليمن من خلال المصادر التاريخية، وبالتحديد سير الأئمة الزيديين والأجزاء المتبقية من كتاب **أخبار الزيدية** لمسلم اللحجي[٨]. وتتوقف هذه الدراسة عند تاريخ وفاة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في سنة ١٢١٧/٦١٤، وهو تاريخ قريب من تاريخ كتاب ياقوت الحموي. وفي

السير الثلاث للأئمة الزيدية التي كتبت قبل نهاية القرن ١٠/٤، لا تشير كلمة ''هجرة'' إلى مواقع معينة. كما أن أسماء عدد كبير من الأماكن التي سكنها العلويون الزيديون والأراضي والقلاع الخاصة بالأئمة المذكورة في هذه السير لا تقترن بكلمة هجرة. وتعني كلمة هجرة في هذه المصادر الانضمام إلى الإمام الشرعي في اليمن. وفي سيرة الهادي ذكر المؤلف علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي هجرته من المدينة إلى صعدة للانضمام إلى الإمام في ذو الحجة سنة ٢٨٥/ديسمبر ٨٩٨ - يناير ٨٩٩[٩]. وقد وصف اتباع الهادي الذين لحقوا به من طبرستان ''من هاجر إليه من الطبريين'' أو ''المهاجرون من الطبريين''[١٠]. وكان هؤلاء المهاجرون الطبريون أكثر أتباع الهادي إخلاصاً له كما كانوا من العناصر الأساسية في جيشه[١١]. وذكر عبد الله بن عمر الهمداني مؤلف سيرة ابن الهادي أحمد الناصر لدين الله (٣٠١-٣٢٢/٩١٣-٩٣٤) مراراً المهاجرين كعنصر مهم في جيش الإمام.[١٢] ومن الأرجح أن أغلبهم كانوا من الطبريين والعلويين مثلما كانوا في فترة حكم الهادي. وتوجد عدة رسائل من أحمد الناصر موجهة إلى أهل طبرستان من الزيدية[١٣] تناشدهم على مساعدته في اليمن، ويذكرهم فيها بواجبهم للهجرة ويثني على إخوانهم المهاجرين الذين انضموا إليه، كما يذكر تعهده بالحفاظ على دار الهجرة بمعنى حكم الزيدية في اليمن وليس مشيراً إلى مكان محدد. إلا أن جهوده لتجنيد مهاجرين من طبرستان باءت بالفشل. وفي رسالة الوداع إلى أهل طبرستان شكا بمرارة أن القليلين الذين لبوا دعوته تصرفوا مثل المرتزقة وتخلوا عنه.

وفي سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني (٣٨٩-٣٩٣/٩٩١-١٠٠٣) للحسين بن احمد بن يعقوب الهمداني، تعني كلمة هجرة الانضمام إلى الإمام الحق ومساندته. وبما أن المنصور كان يعيش في البداية في "ترج" بالحجاز مع قبيلة خثعم، فإن أول المهاجرين المذكورين في سيرته كانوا من القبائل اليمنية الذين لبوا دعوته وأتوا بالزكاة التي جمعوها من أهل اليمن، ثم رافقوا الإمام في رحلته إلى اليمن[١٤]. وقد ميزت سيرة المنصور بين أتباعه من بني سليمان من سفيان من بكيل وبين أتباعه المهاجرين من أماكن أخرى بعد استقراره في عيان[١٥]. وكان المهاجرون الذين انضموا مبكراً للإمام من أقرب أتباعه. فيذكر مؤلف السيرة أسماء ثلاثة منهم قتلوا أثناء معركة أنهم "من أقدم أصحابه هجرة إليه"[١٦]. وقد اهتم المنصور أيضاً بتشجيع هجرة مؤيديه حيث كان يأمل أن ينضم إليه العلويون من أنسابه في الحجاز، فكتب شعراً بعد انتصار في اليمن قائلا: "وأني لا أهوى أن يكونوا بأرضنا / إلى هجرة محروسة بالبصائر"[١٧]، معبراً عن رغبته في أن يبصروا واجبهم في الهجرة إليه. ولكن لم يجذب نداءه إلا القليل من العلويين من ضمنهم القاسم بن علي الزيدي الذي عينه والياً على أراضيه في جنوب صنعاء[١٨]. وعندما خانه القاسم الزيدي، قال المنصور عنه أنه أتى من الحجاز بدون طاعة أو محبة أو هجرة صادقة[١٩]. وأراد الإمام أيضا أن يشجع الزيدية في طبرستان على الانضمام إليه، فطلب من الحسين بن أحمد أن يكتب لهم رسالة باسمه

يذكرهم فيها بتأييد أسلافهم لأجداده الأئمة ويطلب منهم أن يتركوا أقاربهم وأن ينضموا إليه. وأضاف الإمام رسالة شخصية إلى شخص يدعى أبو العباس كان قد أمضى سنة كمهاجر مع الإمام، يطلب منه فيها أن يعلن عن دعوة المنصور بين أهله[٢٠]. ويبدو أيضاً أن هذا النداء لم يكن فعال.

وأمام ممانعة الزيدية للانضمام إليه، أصر المنصور على أن الهجرة الوحيدة الشرعية هي الهجرة إليه بما أنه الإمام الشرعي. وعندما ذكر له أحد أنصاره اليمنيون أن رجلاً تقياً يدعى عبد الله بن عبيد الله الخرساني انعزل عن الناس والدنيا وهاجر إلى جبل للتعبد، كان رد الإمام خالي من أي غموض: إنه لا جدوى لصلاة وصوم بدون انقطاع إذا لم يقم بالهجرة إلى الإمام ومناصرته ضد أعداءه[٢١]. وفي مناسبة أخرى، حث بعض أتباعه من القبائل على ترك قبيلتهم والهجرة إليه إذ أن فريضة الهجرة مثل الفرائض الأخرى[٢٢]. أما الذين هاجروا إلى الإمام فلم تضع منهم مكانتهم المميزة عند افتراقهم عنه ماداموا موالين له. فمثلا، كان موسى بن جبير أحد المهاجرين الذي جعله الإمام معتمداً له ومسئولاً عن بلده الفيد بسنحان. ونزل الإمام وجيشه ضيوفا عليه[٢٣]. وفي مناسبة العيد اشتكى شيخ من شيعة المنصور وأولياءه اسمه أبو جعفر الصبيحي[٢٤] إلى الإمام من المشقة التي يعيش فيها هو وأهله منذ أن باعوا ممتلكاتهم للهجرة إليه، فأمر المنصور أن يوفر لهم سنة كاملة من بيت المال[٢٥].

ويعود لبداية استخدام كلمة هجرة للإشارة إلى أماكن محددة في اليمن إلى القرن ١١/٥ أثناء الفترة الصليحية. وأول ظهوره في مصدر تاريخي موجود في سيرة **الأميرين** العلويين الشريف الفاضل القاسم بن جعفر (ت ١٠٨٥/٤٦٨) وأخوه ذو الشرفين محمد (١٠٩٥/٤٧٨) لمفرج بن أحمد الربعي في سنة ١٠٩٢/٤٨٥[٢٦]. وكان الأخوان من أوائل العلويين الذين قاموا ضد الصليحيين، ولم يعلنا الإمامة وإنما اتخذا لقب أمير لأنهما كانا من أصحاب المذهب الزيدي الحسيني الذي رفض وفاة الإمام الهادي لدين الله الحسين (ت ١٠١٣/٤٠٤) وتوقع عودته كالمهدي المنتظر. وتنطبق كلمة هجرة في سيرة الأميرين على اسم مكان، فهي تعني بكل وضوح معقل زيدي ومأوى آمن. وفي سنة ٤٦٠/ ١٠٦٨ قام الأخوان وأتباعهما من الزيدية بالاستيلاء على قرية شهارة المحصنة واتخذوها مقراً دائماً لإقامتهما. وأشار الفاضل إلى القلعة في وصية كتبها أثناء الحصار الصليحي لشهارة في سنة ١٠٧٢/٤٦٢ ''بهذه الهجرة''[٢٧]. كما وصف ذو الشرفين شهارة لابنه عمدة الإسلام جعفر قبل وفاته بقليل بأنها هجرة منيعة،وأن أهلها ''لم يؤتوا أبداً إلا من قبل أنفسهم''، وأن القلعة منيعة والمناهل بها معمورة[٢٨]. كما أشار ذو الشرفين إلى أهل شهارة في وصية له بأهل ''هذه الهجرة''[٢٩]. وفي شعر يمجد استيلاء الشريف الفاضل على صعدة من الصليحيين في سنة ١٠٧١/٤٦٣[٣٠]، ووصف مفرج بن أحمد صعدة بأنها هجرة جده[٣١]. فصارت المدينة التي اختارها الهادي كعاصمته ومقر إقامته ومدفنه تسمى بالهجرة. ومن ناحية أخرى فإن

عيان ومذاب، وهما المكانان اللذان اختارهما المنصور كمقرين له وسكنهما الزيدية، فلم يسميهما المؤلف هجرة، ومن الواضح أنه لم يعتبرهما من معاقل الزيدية[٣٢].

وفي سنة ١٠٧٦/٤٦٨، قرر الشريف الفاضل أن ينتقل من شهارة إلى وادي الدعام (وادي الخارد) وأن يجعل هجرته في منطقة عمران[٣٣]. ويذكر مفرج أن هدفه من ذلك هو جعل المناطق الزراعية هناك منفعة للمسلمين والإسلام ولذا قام بترميم غيل وادي الخارد. ووافقه أخوه ذو الشرفين على ذلك، وفرض على عماله ضريبة لهذا العمل. ثم قابل مشايخ نهم وبنو الدعام و''عاهدهم على المحل والجوار'' فتعهدوا وقسموا علي ذلك. ولما وصلوا إلى الباطنة أعطى ختام جمله الذي كان يحمل حريمه إلى النهميين والجمل الحامل حريم ابنه إلى السلاطين الدعاميين مؤكداً بذلك عهد الحماية. ولما سألهم عن الأرض لزراعتها قيل له أن بني نشق زرعوا بها سابقاً، ثم زرعها بني الدعام بعدهم، كما كانت مزروعة زمن الإمام الناصر. فقام الفاضل بتقسيم الأرض إلى ثلاثة أجزاء: جزء لبني النهم، وجزء لبني نشق وبني الدعام، والجزء الثالث له ولأخيه، كما أعطى فيه لكل واحد من شيعته وأصحابه مكانا بجواره. وعلى الرغم من أن بني النهم حصلوا على نصيب وافر إلا أنهم تولوا أبدوا استيائهم وعدائهم، وبعد فترة قصيرة قام بعض الأشخاص من قبيلة النهم بقتل الفاضل وواحد من أتباعه

وسرقة أسلحتهم وخيولهم[٣٤]. ومن المحتمل أن بني النهم كانوا منزعجين من تواجد معقل زيدي في وسطهم.

وبالإمكان القول أن معنى الهجرة الزيدية من هذا النوع تزامنت مع كلمة هجر بمعنى معقل. والفرق الأساسي هو أن الهجرة كانت معقل للمهاجرين الزيديين في أرض غريبة، في حين أن الهجر كان معقل السكان المحليين. وفي بداية الحكم الصليحي بدأ بروز المطرفية الذي سريعاً ما نشط في تأسيس هجرات زيدية من نوع آخر. وكانت المطرفية التي نسبت إلى مؤسسها مطرف بن شهاب الشهابي (توفي بعد ١٠٦٧/٤٥٩)[٣٥] حركة دينية أكثر منها ثورية تدعو إلى الالتزام الكامل بتعاليم القاسم بن إبراهيم والأئمة اليمنيين الأوائل الهادي ومحمد المرتضى وأحمد الناصر، بينما رفضت تعاليم الأئمة اليمنيين المتأخرين وكذلك هؤلاء الذين كانوا يقيمون في الخارج[٣٦]. ولم يتلقوا أي تأييد من العلويين الذين كانوا على صلة مقربة الزيديين خارج اليمن وكانوا مهتمين بالحفاظ على الوحدة الزيدية في المنطقة.

وأمام تضائل الأمل في تقدم أحد العلويين المستوفيين شروطهم الأساسية للإمامة، نظر المطرفية إلى الهجرة على أنها ليست بالأساس واجب الانضمام إلى الإمام ومساندته، وإنما فرض الهجرة الدائم من سيطرة الآثمين والمستبدين كما حدده الإمام القاسم بن إبراهيم وابنه محمد قبل تأسيس الإمامة في اليمن. وعلى عكس رأي المنصور العياني، كان

واجب لا يمكنه أن ينقطع أو يزول في غياب الإمام الشرعي، وبالأحرى كان واجباً عاجلاً تحت حكم الصليحيين الذين اعتبرتهم المطرفية من المنشقين. وفي غياب الإمام الشرعي، فإن الهجرة المطرفية لم تكن معقل مسلح وإنما كان الغرض منها توفير المأوى وتعليم مذهب آل البيت كما حدده المطرفية.

وأول هجرة مطرفية أسسها مطرف بن شهاب في منطقة قبيلته بني شهاب جنوب من صنعاء[٣٧]، حيث بنى مع أصحابه مسجداً ومطاهراً[٣٨] كما حفر غيلاً وانقطع إلى العبادة والطهارة والزهد كما دعي الناس لتلقي العلم.[٣٩] ويذكر مسلم اللحجي أن الحسن بن زايد أحد أصحاب مطرف في صنعاء كان أول من أقام هناك حلقات للذكر وأسس خلوات الحديث وحلقات مسائية لتدريس ومناقشة مسائل في الأصول[٤٠].

وقرر شيوخ المطرفية ترك هجرة صنعاء في ٤٨١-١٠٨٨/٤٩١-١٠٩٨ أمام تهديد الصليحي سبأ بن أحمد بن المظفر، ولكنه ليس من الواضح أن الصليحيين قاموا بالهجوم على المدينة[٤١]. ووجد إبراهيم بن أبي الهيثم الحميري الذي خلف مطرف في الزعامة الدينية للمطرفية ملجأ في مدر في بادئ الأمر، ولكنه تركها عندما علم بان بعض من أهل المدينة كانوا يشربون الخمر[٤٢]. وبعد البحث عن مكان ملائم اختار مكاناً غير مأهول في وادي وقش جنوب غرب من صنعاء كهجرة جديدة. ولما استشار قبائل المنطقة من بني شهاب وحمير

البروية وحضور وسويد قضاعة وحرثان نهد، رحبوا به وتعاهدوا معه على الجوار، كما وافقوا على شرطه في أن ''يكون حاكماً لا محكوماً عليه''[43]. وذكر مسلم اللحجي أن القبائل وافقت على أن أهل السبق بوقش لديهم الحق في أن لا يدخلوا في الهجرة من لم يرغبوا فيهم كجيران[44].

وأصبحت وقش مركز الحركة المطرفية وبقيت مقر زعمائها إلى أن قام الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بتدمير الهجرة في سنة ١٢١٤/٦١١-١٢١٥. ولما توفي إبراهيم بن الهيثم بعد سنة ١١١٧/٥١١[45]، خلفه ابن أخته الحسين بن علي بن الفضل الوداعي[46]. ثم قام بعده بالزعامة يحيى بن الحسين بن عبد الله اليحيري (ت ١١٨٢/٥٧٧) وهو من أحد أسر علماء المطرفية المشهورين[47]. وكان علي بن يحيي صاحب وقش زمن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة[48].

ورممت هجرة صنعاء في القرن ٥/ ١١ ولكنها صارت مقسمة بين المطرفية والمخترعة وهم من التيار الزيدي الرسمي. وأقام بها القاضي جعفر بن علي بن أبي يحيي بن عبد السلام (ت ١١٧٧/٥٧٣-١١٧٨) في ١١٥٩/٥٥٤، وكان يعد من أشد المخترعة مناظرة للمطرفية بعد أن درس مع زيدية الكوفة طبرستان، ودرس في مدرسة له اجتذب بها عدداً كبيراً من الطلبة. فقام المطرفية بدورهم ببناء مدرسة لهم بجانب جامع المدينة[49]. وقام الإمام المتوكل بن سليمان بصلاة عيد

الفطر هناك في سنة ١١٥٧/٥٥٢[50]. وكان يوجد العديد من المطرفية في صنعاء في زمن المنصور عبد الله بن حمزة مما أثار غضبه. فلما أمر بتدمير وقش في سنة ١٢١٤/٦١١-١٢١٥، أمر كذلك بهدم مسجد المطرفية في صنعاء[51]. وكانت صنعاء قاعدة للإمام المهدي أحمد بن الحسين للمقاومة ضد بني رسول في السنوات ١٢٥٠/٦٤٨ و ١٢٥٣/٦٥١. وقد أمر المظفر يوسف بن عمر بتدميرها تماما في ١٢٧٣/٦٧٢[52].

وإلى جانب صنعاء ووقش، ذكر مسلم اللحجي العديد من الهجرات المطرفية الأخرى في زمن المتوكل أحمد بن سليمان[53]. ويدل عددها وامتدادها الجغرافي على أن المطرفية لعبت دورا أساسيا في نشر المذهب الزيدي في اليمن زمن الصليحيين، وخاصة في المناطق جنوب صعدة إلى ذمار:

١) هجارة الروعة بالقرب من الطرف في حضور الأحبوب. قام بتأسيسها عليان بن سعد البحيري بعد تأسيس وقش بفترة قصيرة[54]. ويرجع أصل عليان بن سعد إلى الجوف، وكان قد انضم إلى الأشراف القواسم في شهارة وحارب معهم، ثم ندم على ذلك وعاش في عزلة فوق جبل. ثم لازم شيخ المخترعة يحيي بن عمار، وبعده انضم إلى علي بن حزب بن عبيد بن شبيرة أحد علماء المطرفية الذي أرسله إلى صنعاء. وذكر اللحجي أنه أصبح من أكثر أنصار المطرفية تشدداً فانتقل إلى

مواضع مختلفة مثل مسور ومنطقة بلد جنب وبلاد الأهنوم وحضور وغيرها[٥٥]. وكرر اللحجي استخدام كلمة مواضع كبديل مبهم لكلمة هجرة. وتوفي عليان في هجرة الروعة حيث كان يعيش بها أولاده وأولاد أخيه في زمن اللحجي[٥٦].

٢) هجرة معين وتسمى أيضا هجرة جنب في مهجر قلد من بلاد جنب. ويصفها اللحجي بأنها قريبة من بلده شظب "يتيامن عنها"[٥٧]. وقام عليان بن سعد[٥٨] أيضا بتأسيسها. وتوفي بها صبرة بن علي السنحاني أحد أتباع عليان[٥٩].

٣) هجرة صارة في أرض بني جماعة بخولان قضاعة (جنوب غرب صعدة)[٦٠]. أسس هذه الهجرة محمد بن عباس من بلاد عنس وهو أحد المخترعة المتشددين الذي رفض ماكل ومشرب كل من لم يوافق أراءه الدينية. وذكر اللحجي أن عليان بن سعد كان مهتم بأرض خولان قضاعة وبإمكانية إدخال تعاليم المطرفية بها وهي تابعة لنفوذ المخترعة بصعدة[٦١]. وعلى الرغم من وفاته قبل أن يواصل نشاطه في خولان، فإن هجرة صارة انفتحت إلى المطرفية. وفي سنة ١١١٧/٥١١ تجادل اللحجي مع إبراهيم بن أبي الهيثم لمساندة المحسن بن الحسن بن الناصر كنائب للإمام الطبرستاني أبو طالب الأخير، مشيرا إلى أن أهل هجرة صارة وكلهم من المطرفية قرروا مناصرتهم. وكان صاحبهم في ذلك الوقت علي بن محمد العباسي، ولكن رفض إبراهيم بن الهيثم مساندة

المحسن والإمام البعيد[٦٢]. وربما كانت هذه الحادثة عاملاً مؤثراً في انضمام زيدية صارة مرة أخرى إلى المخترعة.

٤) هجرة العشي في شعب قريب من بيت شهير في البون الأسفل. أسسها علي بن حزب أحد أصحاب مطرف قبل تأسيس وقش بفترة. وكان علي بن حزب قد اكتشف نبع بها، ثم انضم إليه أحد أتباعه وهو عليان بن إبراهيم بن يحيي من صنعاء، وبنى كل منهما بيتاً لنفسه ومسجداً. وبعد وفاة علي بن حزب ترك عليان بن إبراهيم الهجرة تحت ضغوط من قبل يحيي بن حوسب بن المفضل اللعوي الصليحي الذي كان يريد استخدام النبع للزراعة. ويبدو أن مياه النبع جفت بعد انتقاله مع جماعة المطرفية إلى هجرة قاعة[٦٣].

٥) هجرة قاعة في بلاد حمير حضور المصانع في أعلى وادي قاعة في البون. كان عليان بن إبراهيم من أوائل من سكنها ومن أحد مشاهير علمائها. واستمرت قاعة أهم مركز للمطرفية بعد وقش[٦٤]. كما كانت هجرة قاعة القاعدة الرئيسية للمقاومة المطرفية في زمن الإمام منصور بن حمزة. وذكر يحيي بن الحسين أن المنصور كتب في سنة ٦٠٣/١٢٠٦-١٢٠٧م إلى المطرفية في قاعة ووقش وسناع يهددهم "وحكم بتكفيرهم"، وقال الأبيات:

لست ابن حمزة إن تركت جماعة يتجمعون بقاعة للمنكر
فلأوردن البيض في أعناقهم وسنابك الخيل الجياد الضمر[٦٥].

ومع أن يحيي بن الحسين لم يذكر أي معلومات إضافية عن مصير هجرة قاعة، فمن المؤكد أن المنصور أمر بهدمها مثلما فعل بوقش عندما نجح في السيطرة على المنطقة.

٦) هجرة شوحت في بلاد بكيل من آلهان. كان أحمد بن أبي الخير، أحد مشاهير المطرفية من القياعل من بكيل آلهان أصله من يكار، يعرف بصاحب شوحت[٦٦]. ولم يذكر اللحجي إذا كان هو الذي أسس الهجرة أو سكن بها في البداية[٦٧].

٧) هجرة العشة في عر بكيل بالقرب من الحقلين، وتسمى أيضاً هجرة أحمد بن أبي الخير الذي درس بها[٦٨].

٨) هجرة الجبجب بأرض بكيل آلهان. ذكر اللحجي خبر سفر أحمد بن أبي الخير للتدريس بها[٦٩]. وذكرت **سيرة الإمام المتوكل** أن المطرفية بجبجب قاموا ضده في حوالي سنة ١١٥٩/٥٥٤ ولجئوا بحصن يدعى الجاهلي فوق حجيان، وكان يقودهم وقت ذاك شيخ من المطرفية اسمه إبراهيم بن عبد الله الهجلم البكيلي[٧٠]. وأمر الملك المعز الأيوبي بتدمير الهجرة وهدم مساجدها في سنة ١٢٠٠/٥٩٦ بعد أن ساند أهلها الإمام المنصور عبد الله بن حمزة[٧١].

٩) هجرة الحظفر في حضور. ذكر اللحجي أن أحد المطرفية الأتقياء كان يسكن في كهف بالقرب من هذه الهجرة[٧٢] ولكنه لم يذكر إذا كان سكانها من المطرفية.

١٠) هجرة سقام في الأهنوم. سكنها يونس بن محمد بن مطير الأهنومي من بني عوق من حاشد بن حمدان مع أتباعه[٧٣] وكان أحمد بن محمد الصائع واحداً منهم[٧٤].

١١) هجرة آل أبي عبد الله بالقرب من هجرة العشي في البون الأسفل. ذكرها اللحجي مرة واحدة للإشارة إلى موقع هجرة أسسها علي بن حزب. وليس من المؤكد أنها كانت هجرة مطرفية أو أنها كانت موجودة في زمن علي بن حزب[٧٥].

ولم يذكر اللحجي كل الهجرات المطرفية، إذ نجد أسماء إضافية في مصادر أخرى. فذكر ياقوت هجرة البحيح في منطقة صنعاء وهجرة ذي غبب في منطقة ذمار[٧٦]. وكانت هجرة ذي غبب قرية منفصلة عن قرية ذي غبب[٧٧]. وبدون شك أن ياقوت استمد معلوماته من كتاب مسلم اللحجي كتاب **الأترنجة في شعراء اليمن**[٧٨]. ويمكننا أن نفترض إنها كانت هجرات مطرفية مثل وقش.

وكانت هناك هجرة كبيرة للمطرفية تدعى الكاملية في منطقة جازان في تهامة التي كان يحكمها الأشراف السليمانيين. ومنها كان ينشر الفقيهان الحسن بن الحسين بن شبيب وصالح بن الرحال دعوتهما. وفي سنة ٥٤١/١١٤٦ وصل العالم الفارسي الزيدي فخر الدين أبو الحسين زيد بن الحسن البرقوني البيهقي بدعوة من الشريف علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس لتدريس مذهب المخترعة الذي كان سائداً بين الزيدية من أهل العراق وإيران. وتحول الفقيهان على يده إلى المخترعة وكذلك أغلبية أتباعهم في الهجرة، وكان عددهم يناهز الخمسمائة[٧٩]. وانضم الحسن بن شبيب مع زيد بن الحسن إلى المتوكل في حيدان وصار أحد أنصاره النشطين.

وذكرت **سيرة الإمام المتوكل** اسم هجرة أخرى في منطقة الأشراف السليمانيين وهي هجرة الجحيف التي ربما أنها كانت أيضاً هجرة مطرفية. وقام المتوكل في حوالي سنة ٥٤٢/١١٤٧ بتحريض من الحسن بن شبيب بحملة للضغط على شريف جازان غانم بن يحيي بن وهاس حتى يعترف بإمامته. وحاول غانم في بادئ الأمر أن يستجلب حلفاء ضد الإمام، فدفع أموالاً كثيرة إلى أهل هجرة الجحيف وزعيمهم الفقيه الحسين للمتوكل بعد ذلك[٨٠].

ومن ضمن الهجرات المطرفية في زمن المنصور عبد الله بن حمزة هجرة العشاوة ذات الصلة الوثيقة بهجرة قاعة[٨١]. ويبدو أنها كانت

قريبة منها في البون. ومن المحتمل أنها كانت نفس هجرة آل أبي عبد الله التي ذكرها اللحجي (رقم ١١) أو هجرة العشة في البون الأسفل، وربما اتخذت هذا الاسم بعد ترميمها. وهناك أيضا هجرة أمد، وهي متصلة بهجرة قاعة وربما كان موقعها في البون أيضاً. وفي سنة ١٢٠٣-١٢٠٢/٥٩٩ كتب أحمد بن أسعد الفضيلي شيخ أهل هجرة قاعة إلى الشريف حمزة بن يحيى بن الحسين في هجرة أمد يخبره بأن المطرفية اتفقت على زعامة الأمير العفيف[٨٢]. ومن المؤكد أن هجرة فريع في أرض بني جبر كانت أيضا هجرة مطرفية حيث أمضى الشريف محمد بن منصور بن المفضل بن الحجاج المشرقي فترة من الزمن[٨٣]. وقام الشريف المشرقي، وهو من سلالة الإمام الهادي، في سنة ١٢١٣/٦١٠ متزعماً مقاومة مطرفية ضد الإمام المنصور و"أنكر على الإمام ما وقع منه من تكفيرهم"[٨٤]. وكان مستاء من هدم وقش التي كانت هجرة أجداده، وتوفي هناك حوالي ستة عشر عاماً بعد وفاة المنصور[٨٥].

وبالإضافة إلى الهجرات المطرفية ذكر اللحجي الهجر الحسينية، ومنها هجرة الشريف يحيى بن عيسى بن عياس الرسي في منطقة أسافل بلاد وداعة بجوار بلاد حجور وظليمة. وتنبأ الشريف بن عياس أن المهدي الحسين بن القاسم العياني سوف يظهر هناك مع الخضر وعيسى بن مريم، فانضم إليه العديد من قبائل الحسينية. ولما انقضى التاريخ الذي تنبأ به لقدوم المهدي لم يصدقه أهل هجرته وتفرقوا عنه. وكان

ذلك في فترة حكم عمدة الإسلام جعفر بن محمد بن جعفر في شهارة (٣٩٨-٤٧٨/١٠٨٥-١١٠٥) الذي عبر عن تنكره لتنبأت ابن عياس في أبيات شعر[٨٦]. وهناك هجرة أخرى للحسينية فوق جبل الأهنوم تسمى الخلالة ذكرت وقت قيام المنصور عبد الله بن حمزة سنة ١١٩٧/٥٩٣. إذ رفض أهل هذه الهجرة، وكبيرهم رشيد بن محمد الجنبي، الانضمام إلى مبعوث المنصور الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى ومبايعة الإمام الجديد على عكس أغلبية الزيدية في الأهنوم. وكان أهل شهارة منقسمين على الاعتراف بالمنصور، فقرر الأمير يحيى عدم مهاجمة الهجرتين الحسنيتين[٨٧].

ولم يعين اللحجي واحدة من هجر المخترعة على الرغم من أنه ذكر أن الشريف سليمان بن محمد العلوي رحل إلى هجرات المخترعة ومساكن علماءها بعد تحوله إلى مذهب المطرفية محاولاً بدون جدوى استخراج منهم حجج ضد مذهبه[٨٨]. وقد ذكرت عدة هجرات من الواضح أنها للمخترعة في الأجزاء المتبقية من سيرة المتوكل أحمد بن سليمان والمنصور عبد الله بن حمزة. وبدون شك أننا سنتعرف على أسماء أخرى عندما تصبح المصادر الأخرى متاحة للباحثين.

أسس المتوكل هجرة عمران في وادي الخارد[٨٩]. وكان يعيش في حوث وهو شاب، وارتحل كثيراً في الجوف حيث تزوج بأم ابنه المطهر الأكبر. وذكر مؤلف سيرته أبيات شعر للمتوكل تدل على أنه

كان ''يهم بالهجرة'' سواء بنشّان أو غيل عمران[٩٠]. وبعد انتصار حققه في سنة ١١٤١/٥٣٦-١١٤٢ عبر عن أمل مماثل في قصيدة[٩١]. وفي سنة ١١٥٠/٥٤٥ حقق المتوكل خطته واختار موقع المقيلد. وعند بناء الهجرة أتى إليه ألف وأربعمائة شخص من الأشراف والزيدية وقاموا باستجوابه في المسائل الدينية المعقدة لمدة ثمانية أيام قبل أن يبايعوه[٩٢]. وكان للمتوكل أيضا بيت في هجرة اسمها محنكة قريبة من حيدان جنوب غرب من صعدة حيث استقبل زيد بن الحسن البيهقي العلم الفارسي الزيدي في جمادى الأول سنة ٥٤١/أكتوبر ١١٤٦ ودرس معه عدة أشهر. وتوفي المتوكل في حيدان في سنة ١١٧٠/٥٦٦ ودفن بها[٩٣].

أما المنصور عبد الله بن حمزة، فقد ولد أيضا في عيشان في ظاهر همدان في سنة ١١٦٦/٥٦١، وأمضى فترة من صباه في الجوف وهناك ألقى دعوته الأولى للإمامة احتسابًا في سنة ١١٨٧/٥٨٣[٩٤]. وكانت براقش هجرته في الجوف كما كانت مسكن أسرته[٩٥]. وكان لديه مسكن آخر في هجرة دار معين في منطقة صعدة[٩٦]. وفي سنة ١١٩٧/٥٩٣ جاء المنصور من الجوف إلى دار معين حيث كان يقيم اثنين من علماء صعدة المهمين وهما محمد بن الصلية النجراني وأحمد بن حجلان الهمداني[٩٧]. وأمضى هناك أربعة أشهر في جدال مع علماء الزيدية والأشراف حتى أثبت كفاءته للإمامة فبايعوه[٩٨]. وأقام يومين مع أسرته قبل دخوله صعدة في سنة ١٢٠٠/٥٩٦[٩٩]. وفي سنة ١٢٠٥/٦٠١ قام الأيوبيون بقيادة سيف الدين سنقر وعلم الدين وردشار

بتدمير هجرة دار معين وهدم دار الإمام وأمرا بنقل أخشابها إلى حصن تلمص[١٠٠]. وفي نفس الوقت بنى المنصور هجرته المشهورة واختار لها موقع فوق جبل قريب من ذي بين حيث بنى الإمام أبو الفتح الناصر الديلمي (ت حوالي ٤٤٤/١٠٥٢) قلعة. وأمر المنصور بدا العمارة والتحصين في ٢٠ شوال سنة ٦٠٠/٢١ يونيو ١٢٠٤، وعند الانتهاء منها سماها ظفار[١٠١]. واستطاع الصمود فيها أمام الأيوبيين. وفي سنة ٦١٠/١٢١٣ أمر ببناء حصن آخر فوق جبل مواجه لظفار سماه القاهرة وجعل به هجرته[١٠٢]. وتم نقل رفاته إلى هجرته بظفار بعد أربع سنوات من وفاته بكوكبان في سنة ٦١٤/١٢١٧[١٠٣].

وهناك ثلاث هجرات أخرى ذكرت في زمن المنصور ولكنها لم تكن مرتبطة به. ففي سنة ٥٨٣/١١٨٧ توقف المنصور في هجرة ينبد لمدة ثلاثة أيام في طريقه من الأشمور إلى ميتك، واستقبله هناك أشراف أولاد يحيي بن الحسين[١٠٤]. وهجرة لصنف في وادي لصنف في منطقة مطرة حيث أقام الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة يومين قبل مقتله في معركة في ٨ شعبان سنة ٦٠٠/١١ أبريل ١٢٠٤[١٠٥]. أما هجرة قطابر في وادي قطابر غرب من نجران فذكرت لأول مرة في حوادث عام ٥٩٩/١٢٠٢-١٢٠٣[١٠٦]. وكانت مسكن أشراف شمس الدين يحيي وبدر الدين محمد أولاد أحمد بن يحيي بن يحيي بن الناصر من سلالة الهادي إلى الحق. وكان المنصور في أول الأمر يعتقد أنهما أفضل منه للإمامة، إلا أنهما لم يكنا مستعدان لذلك وأصبحا من أهم أنصاره بعد أن

دعا لنفسه. وتوفي شمس الدين في سنة ١٢٠٩/٦٠٦ ودفن في هجرة قطابر. أما بدر الدين فتوفي بعد المنصور في رجب سنة ٦١٤/أكتوبر ١٢١٧، وكان قد رفض أن يدعو لنفسه على الرغم من إلحاح الأشراف[107] ودفن هو أيضا في هجرة قطابر[108].

كانت الهجرة الزيدية كمكان هجرة محلية محددة هي "مؤسسة" مثبتة وواسعة الانتشار في اليمن حتى أوائل القرن ١٣/٧. كما كانت معقلاً للزيدية لمساندة الإمام الشرعي، بالإضافة إلى توفير مقر لتحقيق الواجب الديني وهو الهجرة من أرض الظالمين. وأثرت الهجرة كمكان للتوبة والتعبد والعلم كما شكلتها المطرفية في البداية على ظهور مؤسسات مماثلة عند باقي الزيدية. ولكنه لا يمكن إطلاق اسم هجرة على أي قرية أو مستوطن للأشراف العلويين في مناطق قبلية ليس لها دور ديني معين. وفي كل حال كان هناك العديد من هذه المستوطنات التي لم تعتبر هجر، كما أن الحماية القبلية لم تكن عنصراً أساسياً للهجرة فقد أسست بعض الهجرات بدون موافقة من قبائل المنطقة وحتى أمام معارضتهم. والمفهوم القبلي "للهجرة المهجرة" و"التهجير" لم يكن معروفاً في القرن ١١/٥ كما أثبته كل من وقش وعمران زمن الشريف الفاضل عندما عقد اتفاق مع القبائل، وفي كلتا الحالتان كان العقد على "الجوار" وهو مؤسسة قبلية قديمة. وفي نفس الوقت يشير عقد وقش إلى القاعدة التي سمحت للمفهوم القبلي للهجرة أن يتطور منفصلاً عن الجوار حيث أنها منحت الهجرة الجوار بالإضافة إلى إقصاء أي سيطرة

قبلية، فكان زعيم الهجرة ''حاكماً لا محكوماً'' وكان هذا الاستقلال عاملاً أساسياً للهجرة الزيدية. وكان تأسيس الهجر في مناطق جبلية خاصة من قبل المطرفية المسالمة لا بد وأن تضمن اتفاقية مع القبائل. ومن المحتمل أن الاتفاقيات التي عقدت خلال الفترة المدروسة هنا كانت لا تزال غير رسمية. ويبدو أن اللحجي اعتبر أن عهد وقش كان فريداً من نوعه. ومن المؤكد أن دراسة لوثائق الهجر يمكنها أن تلقي ضوءاً على تواريخ هذه العهود، وعلى الفترة التي أصبح فيها المصطلح القبلي للتهجير يستخدم بشكل عام. وعندما شاع الاستخدام القبلي للهجرة بمعنى ملتجأ أمن ومحمي، أصبحت الكلمة تطلق على أشخاص أو مساكن أو أماكن محمية لا علاقة لها بالهجرة الزيدية كما يظهره الاستخدام الحديث لكلمات مثل الأسواق والقبور، وحتى مدينة رئيسية مثل صنعاء، وهذا استخدام حديث غير دقيق.



الحواشي:

[1] ناقش سارجنت R.B. Serjeant لأول مرة المفهوم الحديث للهجرة اليمنية في:
A.J. Arberry, ed. *Religion in the Middle East*, Cambridge 1969, 2, pp.9, 292.
، ثم قام بتعميق دراسته في:
"Sanā: The Protected *Hijrah*" in R.B. Serjeant and R. Lewcock, eds., *Sana: An Arabian and Islamic City*, London 1983.
و تبع هذه الآراء وطورها كل من شلحد J. Chelhod في
l'Arabie du Sud: Histoire et Civilisation, Paris:
. 37, 169-70. وبوين G. Puin في:
"The Yemenite Hijrah Concept of Tribal Protection", in T. Khalidi, ed. *Land Reform and Social Transformation in the Middle East*, Beirut 1984, pp. 483-494.

[2] هناك تحليل **كتاب الهجرة** للقاسم بن إبراهيم في كتابي:
.*Der Imam al-Qasim ibn Ibrahim*, Berlin 1965, pp. 138-40.
وعن **كتاب الهجرة والوصية** لابنه محمد، انظر مقالي:
"A Mutarrifi Manuscript," in *Proceedings of the VIth Congress of Arabic and Islamic Studies* (Visby-Stockholm 1972), Leiden 1975, p. 77.

[3] ياقوت، **معجم البلدان**، تحقيق F. Wustenfeld, Leipzig 1866-73.

[4] الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق D.H. Müller, Leiden 1891, p. 86.

[5] **صفة جزيرة العرب**، ص ١٦٩.

[6] نشوان الحميري، **منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم**، تحقيق عظيم الدين أحمد، ليدن ١٩١٦، ص ١٠٨.

[7] يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد محمد زيادة، القاهرة ١٣٩٩/١٩٦٩، ص ٣٠٦، ٣٤٧، ٤٤٠. ولم يكن المحققان على علم بالأسماء والمؤسسات اليمنية فأخطئا في "حجر الهرائم" في ص ٣٤٧ على إنها هجرة الهرائم بالرغم من النص يشير إليها بعد ذلك مراراً بالهجر. وفي قائمة أسماء البلدان أدرجا هجر الهرائم وهجر بني قتيل كهجرة الهرائم وهجرة بني قتيل. ويذكر الهمداني قتيل بن شاور بن قدم بن قديم من حاشد (**الإكليل**، القاهرة ١٩٤٩، جزء ١٠، ص ١٠٢) وليس من المؤكد أن بني قتيل من سلالة همداني قتيل أو من حميري بنفس الاسم.

[8] يوجد قسم من الجزء الأول من كتاب اللحجي في مخطوط Berlin Or. Fol.1300.
وتم اكتشاف مخطوط من الجزء الرابع في اليمن. انظر:
D.Th. Gochenour, "A Revised Bibliography of Yemeni History in Light of Recent Publications and Discoveries," in *Der Islam* 63 (1986), pp. 315-17.
وأشكر الدكتور بول دريش Dr. Paul Dresch الذي زودني بنسخة مصورة من هذا المخطوط.

[9] العلوي، سيرة الهادي، تحقيق سهيل زكار، القاهرة ١٣٩٢/١٩٧٢، ص ١١٥-١١٦.

C. Arendonk, *Les Débuts de l'Imamat Zaidite au Yémen*, transl. J. Ryckmans, Leiden 1960, p. 175.

[10] سيرة الهادي، ص ١١٦، ١٣٦، ٣٣٦، انظر أيضا ص ٢٤١: ''المهاجرين والطبريين''. ومن الواضح أن المهاجرين هنا مجموعة أكبر تضم الطبريين.

[11] انظر فهرس van Arendonk.

[12] وردت سيرة أحمد الناصر في مخطوط اللحجي Berlin Or, Fol. 1300، ص٤٣أ: ''نفر من المهاجرين والصنعانيين''، ص٤٤أ: ''في قبائل خولان والمهاجرين والصنعانيين''، ص٤٦ب: ''وحوله شيعته من أنصاره والمهاجرين إليه''، والأنصار هنا هم أتباعه من اليمنيين، ص٥٠ ب: ''إبراهيم بن الأزهر وكان من المهاجرين''.

[13] تم مناقشة الرسائل بطريقة ملخصة في *Der Imam al-Qasim*، ص ١٧١-١٧٢. قام أخو الناصر محمد المرتضى بإطلاق المهاجرين الطبريين الذين قدموا إلى اليمن مع الهادي وسمح لهم بالعودة إلى طبرستان.

[14] الحسين بن أحمد **سيرة الإمام القائم المنصور بالله القاسم بن علي**، مخطوط British Museum Or. 3816, fol. 3b, 4a. والخثعم كانوا يكنون جيش الإمام.

[15] ص ١٩أ: ''في عسكر من بكيل وجماعة من المهاجرين...من بني سلمان والمهاجرين''.

[16] ص ٩٩ب.

[17] ص١٣أ: ''وإني لأهوى أن يكونوا بأرضنا الـي هجـرة محروسة بالبصائر و''يكونوا'' تشير إلى أهله من الحجاز.

[18] أنظر مقالي: "Land Tax in Northern Yemen and Najrān: 3rd-4th/9th-10th Century", in T. Khalidi, *Land Reform*, pp. 200.

[19] ص ١٤٠ب.

[20] ص ٣٥ أ-ب.

[21] ص ٧٥ أ.

[22] ص ٩٩ ب.

[23] ص ١٠٧ أ-ب.

[24] يطلق الهمداني على أهل لحج الأصابح، أما حديثا فاسمهم الصبيحة.

[25] ص ٤٤ أ.

[26] عن مضمون الكتاب و المؤلف، انظر مقالي:

"The Sīrat al-Amīrayn al-Qāsim wa-Muhammad ibnay Ja'far Ibn al-Qāsim, b. 'Alī al-'Iyānī as a Historical Source," in *Studies in the History of Arabia, I, Sources for the History of Arabia*, part 2, Riyad 1399/1979, pp. 69 ff.

[27] ص ٢٥١ أ.

[٢٨] ص ٢٩١ أ.
[٢٩] ص ٢٩٣ ب، ٢٩٤ أ.
[٣٠] انظر: "The Sirat," ص ٧٦-٧٧ والحاشية رقم ٧٠.
[٣١] ص ٢٥٩ أ، "فدخلنا هجرة جده الهادي بنا".
[٣٢] أمضى المنصور آخر أيامه بين عيان ومذاب (**سيرة المنصور**، ص ١٤٤ ب) حيث بنى قلعة وزرع أرض في شوال ٣٨٩/سبتمبر ٩٩٩ (**سيرة المنصور**، ص ٢٩ أ). وكانت عيان فترة الأميرين تحت سيطرة أبناء المنصور وشيعتهم الحسينية، بينما صارت ممتلكاته بمذاب تحت سيطرة المخترعة. ويذكر مفرج بن أحمد أن ذي الشرفين حط على مخترعة مذاب أثناء حملته في سنة ١٠٧٧/٤٧٠-١٠٧٨.
[٣٣] **سيرة الأميرين**، ص ٢٧٧ أ: "رأى ... الإقامة بخيله وحريمه في وادي بني الدعام والهجرة منه بناحية عمران".
[٣٤] ص ٢٧٧أ-ب.
[٣٥] أنظر:

Th. Gochenour, *The Penetration of Zaydi Islam into Medieval Yemen*, Ph.D. Thesis, Harvard University 1984, p. 179.

[٣٦] أنظر: "A Mutarrifi manuscript" حول مذهب المطرفية.
[٣٧] يذكر Gochenour أن سنع أسست بعد سنة ١٠٣٤/٤٢٥.
[٣٨] يذكر اللحجي أيضا مطاهر المطرفية (ج ٤ ، ص ٢٥٤) .
[٣٩] المتوكل، **كتاب الحكمة**، ms. Ambros. B 83.
[٤٠] اللحجي، ج ٤، ص ٥٢.
[٤١] اللحجي، ج ٤، ص ٧٧، ٨٩، ١٤٢. أخطأ Gochenour في ذكره أن سبأ بن أحمد طرد مشايخ المطرفية من سناع ودمر المدينة (The Penetration, p. 113). فأن رواية اللحجي (ص ٨٩) واضحة. فقد ذكر أن مشايخ المطرفية قرروا هم أن يتركوا سناع "لما فسد على الزيدية أمر سناع". كما أنه أشار إلى محاولة محمد بن حميد التأثير على سبأ بن أحمد ضد مطرفية سناع وتحريضه على تدمير المدينة وتخويف أهلها: "ساع... على القوم عند سبأ بن أحمد الصليحي وعمل فيه من خراب سنع وتخويف أهلها". ولا يذكر تدمير سبأ لسناع وجامعها.
[٤٢] اللحجي، ج ٤ ص ٨٩-٩٠، ١٤٢. توجد ترجمة لإبراهيم بن أبي الهيثم في كتاب اللحجي، ج ٤ ص ٦٨. واسمه كاملا هو أبو أسحق إبراهيم بن أبي الهيثم بن كهلان بن محمد بن أبي البعير. وذكر اللحجي أنه حميري.
[٤٣] اللحجي، ج ٤ ص ٧٨.
[٤٤] اللحجي، ج ٤ ص ٢٥٦.
[٤٥] كان حيا عندما قام المحسن بن الحسن بن الناصر في صعدة في سنة ١١٠٨/٥١١. اللحجي ج ٤ ص ٦٩.
[٤٦] اللحجي، ج ٤ ص ٢٩٧.

[٤٧] ذكر تاريخ وفاة يحيى بن اليحيري في حاشية في نهاية مخطوط اللحجي **الأخبار**، ج ٤ ص ٣٥٣. وكان أبو يحيى الحسين وأعمامه يحيى والحسن من كبار علماء المطرفية. وكانت الأسرة من اصل حميري من يحير ذو رعين.
[٤٨] **غاية الأماني**، ص ٣٦٢، ٣٧١.
[٤٩] الزحيف، **مآثر الأبرار**، مخطوط Cambridge Qq 17, fol. 99b
[٥٠] الزحيف، **مآثر**، ص ٩٨ أ.
[٥١] **غاية الأماني**، ص ٣٩٠، ٤٠٠.
[٥٢] **غاية الأماني**، ص ٤٥٧. و أبن حاتم، ص ٤٣١.
[٥٣] كتب اللحجي الجزء الأول من كتابه **أخبار الزيدية** في ١١٤٩/٥٤٤. وكتب في آخر مخطوط الجزء الرابع والأخير "تم الكتاب وكمل... في يوم الأربعاء آخر شهر ذي الحجة من شهور سنة ست وستين وخمسمائة (١ أكتوبر ١١٧١). وربما يشير هذا التاريخ إلى انتهاء اللحجي من الكتاب أو إلى الانتهاء من نسخه. وعلى كل حال فإن اللحجي ذكر استيلاء المتوكل على سناع في سنة ١١٥٠/٥٤٥ على أنه حدث سابق (ص ٣١٨).
[٥٤] اللحجي، ج ٤ ص ١٠٥.
[٥٥] ص ٩٨-٩٩.
[٥٦] ص ٩٨، ٣١٣.
[٥٧] ص ٩٨.
[٥٨] ص ١٠٤.
[٥٩] ص ٣٢٤.
[٦٠] ص ٧٠، ١٠٢.
[٦١] ص ١٠٢.
[٦٢] ص ٧٠.
[٦٣] ص ٢٧٣ و ص ٩١ حيث لم يذكر اسم الهجرة، أنظر أيضا ص ٢٩٣، ٣٢١.
[٦٤] ص ٣٣٣.
[٦٥] **غاية الأماني**، ص ٣٩٠.
[٦٦] اللحجي، ج ٤ ص ٣٠٠، ٣٠٢.
[٦٧] ص ٣٠٤.
[٦٨] ص ٣٠٥.
[٦٩] ص ٣٠٦.
[٧٠] Ms. Ambros. H 5، ص ٢١ ب للاسم الكامل للشيخ. ويشمل المخطوط جزء من تعقيب على البسامة لصارم الدين بن الوزير الذي يشمل سيرة الأئمة (أنظر أيمن فؤاد سيد، **تاريخ مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي**، القاهرة ١٩٧٤، ص ١٩٦). وأورد المؤلف سيرة كل من المتوكل أحمد بن سليمان والمنصور عبد الله بن حمزة بإسهاب.

[٧١] Ms. Ambros. H 5، ص ٦٠ أ-ب. **غاية الأماني**، ص ٣٥٢. ابن حاتم، ص ٦٩.
[٧٢] اللحجي، ج ٤ ص ٣٠٨.
[٧٣] ص ٣٢٥.
[٧٤] ص ٣٢٩.
[٧٥] ص ٩١.
[٧٦] ياقوت، ج ٤ ص ٩٣٦.
[٧٧] ياقوت، ج ٣ ص ٧٧١.
[٧٨] ياقوت، ج ٤ ص ٣٥٣.
[٧٩] يوجد تفنيد للمطرفية لمؤلف مجهول في مخطوط ms. Berlin, Glaser 111, fol. 210 a-b حول زيد بن الحسن البيهقي، انظر منتجب الدين، فهرست علماء الشيعة، تحقيق عبد العزيز الطبطبائي، قم ١٤٠٤ (١٩٨٤)، ص ٨١.
[٨٠] Ms. Ambros. H 5، ص ١٩ أ. ليس من الواضح إذا كان الجحيف اسم لشخص أم لمكان.
[٨١] **السيرة الشريفة المنصورية**، ج ٢، Ms. Ambros. E 52, fol. 13b, 57b
[٨٢] **السيرة الشريفة المنصورية**، ج ٢، ص ٥٨ أ.
[٨٣] Ms. Ambros. H 5، ص ١٠٩ب.
[٨٤] **غاية الأماني**، ص ٣٩٧-٣٩٨.
[٨٥] Ms. Ambros. H 5، ص ١١٠أ. أقام مطرفية وقش العفيف محمد بن المفضل بن الحجاج عم المشرقي أميرا لهم في سنة ٥٩٩/١٢٠٢-١٢٠٣ (**غاية الأماني**، ص ٣٧١-٣٧٢). واعترف العفيف بإمامة المنصور وتعاون معه حتى وفاته في محرم سنة ٦٠٠/سبتمبر-أكتوبر ١٢٠٢.
[٨٦] اللحجي، ج ٤ ص ٢٦٠-٢٦١.
[٨٧] Ms. Ambros. H 5، ص ٥٨ ب.
[٨٨] اللحجي، ج ٤ ص ٢٩٨-٢٩٩. وكان الحسين بن علي الوداعي أمير وقش في ذاك الوقت، في حوالي ٥٢٠/١١٢٦.
[٨٩] Ms. Ambros. H 5، ص ٢ ب.
[٩٠] Ms. Ambros. H 5، ص ٢ ب.
[٩١] Ms. Ambros. H 5، ص ١٤ ب.
[٩٢] المحلي، **الحدائق الوردية**، ج ٢، ms. British Museum Or. 3786، ص ١٣٦ ب. Ms. Ambros. H 5، ص ٢٠ ب.
[٩٣] Ambros. H 5، ص ١٩ أ. *Der Imam al-Qasim*، ص ٢١١-٢١٢.
[٩٤] Ambros. H 5، ص ٥٩ أ، في حوادث سنة ٥٩٤/١١٩٨.
[٩٥] Ambros. H 5، ص ٥٢ أ. يبدو أن المنصور كان يريد أن يشجع شمس الدين يحيى بن احمد بن يحيى، من أحفاد الهادي في صعدة، على الإمامة.

[٩٦] **الحدائق الوردية**، ج ٢ ص ١٦٥ أ.
[٩٧] الحجوري، **روضة**، ج ٤، مخطوط ms. Paris5982، ص ٢٤٨ب-٢٤٩أ.
[٩٨] **الحدائق**، ص ١٦٥أ، ١٦٦ب. Ambros. H 5، ص ٥٧ أ.
[٩٩] **غاية الأماني**، ص ٣٥٣.
[١٠٠] **غاية الأماني**، ص ٣٨٦. ابن حاتم، ص ١٢٠-١٢١. يذكر ابن حاتم أن ابن سنقر لم يكن موافقاً على ذلك ولكن وردشار أسر على أنه تصرف ملائم لظروف الحروب.
[١٠١] ابن حاتم، ص ١٠٩-١١٠.
[١٠٢] Ambros. H 5، ص ٩٩ ب. ذكرت رواية أخرى أن تاريخ البناء كان سنة ١٢١٥/٦١٢. أمر المنصور أن تحمل أخشاب بيوت ومساجد وقش إلى قاهرة ظفار، **غاية الأماني**، ص ٤٠٠.
[١٠٣] Ambros. H 5، ص ٩٨ أ.
[١٠٤] Ambros. H 5، ص ٥٣ أ.
[١٠٥] **السيرة الشريفة المنصورية**، ج ٢، ص ١٧٠ ب.
[١٠٦] **السيرة الشريفة المنصورية**، ج ٢، ص ٩٥ ب. Ambros. H 5، ص ٨٦ ب.
[١٠٧] ابن حاتم، ص ١٧٢.
[١٠٨] Ambros. H 5، ص ١٠٩ أ.

ميناني عدن والشحر في العصر الإسلامي الوسيط*

ر.ب. سارجنت

تعتبر عدن و الشحر وظفار الموانـي الثلاثـة الرئيسية للسـاحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، ولكنه يوجد العديد من الموانـي الصغيرة المعروفة عند البحارة. وميناء ظفار هو أقل أهميـة من عدن والشحر، ولا توجد لدينا معلومات كثيرة عنه. وعلى كل حال فقد كان في أغلب الأحيان مرتبطا بميناء الشحر وربما خضع تحت سيطرته. أما تاريخ عدن البحري فالكثير منه معروف ولكن المعلومات عن علاقة عدن بالمنطقة الواقعة خلفها تعتبر قليلة. وفي نظر سكان المناطق الجنوبية من الجزيرة العربية كانت عدن والشحر منتهى طرق القوافل والمنفذ إلى العالم الخارجي. أما المنطقة المتاخمة للشحر فهي محصورة، كما أن الميناء والطرق المتجهة منه أكسبته أهمية في الفترات التي اعتمدت فيها التجارة الخارجية على طرق القوافل الداخلية، وذلك حتى في زمن تجارة قوافل قريش شتاءً إلى جنوب الجزيرة العربية وصيفاً إلى شمالها. ولم تكن الشحر مركزاً تجارياً رئيسياً للسلع الآتية من الشرق الأقصى، على عكس عدن التي كانت الميناء الطبيعي لجميع طرق القوافل (الشمالية والجنوبية) من الشمال إلى الجنوب والعكس والتي كانت تمر بمناطق غنية من اليمن. ومن الطبيعي أن تتغير طرق التجارة على مدى

---

* مترجم عن: Serjeant, R.B. "The Ports of Aden and Shihr (Medieval Period)", *Recueils Société Jean Bodin* 32 (1974), 207-224.

التاريخ، فروايات أسواق العرب في فترة ما قبل الإسلام تعطي فكرة عن سفر التجار من شمال الجزيرة العربية عن طريق الخليج العربي حول ساحل عمان الشرقي مروراً بصحار ثم دبا ثم الشحر ومنها إلى عدن فصنعاء وغيرها حتى وصولهم إلى الحجاز وسوق عكاز الشهير. وأشار المؤرخون العرب إلى مشاركة التجار الهنود والروم (أي اليونانيون) في هذا الطور التجاري، ولكنهم لم يذكروا تجارة الجزيرة العربية مع شرق أفريقيا على الرغم من قدمها وتواصلها عبر القرون. وبدون شك أن أنماط طرق التجارة البحرية كانت مرتبطة بالرياح الموسمية كما يمكن استنتاجه من كتاب ابن ماجد على سبيل المثال. وبالنسبة للوضع السياسي فيمكننا أن نقول أن المناطق الجنوبية للجزيرة العربية كانت دائما تحت سيطرة القانون القبلي فيما عدا فترات متفاوتة من الحكم الأجنبي مثل الفرس والمماليك والعثمانيين والبريطانيين. وتذكر التواريخ اليمنية والحضرمية سيطرة القبائل على عدن والشحر بشكل أو بآخر واستغلالهم الميناءين لصالحهم حتى وصول البريطانيين. وكانت توجد بعدن في عصر بني رسول حامية عسكرية من قبيلة يافع، كما أثريت قبائل مثل العبادلة من مصادر دخل الميناء نفسه عند خضوعه لهم. وقام الرسوليون بتحويل مصادر دخل عدن إلى خزائنهم كما قال الشاعر: ''تعز عاصمة اليمن خراجها يأتي من عدن''.

وكانت قدرة السيطرة على الشحر ثم المكلا من أهم العوامل السياسية في حضرموت، مثلما فعل سلاطين بني كثير وبني معيط الذين

وصف أحدهم ''بقابض الحنجور'' لأن بتملكه على الشحر كان بإمكانه خنق تجارة البلاد. وكلما كان حاكم عدن على قدر من القوة حاول مد سيطرته على الموانى الساحلية الشرقية حتى الشحر وربما ظفار لكي يتمكن من الحصول على نصيب من الخراج المجتبى على السفن المسافرة إلى الهند أو الآتية منها. ولكن بصورة عامة اكتفى الحكام مثل بنو رسول أو العثمانيون في القرن ١٦م بالحصول على ضريبة محددة يدفعها لهم الحكام المحليون بالإضافة إلى بعض البضائع العينية. وكانت الموانـي الواقعة شرق عدن تعرف ببلاد التفاريق طوال العصور الوسطى والعصر العثماني. ومعنى المصطلح غير مؤكد، وربما يعني الموانـي التي تدفع خراج محدد إلى خزينة مركزية كما كان يحدث في زمن بني رسول. وكذلك فإن القبائل التي سيطرت على الساحل الجنوبي اعتبرت السفن التجارية غنيمة شرعية إذا حطت السفينة على الشاطئ. وربما كان يوجد قانون عرفي لإنقاذ حمولة السفينة من الغرق مثلما كان يوجد في الزمن القريب، ولكن من المحتمل أن هذا العرف لم يكن يطبق بشكل منتظم وكان يعتمد على قدرة الحكم المحلي للسيطرة على الساحل. وعلى الرغم من مشاركة بعض الأفراد من القبائل في الملاحة فإن غالبية سكان الساحل الذين استمدوا مورد رزقهم من البحر من الصيادين لم يكونوا من القبائل ولكنهم خضعوا للقبائل أو السلاطين. ويوجد قانون عرفي بحري مثبت في موانـي الجزيرة العربية يقوم على أساسه أمير البحر أو ربان السفينة بحل الخلافات. ووظيفة أمير البحر لا تزال سارية في ميناء جيزان وربما في المخا والموانـي الصغيرة الأخرى في

البحر الأحمر وخليج عدن. وهذه الوظيفة خاضعة لسلطة حاكم الميناء الذي يرجع إليه لحل الخلافات الخارجة عن نطاق عمل أمير البحر.

كان موقع مدينة عدن القديمة في الكريتر المحاط بالجبال محصن للغاية. وعندما احتل البريطانيون المدينة كان السور والأبواب في حالة خراب، وكان يوجد منفذ خلال السور الحجري إلى التواهي سماه البريطانيون Main Pass إلا أن التواهي لم تكتسب أهميتها إلا بعد ١٨٣٩. وكانت توجد تحصينات فوق الجبال المحيطة بعدن وكذلك فوق جزيرة جبل صيرة. ولم يبق من تحصينات العصور الوسطى التي أعيد بنائها خلال القرن ١٩م سوى جزء من سور قديم في جزيرة صيرة وجد بجانبه قطعة من الخزف الأزرق اللون ترجع إلى العصور الوسطى. وتم توسيع الشاطئ عن طريق ردم كسارة الأحجار. وكانت عدن مدينة خربة عندما استولى عليها البريطانيون الذين قاموا بتنظيف المنطقة من الأشلاء بدون الانتباه إلى الآثار. وتظهر المساحات الواسعة المفتوحة في رسوم العصر الفكتوري المبكر (النصف الأول من القرن ١٩م)، ولذا يمكن القول بأن مدينة عدن الحديثة هي من تصميم البريطانيين.

وكانت عدن مثلها مثل كل مدن الجزيرة العربية مقسمة إلى أحياء ذات قوانين إدارية مفصلة، ولكنها اندثرت على عكس الشحر التي احتفظت بأحيائها القديمة. وإلى جانب بعض الأسماء القديمة التي لا تزال معروفة مثل حافة العيدروس، تذكر كتب التاريخ أسماء لحافات

مثل حافة الهنود وحافة اليهود إلى جانب العديد من الأسماء الأجنبية التي يدل على تعدد أجناس سكان عدن. فمثلاً، ذكر أبو مخرمة تجار من شيراز كانوا في الطريق إلى شرق أفريقيا ولكنهم استقروا في عدن. وذكرت مصادر أخرى هندوس ويهود وأفارقة وفرس وغيرهم. وفعلاً كان العرب يشكلوا أقلية ضمن تعداد السكان المتألف من ١٢٠٠ نسمة عندما استولى البريطانيون على المدينة.

ويزودنا مخطوط **ملخص الفتن** الذي جمع في أوائل القرن ١٥م بمعلومات مفصلة عن إدارة ميناء عدن في عصر بني رسول وهذه المعلومات تتفق إلى حد كبير مع وصف ابن المجاور. ويضم **ملخص الفتن** قائمة بعاملي الميناء والأشخاص المكلفين بمباشرة تجارة السلطان (ذكر المؤرخ المصري السخاوي بعض أسماء هؤلاء الرجال). وكان يوجد موظفون مختصون ببناء السفن، وآخرون بمراكب نقل البضائع، وغيرهم بتزويد السفن الراسية في الميناء بمياه الشرب. وهناك موظفون يتولون رقابة أبواب عدن، والبعض الآخر يقومون بتحصيل المكوس ورسوم الدخول وضرائب الجمرك، في حين أن بعض الموظفين كانوا يباشرون "الدكات" وهي بدون شك الدكك التي كانت توضع فوقها البضائع حتى يعاينها موظفي الجمرك. وكانت مفاتيح ميناء وأبواب عدن تحفظ في بيت الحاكم وتعطى في الصباح للموظفين المختصين، ثم تعاد المفاتيح والأقفال إلى مكان حفظها بعد فتح الأبواب. وكان الحاكم يقوم بإعطائهم مرة أخرى لنفس الموظفين بعد صلاة

العصر لإغلاق الأبواب. كما كان الحاكم يفحص الموظفين والجنود شهريا عند دكة دار الطويلة.

وكان هناك موظف يدعى عريف الساحل يأتي بالعبيد المجلوبين من الشرق أو الغرب (بدون شك من النوبيين أو السواحليين) إلى الحاكم ثم إلى الرقيب الذي يختار المناسبين منهم لخدمة الديوان. بعد ذلك يقوم بكتابة أمر يسمح ببيع الباقي منهم للعامة أو لتجار العبيد. وفور وصول ناخوذة أو ربان سفينة سواء من الشرق أو من الغرب يجيء به عريف الساحل إلى الحاكم ثم إلى الرقيب حتى يكتب "ساتمي" (وهى كلمة كجراتية) أي قائمة الشحن بما يوجد في سفينته. وعلى سبيل المثال، كانت الأغنام المستوردة من أفريقيا توضع في زريبة خاصة حتى يقوم الديوان باختيار حصته منها. وكان الميناء يفتح فقط في حضور الحاكم والموظفين، وكان للحاكم موظف مسؤول عن جميع الحسابات، كما كان على كل الموظفين التواجد وقت جباية ضرائب الجمرك المسماة بالتعشير. وكان النظام يتطلب أن تحفظ قوائم الرسوم المفروضة في الأماكن الملائمة وأن يتعامل مع السلع المهمة والقابلة للهلاك على الفور. وكان الإعلان عن أي تغيير في الرسوم يتم عند باب الفرضة أو باب الميناء. وكان الرقيب يوقع على جميع بطاقات السفر للركاب والسفن ثم يوقع الحاكم عليها بعده. وكان يوجد منادي لكل من الحاكم والرقيب للإعلان عن وصول السفن. وكان الرقيب يتولى أيضا كل الوثائق التي

ترسل إلى الخزانة بالإضافة إلى مراقبة المراكب المستخدمة في نقل البضائع من السفن.

ومن الطبيعي أن تتغير إدارة الموانئ على مر العصور إلا إنني أود أن أستعرض سريعاً المعلومات التي جمعتها في سنة ١٩٦٧ في قلنسية وهو أحد موانئ جزيرة سقطرة. وبدون شك أن النظام القديم لم يتغير نتيجة للاحتكاك بالسلطات الأوروبية التي استعمرت سواحل بلاد المحيط الهندي. ومثل الموانئ الأخرى في الجزيرة العربية والمناطق المتاخمة لها، كان يوجد في قلنسية وظيفة أمير البحر مهمته استقبال ناخوذة السفينة في البحر الذي يقدم له بياناً بحمولة سفينته، وعندئذ يصاحب الناخوذة أمير البحر إلى الشاطئ للاتفاق على البضائع التي يريد الناخوذة بيعها أو شرائها. وهناك وظيفة مقدم البحر الذي كان من أحد مهامه حل أي نزاع قد ينشب بين الناخوذة وبين أصحاب المراكب التي تنقل البضائع. وكان عليه أيضاً جمع البضائع التي يلزم نقلها إلى الميناء أو حملها إلى السفينة. وكان يوجد مقدم آخر مسئول عن نقل البضائع و السلع من المستودعات إلى الميناء والعكس. وهناك قانون يحدد أسعار هذه الخدمات. وكان يوجد في قلنسية دلال واحد لديه رخصة رسمية للعمل، وفي حالة غيابه عن الميناء كان عليه أن يعين بديل أو نائب له. ولا يسمح إلا لزوارق سقطري بنقل البضائع، ويقوم الدلال بالتعامل مع التجار وعليه تبليغ مدير الجمرك الأسعار ونوعية البضائع الموردة أو المستوردة. ويقوم موظف الجمرك بتحصيل

الضريبة وكانت تسمى عشور وقيمتها ١٠٪ على البضائع. ويحصل الدلال على ١٠ ٪ من السلع الموردة و٢.٥ ٪ على السلع المستوردة.

ذكر القلقشندي أن البيع والشراء في عدن كان يتم على الشاطئ وربما كان ذلك أمام أسوار عدن القديمة، أو أمام باب الميناء أي باب الفرضة. وقد اندثرت تلك الأسوار كلية بعد استيلاء البريطانيين على عدن. وكانت مواعيد وصول السفن سواء من البحر الأحمر أو الهند أو أفريقيا معروفة تماما في عدن والشحر. كما ذكر القلقشندي أن مواسم السفن في عدن كانت معروفة، وكان الناخوذة يضع علم عليه رنك خاص به حتى يعرف التجار والناس به. وتوجد في مكتبات أوروبا عدة تقاويم تحتوي على مواعيد سفر السفن وحطوطها، بالإضافة إلى معلومات عن محاصيل ذات أهمية تجارية مما يعطينا فكرة عن حركة ميناء عدن. وهذه التقاويم يمكن تأريخها بشكل عام إلى القرن ١٥م، وهي تتبع التقويم الشمسي أو ما يسمى بالأشهر الرومية والتي لا تزال تستخدم في بعض المناطق مثل لحج. وكان من مصلحة أي ميناء معرفة موعد وصول أي سفينة بأسرع وقت حتى يتمكن من ضبط الأسعار. وكان يوجد في عدن نقطة لمراقبة السفن فوق جبل المنظر، ويأتي حارس النقطة بنبأ وصول السفن بأسرع طريقة، فكان يكافأ إذا كان الخبر صحيحاً أو يعاقب إذا ما كان خاطئاً. وأعتقد أنه كان يوجد في الشحر أيضا محطة لمراقبة السفن حيث وجدت في سنة ١٩٦٤ طريق معلم واضح فوق الجبل خلف المدينة، وكذلك آثار لبناء فوق قمة الجبل.

أما موقع الحصن البرتغالي في جزيرة سقطرى الواقع غرب مدينة سوق فوق نتوء الجبل، والذي اكتشفته بعثة كنت عضواً بها في سنة ١٩٦٧، فكان يسمح بمراقبة أي سفينة تقترب من الساحل سواء من الشرق أو من الغرب.

وقد جمعت في الجدول التالي معلومات مستقاة من التقاويم التي أقوم بتحقيقها، وهي مستمدة من مخطوطات بمكتبة ميلانو والمتحف البريطاني ومكتبة الفاتيكان:

تواريخ وصول وسفر السفن في عدن:

١٠ تشرين أول	وصول الموقاديشيين إلى عدن
١٩ تشرين أول	أول سفر للزيالع من عدن مع رياح أزياب إلى المغارة وهم يعودون مع رياح الشمال (في مخطوط المتحف البريطاني أسم بحر الملح)
٢٦ تشرين أول	وصول الظفاريين إلى عدن
١٩ تشرين ثاني	البحر مغلق والسفن لا تبحر
٢١ تشرين ثاني	وصول سفن ظفار إلى عدن (مخطوط المتحف البريطاني يؤرخه بيوم ٢٠)
٢٣ تشرين ثاني	وصول الموقاديشيين إلى عدن
١٧ كانون أول	سفر الموقاديشيين من عدن
٢٧ كانون أول	وصول الظفاريين إلى عدن
٣١ كانون أول	وصول المقاديشيين إلى عدن
١ كانون ثاني	وصول المقاديشيين إلى عدن (مخطوط الفاتيكان فقط)
٨ آذار	آخر السفر من الهند إلى عدن (مخطوط ميلانو

	مع تصحيح من مخطوط المتحف البريطاني)
١٣ آذار	إبحار السفن
٢١ آذار	أول السفر للديماني من عدن (مخطوط ميلانو مع تصحيح من مخطوط المتحف البريطاني الذي يؤرخه بيوم ٢٢)
٦ نيسان	أول السفر للمصريين إلى مصر
١٠ نيسان	وصول المصريين والهنود إلى عدن (مخطوط ميلانو)
	آخر السفر إلى مصر (مخطوط المتحف البريطاني)
٦ أيار	أول السفر للهنود من عدن
٢٤ أيار	آخر السفر للقيسيين من عدن
٣ حزيران	آخر السفر للقيسيين وللهرمزيين من عدن (مخطوط المتحف البريطاني)
٤ حزيران	آخر الوصول للهنود من عدن (مخطوط ميلانو)
	أول السفر للموقاديشيين من عدن (مخطوط المتحف البريطاني)
٦ حزيران	سفر الموقاديشيين من عدن
٢٦ حزيران	إبحار سفن الهند
٢٩ حزيران	أول حلول للبكارية من مصر
٣٠ حزيران	حلول المكارم من مصر إلى عدن (مخطوط المتحف البريطاني)
١١ تموز	إبحار سفن الهند من عدن
١٣ تموز	أول وصول للمكارم إلى عدن
٢٧ تموز	وصول المصريين إلى عدن
٤ آب	رحيل الموقاديشيين من عدن
١٨ آب	آخر سفر للهنود من عدن
٢٠ آب	سفر السيلانيين والصوماليين من عدن
٢٤ آب	أول سفر للديماني، السفر الأعظم
١ أيلول	أول سفر للكارم من عدن والمخا

٣ أيلول	آخر سفر للظفاريين والحضارم من عدن
٦ أيلول	آخر سفر للهنود من عدن
١٣ أيلول	سفر الهرمزيين و البربرة والقلهات من عدن (مخطوط المتحف البريطاني فقط)
٢٦ أيلول	وصول المو قداشيين من بلادهم إلى عدن
٢٨ أيلول	وصول سفن الشحر إلى عدن (مخطوط الفاتيكان فقط)

وقد قيل لي في زنجبار أن رياح الديماني تأتي من الجنوب غرب في شهور سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر. ومن المحتمل أن كلمتي المكارم والبكارية قد تكون محرفة من كلمة الكارمي وهو اللقب الذي أطلق على التجار من مصر. ومن المحتمل أيضاً أن تكون كلمة البكار مشتقة من كلمة هندية تعني تاجر إلا أن هذا الأمر لا يزال محض السؤال.

وصف ابن المجاور جباية الرسوم الجمركية في عدن في فترة حكم بني زريع، أي في القرن ١٢م حتى زمنه في منتصف القرن ١٣م. ونسب ابن المجاور تطبيق تعريفة الرسوم الجمركية زمن بني زريع إلى يهودي من نهاوند وهى مدينة في منطقة جبال في فارس. وفي الفترة الأيوبية أدخلت ضريبة تسمى الشواني (أي السفن الشراعية الكبيرة) وكان الغرض منها توفير مراكب حراسة للسفن ضد القراصنة. وفي البداية كانت الدولة تتولى صيانة مراكب الحراسة إلا أنه في سنة ٦١٣/١٢١٦-١٢١٧م تم تحويل مصاريف الصيانة إلى التجار

وأصبحت بند ضريبي إضافي. وتظهر هذه الضريبة في مخطوط **ملخص الفتن** على سلع معينة، كما يوجد في نفس المخطوط إشارات إلى عدد من التغييرات التي أدخلت على الرسوم الجمركية في تواريخ مختلفة خلال القرن ١٤م. وذكر ابن المجاور أن عدد السفن الراسية عند جبل صيرة تراوح بين ٧٠ و ٨٠ سفينة في كل عام، وكانت تحمل من عدن إلى تعز أربع صناديق تحتوي على دخل الرسوم الجمركية أربعة مرات في السنة. وكانت تشمل مكوس سفن الهند التجارية ومكوس الفوة الواصلة إلى عدن للتصدير، ومكوس الخيول المرسلة من عدن إلى الهند ومكوس السفن المسافرة إلى الهند، وكانت قيمة الأربع صناديق حوالي ١٥٠.٠٠٠ دينار. وذكر ابن المجاور أن جميع المسافرين كانوا يفتشون وحتى النساء، وكانت الرسوم الجمركية في عدن تقتضي بقسوة شديدة.

وتدل الإحصائيات التي يوفرها **ملخص الفتن** على أن بني رسول كانوا يحصلون من موانيهم على حاصل يبلغ ٢.٣٢٠.٥٠٠ دينار منها ١.٤٧٠.٠٠٠ دينار من ميناء عدن، وما لا يقل عن ٤٢٠.٠٠٠ دينار من ظفار، و ٢٠٠.٠٠٠ دينار من الشحر، و ١٠٠.٠٠٠ دينار من جدة، و ٥٠.٠٠٠ فقط من زبيد. كما كان كل ميناء يزودهم بكمية معينة من البضائع. وهو نفس النظام الذي كان متبع في الفترة العباسية الأولى في العراق. وبدون شك أن انخفاض التجارة في مواني جنوب الجزيرة العربية كان نتيجة اكتشاف طريق رأس أفريقيا إلى أوروبا وربما كان مرتبطا أيضا بطمع الولاة العثمانيين. وهناك حاشية في مخطوط ابن

المجاور في استانبول تذكر أن المخا كانت تستقبل ما بين ٤٠ و ٧٠ سفينة عائدها حوالي ١٥،٠٠٠ سكة حسنة، ولكن صار هذا العدد في سنة ١٠٠٥/١٥٩٦-١٥٩٧ يتراوح ما بين ١٧ و ٢٠ سفينة، في حين أن عدد السفن في عدن في تلك الفترة لم يتعد سفينتين.

ويحيط مدينة الشحر سور، ويقسمها المسيال إلى جزأين: بالجهة الغربية توجد حافة المجرف أي مكان الشباك الكبيرة الذي يعرف بالجريف، وبالجهة الشرقية توجد حافة الرملة حيث تجفف الأسماك. وهناك عدد من الحافات الأخرى أقدمها حافة القرية الذي كان بها في وقت ما سوق الخان وهو لم يعد معروفا الآن. كما كانت هناك أسواق أخرى مثل سوق اللخم وسوق الهنود وسوق شبام، ولا يوجد هنود بسوق الهنود. ولا يزال الصيد جانب مهم من حياة المدينة حيث يصدر السمك منه، ويقام إعداده في ساحات خاصة تسمى الأحواش. وكان يتزعم الصيادين واحد منهم وكان قانونهم العرفي يطبق من المعينة في الغرب إلى المدورة في الشرق. وكانت توجد قبور على الساحل أمام المدينة يقال أنها قبور شهداء قتلوا على أيدي البرتغاليين، ولكن يوجد مشهد صغير في أحد الحافات يعرف باسم قبر السبع شهداء. وتظهر في أقدم منطقة من ساحل الشحر بعض الطبقات بها أساسات لبيوت قديمة مبنية من اللبن وكذلك فخار من العصور الوسطى وقطع زجاجية وأساور. وقد قمت بتجميع عدد كبير من الفخار الصيني والفارسي في سنة ١٩٤٨ وهو موجود حاليا بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن.

قام البريطانيون بإدخال تغييرات في النظم الجمركية في الشحر. ولا يزال مبنى للجمرك موجود قريباً من الشاطئ حيث تحدد الرسوم على الأسماك المصدرة إلى الخارج. ويباشر مقدم الصيادين حركة الملاحة التجارية، وقانون الصيد والملاحة على درجة من التعقيد. وتوجد تجارة زيت السمك واللبان المستجلب من المناطق الجبلية خلف الشحر، وفي سنة ١٩٤٨ كان هناك حياكة النسيج السباعي ولكن كانت الخيوط تستورد من الهند. وترتبط كثير من العادات والتقاليد بمهنة السكان من ملاحة وصيد. وفي القرن ١٩م حلت المكلا محل الشحر لتصبح الميناء الرئيسي لساحل حضرموت مما أدى إلى اتساع المكلا وازدياد عدد حافاتها وتواجد التجار والصيادين الهنود والصوماليين.

كان يطلق على الحضارمة المسافرين من الشحر إلى شرق أفريقيا أسم الشحريين. وتعتبر مهنة الوكيل من المهن المهمة التي لعبت دور كبير في التجارة. وعلى سبيل المثال، كان المسافر من اليمن إلى شرق أفريقيا يطلب قبل سفره من تاجر وهو عادة ما يكون من نفس القرية أن يزود أهله باحتياجاتهم أثناء فترة غيابه، ومن وقت إلى آخر يرسل له مبالغ من المال ويقوم الوكيل بخصم المصاريف من الدَين. وكانت طريقة الاتصال قديماً بين شخص مقيم بعدن وأهله في القرية يتم عن طريق الجمّال (أي صاحب الجمل) الذي كان يسافر من عدن إلى المناطق الأخرى في اليمن على الأقل مرة في الشهر. وكان هؤلاء

الرجال يجمعون التصادير أي البضائع المرسلة ويعود الجمّال بالتعريف أي وصل الاستلام. وكان يوجد في عدن والشحر أيضاً وكلاء من جنسيات متعددة ومن مختلف الموانـي التجارية على طريق المحيط الهندي والبحر الأحمر. وكان النظام على درجة عالية من التعقيد، إذ يعهد التاجر ببضائعه للبيع في ميناء أجنبي ويؤمن الشخص نفسه بشراء سلع أخرى في مقابلها.

أما في الداخل، فكانت السلع تنقل من عدن والشحر إلى أطراف البلاد المختلفة بواسطة الجمال والحمير والبغال في المناطق الجبلية مما كان يحدد من وزن الحمولة. فعلى سبيل المثال، يستطيع الجمل أن يحمل حوالي ١٥٠ كيلو من البهار. ومن الطبيعي أن تختلف الأوزان والمعايير بين بلدة وأخرى. وإذا كانت النقود تستخدم في المدن فإن المقايضة كانت أسلوب التجارة الطبيعي في أماكن كثيرة. وكان الذهب شديد الندرة حتى سنة ١٩٦٢، وكانت العملات الذهبية تستخدم فقط في زينة مقابض خناجر السلاطين والشيوخ. وكانت الفضة هي العملة الرئيسية فأصبحت نقود الماريا تريزا ذات شعبية كبيرة ربما لأن وزنها كان ثابتاً. وعلى كل حال فإن النقود الفضية لم تتواجد بوفرة خارج الموانـي والمدن الكبيرة. وجعلت مشاكل عدم توفر النقود دور الدلال مهماً للغاية لدرجة أنه كان يقوم بجمع الضرائب للسلاطين في المدن الداخلية من حضرموت. وقد وجدت عملة نحاسية مملوكية في حبيل قريبا من لحج مع فخار يرجع إلى العصور الوسطى وأعتقد أن الكثير

من النقود الأجنبية كانت متداولة في عدن والشحر. أما السلع التي كانت تصدر من جنوب الجزيرة العربية تشمل المنسوجات واللبان والفوة والسمك والأحجار الشبه الكريمة وبعض الأواني المعدنية والأساور الزجاجية الملونة.

(تعليق المؤلف: لقد قدمت هذا البحث للمؤتمر الذي عقد في عام ١٩٦٨، ولكن منذ ذلك الوقت نشرت أعمال جديدة لها علاقة بنفس الموضوع، وخاصة كتاب: G. Tibbets, Arab Navigation, London 1971 ، ومجموعة مقالات Captain H. Grosset-Grange، ونشر G. Ferrand نصوص للنواخيذ في دمشق).

المراجع العربية:

ابن المجاور. **تاريخ المستبصر**. تحقيق O. Löfgren. ليدن، ١٩٥١.

رشيد بن فاضل بن سيف بن علي بن علي. **مجاري الهداية**. البحرين، ١٩٢٣/١٣٤١.

عيسى القتامي. **المختصر الخاص للمسافر والطوّاش والغوّاص**. بغداد، ١٩٢٤/١٣٤٣-١٩٢٥.

المراجع الغربية:

Admiralty, Hydrographic Department. *Red Sea and Gulf of Aden Pilot*, 10th edit. London, 1958.

Ferrand, G. *Instructions nautiques et routiers arabes et portugais*. Paris, 1921-28.

Grosset-Grange, H. "La navigation arabe de jadis", *Institut français de navigation*. (Avril et Octobre, 1969), pp. 227-36 & 437-48.

Hourani, F. *Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Mediaeval Times*. Princeton, 1951.

Johnstone, T.M. & Muir, J. "Some nautical terms in the Kuwaiti dialect of Arabic", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 27 (1964), pp. 299-332.

Serjeant, R.B. "Maritime Customary Law in the Indian Ocean", in *Sociétés et companies de commerce en Orient et dans l'Océan Indien, Actes du 8e Colloque International d'Histoire Maritime* (Beyrouth 5-10 September 1966). Paris, 1970.

Serjeant, R.B. *The Portuguese off the South Arabian Coast*. Oxford, 1963.

Shumovsky, T.A. *Tri neizvestnye Lotsii Akhmadae Ibn Madzhida, Arabskogo Lotsmana Vasco da-Gama*. Moscow, 1957.

Villiers, Alan. *Sons of Sindbad*. London-New York, 1940.

التجار والتجارة في اليمن من القرن ١٣م إلى القرن ١٦م*

ر.ب. سارجنت

كان نمط الحركة التجارية على طول ساحل جنوب غرب الجزيرة العربية من ظفار إلى جدة قبل عصر السفن التجارية محدد بالرياح الموسمية. فكانت السفن المشحونة بالبضائع من الهند تحط عند عدن التي كانت الميناء الرئيسي للمنطقة وكذلك عند ظفار والشحر، وربما تحط عند المخا أو البقعة أو الفازة مينائي زبيد، بالإضافة إلى موانـي أخرى أقل أهمية قبل الوصول إلى جدة. وكان غرب الجزيرة العربية مرتبطاً بدرجة أساسية بساحل إفريقيا وخاصة زيلع وموقاديشيو حتى سفالة في الموزمبيك. وكانت الدورة التجارية في الفترة ما قبل الإسلام تبدأ مع الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية عند دومة الجندل (وادي سرحان) عبر الخليج ثم دبا (في الإمارات) ثم عمان ثم الشحر وعدن وصنعاء وعكاز في الحجاز. وكان توقيت رحلة الصيف والشتاء لقريش يتوافق مع وصول السفن التجارية من الهند في الجنوب. ولكننا لا نعرف بالضبط عند أي مواني توقفت أو إذا كانت قوافل قريش تسير على طول ساحل تهامة أو في الداخل شرق المناطق الجبلية. وبدون شك أن

---

* مترجم عن:

R.B. Serjeant, "Yemeni Merchants and Trade in Yemen 13th-16th Centuries," in *Marchands et hommes d'affaires asiatiques dans l'Océan Indien et la Mer de Chine 13e-20e siècles*. Eds. Denys Lombard and Jean Aubin. Paris, 1988, 61-82.

البضائع المنقولة براً عبر مسافات شاسعة لابد وأنها كانت خفيفة الوزن ذات قيمة مرتفعة حتى تؤمن الربح.

التجار اليمنيون:

تعتبر القرون الثلاثة الأولى من الإسلام أكثر فترات تاريخ اليمن غموضاً. وذكر أبو مخرمة[1] أن عدن كانت جزيرة تنتقل منها البضائع في قوارب صغيرة إلى المكسر حيث تحمل فوق الجمال. وسمي المكسر بهذا الاسم لأنه الساحل الرملي للبر الرئيسي الذي تتكسر فوقه الأمواج. وبنى الفرس هناك جسر أعاد بناءه بعدهم شخص يدعى تلمساني. ولم تزدهر عدن بعد الإسلام إلا في عصر الزريعيين (القرن ٣-٤ هجري)، إذ كانت السفن تتجنبها قبل ذلك مفضلة الحطوط في الأهواب وغلافقة بدلاً منها. وفي النصف الأول من القرن ٦ /١٢ صاغ خلف النهاوندي وهو يهودي من أصل فارسي تعريفة لضرائب الميناء تسمى العشور[2]. وهناك رواية[3] عن يهودي أعطاه سلطان اليمن الذي لم يذكر اسمه الإشراف على أموال عدن، ''فأحدث الضرائب من التجار بأموالهم''، وهي أحد الأسباب التي أدت إلى مقتله على يد سفيان بن عبد الله الصوفي. ومن وقت لآخر، أدخل الحكام تعديلات على تعريفة الضرائب. ويعتبر مخطوط ملخص الفتن[4] وثيقة تحتوي معلومات مهمة عن هذا الموضوع.

وكان الحكام اليمنيون، سواء الذين حكموا من تعز أو من صنعاء (أو من عواصم أخرى) يعتمدون على عوائد الميناء بشكل رئيسي لدفع نفقات الجيش والإدارة والقبائل. وتخلصت حضرموت من سيطرة الحكام الرسوليين والزيديين بعد أن كانت تابعة لهم خلال فترات قصيرة ومتفاوتة، وهي سيطرة وجدوها مكلفة وغير عملية. وحكم موانى الشحر وظفار والمكلا سلاطين من القبائل المحلية، ولكن في بعض الأحيان تبعوا سيادة حاكم قوي في عدن. وهكذا كانت الشحر وظفار مضطرتان إلى دفع الضرائب إلى بني رسول. وكانت شبام العاصمة الاقتصادية لوادي حضرموت.

وبلغت أهمية عوائد ميناء عدن (١.٤٧٠.٠٠٠ دينار في سنة ١٤١١م)[٥] مما جعل بني رسول يهتمون بحماية التجار وتوطيد العلاقات معهم على الرغم من معاملة موظفيهم القاسية وابتزازهم رسوم إضافية منهم. وكان الأيوبيون قبلهم يجبرون التجار على دفع الأموال لهم، مثل الملك المسعود الذي أعلن عند سفره إلى مصر[٦] في سنة ٦٢٥ أو ٦٢٦ أن ينضم إليه أي تاجر يرغب في السفر إلى مصر. وبالفعل أتاه العديد منهم مع بضائعهم إلى عدن حيث أقترح عليهم المسعود أن يشتريها منهم حتى لا يدفعون العشور فكتب أسعار السلع وأعطاهم حوالات، ولكن لم يحصل معظمهم على أي شئ بالرغم من احتجاجاتهم الشديدة ولم يعرهم الملك المسعود أي اهتمام. ووضع طغتكين شواني في عدن لحماية مراكب التجار من القراصنة وبالتالي حلل العشور التي فرضها عليهم[٧].

وكانت عشور الشواني ١٠٪ من المكوس المفروضة ولكن جعلها الملك المسعود إضافية لها. وهذه الضريبة مذكورة في **ملخص الفتن**. ومن الأرجح أنه كان يوجد نظام المواكبة أي مرافقة المراكب لحمايتها من القراصنة والعواصف[٨].

وفي أغلب مناطق جنوب الجزيرة العربية، خاصة عند ضعف السلطة المركزية، كانت القوافل تتحرك تحت حماية القبائل وتدفع لهم مقابل ذلك فروض السيارة أو الخفارة، وغالباً ما كان الأسياد ورؤساء الحوط وكذلك مناصب الشيوخ في عصر بني رسول معفيين من دفعها. وتوجد في المناطق الزيدية من اليمن سماسر لإيواء المسافرين، وتتميز عمارتها بوجود صحن مربع تحيط به غرف. ويوجد العديد منها في صنعاء**. وقد أطلق عليها ابن رستة[٩] في النصف الثاني من القرن ٩/٣ الخانات. والخان والقيصرية والمصطلحات الأخرى هي في رأي أندريه ريموند André Raymond[١٠] مترادفة. وأول إشارة كتابية للخان ترجع إلى سنة ١٢١٣/٦١٢، وللقيصرية إلى سنة ١١٩٨/٥٩٤. أما السمسرة فهي كلمة يمنية بحتة حلت محل كلمة خان، ومن المحتمل أنها ترجع إلى القرن ٩ هجري/١٧م. وفي السنوات ٥٧١-١١٧٥/٥٧٩-١١٨٣ قام نائب عدن الأيوبي عثمان بن علي الزنجيلي الدمشقي ''بعمارة الفرضة المعروفة وبنى بها قيصرية وأسواق ودكاكين وكثر بها الناس في دولة

** تم وصف وتخطيط العديد من السماسر في كتاب صنعاء ل Serjeant & Lewcock

بني أيوب وتوطنها جماعة من كل فج''[11]، كما ذكر أبو مخرمة أن ابن الزنجيلي كان ''له مسجد بعدن ووقف عليه الخان الذي بعدن''[12]. وكان جوهر الصوفي[13] ''عبداً عتيقاً ... كان بزاز في الخان فإنه دكانا مشهوراً على ألسنة العوام أن الشيخ جوهر كان يتجر فيه وهو دكان مشهور بالبركة قل أن يتجر به أحد إلا وفتح الله عليه في دنياه''، وربما كان يتاجر جوهر مع الحبشة حيث توفي في سنة ٥٩٠/١١٩٤.

أما الملك المعز طغتكين الذي خلف الزنجيلي، فبنى بنايات ''جميعها دكاكين بالباب والقفل للعطارين قيصارية جديدة''[14]، ثم أعيد بناءها في زمن الملك المسعود[15]. وفي زبيد أمر السلطان المجاهد علي (٧٢١-٧٦٤/١٣٢١-١٣٦٢) ببناء الخان المجاهدي الجديد[16]. ولكن صار حريق في الخان وسوق المعاصر في سنة ٧٩٥-٧٩٦/١٣٩٢-١٣٩٣)[17]. ويذكر ابن الديبع أن القريشية هاجموا قرية المملاح في ظاهر زبيد ونهبوا القيصارية[18]. وربما كانت هذه القيصارية قريبة من الساحل ومن الأرجح أنها تختلف عن خان سوق زبيد. وفي سنة ٨٩٠/١٤٨٥ أدى زلزال إلى ترك الناس خان سوق زبيد بسرعة لدرجة أنهم نسوا نعولهم[19]. وأشار بن الديبع إلى دكاكين ابن الوجيه في القرن ٩/١٥، وهم بدون شك أجداد أسرة بيت الوجيه الحالية[20].

ويمكننا أن نتعرف على نظام تفتيش القيصارية من خلال أحد فتاوى الفقيه ابن جعمان (ت ١٠٣٤/١٦٢٤-١٦٢٥)[21]. كان المسئول

عن التفتيش يأتي إلى الزنابيل ليتعرف على أصحابها من التجار ويمضي عليها شهادات الشهود، ثم يعطي تاجر تذكرة بذلك. وإذا حدث أن فقد أحد التجار التذكرة يقوم المفتش بحجز زنبيل حرير لا يرجعه إلا بعد أن يدفع التاجر مبلغ ٧٠ درهم كبير. وقد ذكرت سابقاً[٢٢] عن نظام مينائي عدن والشحر حيث كانت مواعيد وصول السفن وسفرها معروفة ومدونة في تقاويم تسجل على حسب الأشهر الرومية مواعيد سفر ووصول الموقاديشيين والظفاريين والمصريين والهنود والقيسيين والهرمزيين وبنو كارية والكارم والبربري والقلهتي والسيلانى والصومالي. وعلى كل سفينة قادمة إلى ميناء عدن أن تقدم إلى والي عدن بياناً بحمولتها وقائمة بالتجار المسافرين عليها. وعند نزول التجار وبضائعهم من السفينة يقوم موظفو الميناء بتفتيشهم. وذكر ابن المجاور متاعب التجار والمسافرين بما فيهم النساء أثناء التفتيش[٢٣]. كما ذكر ابن فضل الله العمري أن معظم ثراء عدن يأتي من تجار الهند ومصر والحبشة[٢٤].

وفي عصر بني رسول كانت خزانة عدن ترسل إلى عاصمتهم تعز أربع مرات في السنة ويصحبها بعض من أعيان التجار[٢٥]. وعلى سبيل المثال، وصلت الخزانة السعيدة تعز في سنة ١٤١٤/٨١٧ مع جماعة من كبار التجار ومعهم من الذهب والفضة والبضائع الثمينة ما يعادل أكثر من عشر لكوك. وفي سنة ١٤٣١/٨٣٤[٢٦] كان سيد الوزراء يصحب الخزانة مع جماعة من التجار والنواخيذ ومعهم هدية للسلطان،

وكانت الخزانة تشمل أيضا الصيني والبلور والبز المصري والشيرازي والعراقي بما يزيد على خمسة لكوك[27].

وكان سلاطين بني رسول يهتمون بالتجار عند تواجدهم بعدن، فمثلاً عندما قام السلطان المؤيد داود بزيارة عدن في سنة ١٢٩٩/٦٩٨ "قدم التجار المقيمون بالثغر التقاديم النفيسة على عوائد الملوك فردها السلطان وأمر بإضافة الخلع عليهم والتشاريف والمراكب من البغال المختارة بالعدد الكاملة والسروج المذهبة والزنانير المنوعة. وأجرى نواخيذ الهند على جاري عادتهم وأمر بإكرام النواخيذ والتجار المترددة إلى الثغر المحروس وأمر بإبطال ضمان بيت الخل وأقام بفضله موسم العدل. وشاهد موسم الخيل من باب الطويلة وسارت النواخيذ والتجار الكارمية ناشرين لواء عدله في أمصارهم"[28]. وذكر **ملخص الفتن** ومصادر أخرى تصدير الخيول من الجزيرة العربية إلى الهند[29].

وكثيراً ما أشار المؤرخون إلى إلغاء السلاطين للضرائب التي فرضها موظفيهم بشكل تعسفي. غير أن بعضهم اتصف بالعدل مثل القاضي الجنيد الذي زود معاشه السلطان المظفر يوسف عندما أثنى عليه التجار، مما يدل أنه كان يسمع برأي التجار في بعض المسائل[30]. وفي سنة ١٤١٣/٨١٦-١٤١٤ وصل القاضي مفلح التركي إلى اليمن من مكة مع تجار ومعه المال الذي أخذه الشريف حسن بن عجلان على القاضي وجيه الدين[31]. وعندما قابله السلطان صفح عن التجار الواصلين العشور

في تلك السنة: ''وأمر مولانا السلطان سائر المتصرفين في البنادر والسواحل ببسط العدل والرفق لسائر التجار والمتسببين''.

وكان أعيان التجار على درجة أعلى من المدككين، فعلى سبيل المثال كان التجار في المرتبة الثانية بعد العلماء عند استقبال أهل زبيد للقائد سرور في العصر النجاحي[٣٢]. ذكرت المصادر التاريخية العديد من أسماء التجار المهمين، مثل إدريس السراج الذي عاش في عدن قبل أن ينتقل إلى جدة والذي ذكره أبو مخرمة[٣٣]، وغبن العفيف الذي ذكره السخاوي[٣٤]. وقد نظم التجار أنفسهم وعينوا رئيساً لهم. وفي سنة ١٤٢٤/٨٢٧ وصل بعد حوادث في وصاب، ''مشائخ التجار إلى الباب الشريف مستذمين فصفح عنهم مولانا السلطان الملك الناصر وقابلهم بكل خير''[٣٥]. وفي سنة ١٣٠٦/٧٠٦ توفي رئيس تجار اليمن أحمد السعدي العدني عن ٢٥ عام، وكان المقريزي قد التقى به في القاهرة[٣٦]. ومن المحتمل أن المنصب كان يتوارث أباً عن جد، مثل موسى بن علي الصنعاني العدني الذي تبع والده في منصب رياسة التجار والمتجر السلطاني[٣٧].

وكان الفاطميون في القاهرة أول من أدخل نظام المتجر السلطاني[٣٨]. ولكن يبدو لي أن أول دليل على وجوده في اليمن يرجع إلى عصر الملك الأشرف إسماعيل الذي أمر ببناء متجر بزبيد في ربيع أول سنة ٧٩٨/ ديسمبر- يناير ١٣٩٥-١٣٩٦[٣٩]. والغريب أن هذا المتجر لم

يذكره **ملخص الفتن**، غير أن المصدر نفسه يضم قائمة كاملة بموظفي متجر عدن. وكان بعض التجار يتاجرون للسلطان مثل ابن الحداد في عصر السلطان الناصر أحمد[٤٠]، والتوريزي الذي أتى إلى عدن من مكة وتولى المتجر السلطاني ثم رجع إلى مكة بعد عزله من منصبه[٤١]. أما القاضي نور الدين الحميري فكانت له الوكالتين: المتجر والساحل في سنة ١٤٣١/٨٣٥[٤٢]. وكلمة وكالة هنا ربما هي بالمعنى المصري كمخزن وفندق.

وكان الناظر أهم موظفي الميناء في عدن بعد الوالي وكانت وظيفته إدارية بالدرجة الأولى، إلى جانب أن مسئوليته كانت تشمل الجمرك. وكثيراً ما كان يوجد في الميناء موظفون من بلاد أخرى مثل رجل فارسي الأصل[٤٣] قدم إلى عدن وكان لديه خبرة في الكتابة فطلب منه السلطان أن يتولى ديوان النظر بالثغر. وكان هذا الشخص يعمل كل يوم سماط يحضره جمع كثير من التجار والفقراء إلا انه كان فيه عسف وجبور فيما تولاه من النظر، فاشتكي أهل عدن إلى السلطان فضرب وعصر وصودر فسلم ٣٠ ألف دينار، ثم مات ضمناً من العذاب بعد سنة ١٢٦٢/٦٦٠. وذكر أبو مخرمة[٤٤] أن بعض من أهل مصر ولي نظر عدن في أيام الأشرف إسماعيل. وكذلك تولى أحد تجار المهجم واسمه ابن هليس نظارة عدن في عصر الأشرف إسماعيل عدن[٤٥]. وكان هناك تاجر يمني من الحجر عينه السلطان الطاهري علي بن طاهر بحكم الوكالة بميناء عدن كما أنه باشر وقف تعز[٤٦]. ووصف أبو مخرمة

أهل عدن بأن ''غالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ومقادشة وجبالية وأهل ذبحان وزيالع وبرابر وحبوش وقد التأم إليها من كل بقعة ومن كل أرض وتمولوا فصاروا أصحاب خير ونعم وغالب أهلها حبوش وبرابر''[٤٧]، كما أنه ذكر الشاميين والمغاربة المقيمين في عدن. وفي منتصف القرن العشرين كان السوريون يبيعون القماش في سوق الزعفران بعدن. ولم يذكر أبو مخرمة التجار اليهود والهندوس ولكن يمكننا أن نكون فكرة عن نشاطهم من خلال دراسة جويتاين Goitein ، ومن كتاب Hunter الذي يعطي فكرة جيدة عن تجار عدن خلال القرن ١٩م[٤٨].

التجار الكارم:

صدرت خلال السنوات الأخيرة عدة دراسات مهمة حول التجار الكارم. وفي رأي جويتاين Goitein[٤٩] كان الكارم في القرن ١٢م مجموعة من النواخيذ أو أصحاب السفن التجارية. وقد بينت في كتابي *The Portuguese off the South Arabian Coast* كيف كان يتم الإشعار بالإبحار وإبرام العقود لنقل البضائع والأشخاص[٥٠]. ووضع ابن ماجد في أواخر القرن ١٥م[٥١] قواعد السلوك مع التجار في السفينة، فكان على الربان أن يستمع لشكواهم وأن لا يتسامح مع أي تمرد أو عصيان منهم في المسائل البحرية، وأن لا يشتكي من شخص أمام آخر ولا يظلم أحد. وعليه أن يُكون رأياً عن شخصياتهم قبل السفر حتى يصبح عنده فكرة عن ما يمكنه أن يتوقع منهم في حالة قيام عاصفة أثناء الرحلة.

ويعتقد جويتاين Goitein [52] أن وصول التجار الكارم إلى مراكز هامة في العصريين الأيوبي والمملوكي بدأ في العصر الفاطمي. وكان الأسطول الفاطمي المتركز في عيذاب يوفر حماية ضد أعمال القرصنة.

يعتبر عبد الله الأموي العثماني من الإسكندرية أول تاجر كارمي وصل إلى اليمن طبقاً للمصادر التاريخية التي أطلعت عليها. وكان تاجر للبز عمل في تجارته في النصف الثاني من القرن ١٢م، كما كان رجل علم دارساً للحديث [53]. وفي ذلك الوقت كان نفوذ التجار لا يزال محدوداً، وعاملهم نور الدين عمر بشدة عند دخوله عدن في سنة ١٢٢٧/٦٢٤ عندما وجد أن أسعار الفوة قد ارتفعت قبل تغيير الرياح وسفر السفن إلى الهند. وفي العام التالي قام المنصور عمر بحجز جميع البهار بسعر حدده هو وباعه بالقوة إلى أهل الكارم بربح ٥٠٪. كما أخذ النحاس (الصفر) من الكارم وباعه لغيرهم بربح ٣٣٪ ''حسب الفلفل البهار بأربعين دينار وطرحه على أهل الكارم بستين دينار وأخذ الصفر من أهل الكارم على سعر البهار بستين دينار طرحه على أصحاب الحف بثمانين دينار وأعطى أصحاب الفلفل الفوة على سعر البهار بأربعة وثمانين دينار ويأخذ البهار بهار وربع وإذا أعطى البهار بهار إلا ربع ويخرج بعد ذلك من هذه البضائع الواصلة العشور والشواني ودار الوكالة ودار الزكوة والدلالة،، [54].

وروي الخزرجي[٥٥] واقعة أخرى تبين الضغوط التي تعرض إليها كبار التجار في أواخر القرن ١٣/٧، وهي تتعلق بعبد العزيز بن منصور الكولمي الكارمي. وكان أصله من حلب ثم رحل إلى بغداد ومنها إلى الهند عند طريق جزر كيش وهرمز ووصل إلى الصين التي دخلها خمس مرات. ولما سافر من الهند إلى عدن في سنة ١٣٠٣/٧٠٣-١٣٠٤ توجه إلى السلطان المؤيد داود فقدم له هدايا عيناً وتحفاً من الحرير والبهار والمسك والفخار الصيني والأواني المطعمة بالذهب ''فبرز المرسوم بقبولها وأفاض السلطان عليه خلعاً نفيسة وأعطاه المراكب السنية. وكتب عوضاً عما قدمه بأضعاف ذلك ... وخير بين السفر والإقامة فاختار الرحلة إلى مصر''.

أما نور الدين الفارقي أحد التجار الكارم الذي أتى إلى اليمن في عصر المجاهد علي، فنال من السلطان الاستحسان وتم تعيينه في الخدمة السلطانية حيث ترقى بها حتى أصبح مشد الدواوين. وذكر عنه أبو مخرمة: ''وكان محبوباً إلى الرعية لحسن طريقته مبغضاً إلى النواب والكتاب لتحقيقه وتدقيقه وكذلك عند سائر غلمان السلطان وأكلة مال الديوان فرموه عن قوس واحدة وتحدثوا عليه عند السلطان بصحيح وغير صحيح فأمر المجاهد بالقبض عليه. فلما علم بذلك هرب من زبيد إلى بيت الفقيه ابن عجيل وتجور هناك فكان هربه تصديقاً لما قيل عنه فأمر السلطان من قبضه هناك فقبض وصودر مصادرة قبيحة حتى توفي في المصادرة وذلك في آخر سنة ٧٣٧. والظاهر أن قدومه من الديار

المصرية إلى عدن لأن تجار الكارم إنما يأتون إلى عدن''[56]، مما يعني أنهم لم يحطوا في المواني الأخرى.

وعندما أسر المصريون السلطان المجاهد أثناء الحج في سنة ١٣٥١/٧٥١، قامت أمه بتزويده بالمال أثناء حبسه في مصر عن طريق التجار الكارم. وفي سنة ١٣٧٥/٧٧٦ ''أفشى (السلطان الأفضل عباس) العدل على التجار وأرباب الأسفار في البر والبحر وأنعم على النواخيذ''[57]. وفي سنة ١٣٨٦/٧٨٩ وصل القاضي نور الدين علي بن عمر المحلي التاجر الكارمي بهدية جليلة من الديار المصرية إلى السلطان. في حين أن القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلي المصري التاجر الكارمي وصل في سنة ١٣٨٧/٧٩٠ ''بهدية جليلة المقدار فيها من المأكول والمشروب والملبوس والمشموم ومن التحف شئ كثير ومن الخيل والبغال وكلاب الصيد وسباع الطير ما يستحسن''[58]. ونجد ضمن أسماء تجار الكارم اسم خضر الرومي[59]، واسم ابن هليس المصري الذي أتى إلى اليمن في سنة ١٣٩٧/٨٠٠-١٣٩٨ ومكث في المهجم ولكنه رجع إلى مصر بعد أربعين سنة[60]. وذكر ابن ماجد في أواخر القرن ١٥م أن التجار الكارم لا يزالون يسافرون إلى الهند، ولكن من الأرجح أنهم لم يستمروا بعد وصول البرتغال في البحر الأحمر[61].

البانيان وتجارة الهند:

من المؤكد أن تواجد التجار الهندوس في عدن كان مبكراً على الرغم من أن أقدم إشارة إلى خافة البانيان في المصادر التاريخية المعروفة حتى الآن ترجع إلى سنة ١٣٨٤/٧٨٦. ويبدو أن تجارتهم الرئيسية هناك كانت في النسيج، ثم صاروا تجار للبن والطنباق في المخا. وعندما وصل الرحالة الفرنسي لاروك la Roque إلى عدن قام كبار التجار البانيان بزيارته وعرض عليه خدماتهم. وذكر لاروك أنهم كانوا يقومون بمباشرة كل التجارة في الجزيرة العربية وأن العرب يكرهونهم[٦٢]. وخلال القرن ١٦/٩، اتبع معهم الأمير صفي الإسلام نهج بني رسول في معاملتهم مع الأجانب. وبعد أن هاجم البرتغال عدن في سنة ١٦٦٢/١٠٧٨ أتى الأمير صفي الإسلام إلى عدن حيث قابل التجار الهندوس وعاملهم معاملة حسنة. وبعد تفقده الميناء أمر بإعادة بناءه لما وجد أنه في حالة يرثى لها. وقام الأمير بإعطاء كل ناخوذة حصان هدية وكتب إلى ملك الهند مع هدايا من الخيل[٦٣]. وعندما استولى البريطانيون على عدن كان عدد سكانها ٦٠٠ نسمة من ضمنهم ٢٥٠ يهودي و ٥٠ هندوسي. وكان للهندوس معبد في كريتر[٦٤].

وكان يوجد بانيان في شهارة، كما كان لهم خان في بير العزب في صنعاء في القرن ١٨م. ولم تخلو مدينة في اليمن في زمن الإمام المتوكل من تجارهم، وكان الناس يقترضون الأموال منهم حتى صارت تجاههم عداوة من قبل التجار اليمنيين. وقام الإمام بحمايتهم إلا انه

أمرهم بدفع جزية قدرها قرش شهرياً ولكن اعترض بعضهم على ذلك ورجعوا إلى الهند. وفي القرن ١٨م أيضاً قامَ البعض من قبيلة يافع بنهب خان الهندوس عندما شنوا غارة على مدينة إب. وفي القرن ١٩م وصل عددهم في صنعاء إلى ثلاثة، ولكنه كان يوجد عدد لا بأس به حتى الحرب العالمية الأولى. وكان يترأسهم واحد منهم، كما كانوا يكونون مجتمع مغلق ويسافرون إلى الهند عندما أرادوا الزواج. وكتب عنهم بعض الرحالة مثل جون جوردان John Jourdain في سنة ١٦٠٩[٦٥]. وفي النصف الثاني من القرن ١٧/١١ ذكر الجرموزي أنه كان يوجد حوالي ٣٠٠ من الهنود البراهمة في الشحر وكانت عليهم ضريبة. وذكر ابن جعمان فتوى تتعلق برجل ترك أمانة مع بانيان. ولهم عادة غريبة وهي عندما يفلس واحد منهم يضئ مصابيح في النهار فيأتي أصحاب الدَين لتقسيم ما تبقى عنده[٦٦].

وفي أوج العصر الرسولي كان التجار الهنود يأتون أحياناً بالهدايا من الحكام الهنود، وكثيراً ما كانت هذه الهدايا ذات أهمية مثل نباتات نادرة لحديقة السلطان. وذكرت المصادر أكثر من مرة مدينة كاليكت كمصدر لتلك الهدايا، كما أنها أشارت إلى ما قد يعفو عنه سلطان أو آخر من ضرائب وعشور من حين لحين. ففي سنة ١٤٣٣/٨٣٦ وصل الناخوذة كروة أمام السلطان أحمد بصحبة الخزانة، ويبدو أنه اشتكى من موظفي الميناء إذ أنه ''برز المرسوم العالي إلى القاضي رضي الدين بأن لا يؤخذ من تجار كاليقوط غير العشور وسمح لهم القواعد

وغيرها ... وكسى الناخوذة كسوة فاخرة وسمح له مولانـا السلطان شيئاً من العشور وطابت خواطر التجار''[٦٧]. ووصلت هدايا من البنجالـة فـي سنة ١٣٨١/٧٨٣-١٣٨٢، وفي سنة ١٣٩١/٧٩٣، ومن صاحب كنباية في سنة ١٤٢٤/٨٢٧ يصحبها الناخوذة ناصة ''وفيها مـن سائر التحف والأطياب والبز المفتخر والفرش والحرير وغير ذلك''[٦٨].

الحملات البحرية الصينية وجنوب الجزيرة العربية في القرن ١٥م:

على الرغم من أن تجارة السلع الصينية كانت نشطة للغاية إلا أنـه نادراً ما كانت السفن الصينية تحط في مواني الجزيرة العربية. ومن وقت لآخر اهتم الصينيون بأحداث الجزيرة العربية، فعلى سبيل المثـال، وصل إلى السلطان المظفر هدايا من ملوك عمان والصين بعد أن استولى على ظفار في سنة ١٢٧٩/٦٧٨-١٢٨٠[٦٩]. وتعتبر البعثات البحريـة الاستكشافية التي قام بها "تشنج هو" باسم إمبراطور المينغ بين السنوات ١٤٠٥ و ١٤٣٣ جديدة من نوعها إذ أنها أسفرت عن احتكاك مباشر بين الصين والعالم الإسلامي. وبالطبع أن التجارة مع بلدان المحيط الهندي كانت العامل الأساسي وراء تلك البعثات. وقام الصينيون في البعثات الخامسة والسادسة والسابعة بزيارة كل من عدن والاحساء وظفار وهرمز ومواني شرق إفريقيا، ومن الغريب أن الشحر لم تذكر في قائمة المواني[٧٠]. وقد قام ميلز Mills بدراسة تفصيلية لرواية ماهوان[٧١] وهو المترجم المسلم الذي صحب تشنج هو، ولكن لا توجد مقارنة بيـن روايـة ماهوان وما ذكره المؤرخون العرب عن قدوم الصينيين إلى شواطئهم.

وقد سجل المؤرخ الرسولي المجهول[٧٢] أنه في سنة ١٤١٩/٨٢١ ''وصل مراكب الزنك إلى الثغر المحروس ومعهم رسول من صاحب الصين بهدية سنية لمولانا السلطان الملك الناصر في شهر ذي الحجة الحرام وكان السلطان في الجند وزفت هدية صاحب الصين إليه وكانت هدية فاخرة فيها من أنواع التحف والثياب والكمخات المذهبة المفتخرة والمسك العال والعود الرطب والأنية الصيني أنواع كثيرة قومت الهدية بعشرين ألف مثقال''. ووصف ابن الديبع ومؤرخون آخرون زيارة المبعوث الصيني، وربما كانت في زبيد في سنة ١٤٢٠/٨٢٣: ''قدم عليه قاصد صاحب الصين بثلاثة مراكب عظيمة فيها من الهدايا النفيسة ما قيمته عشرون لكاً من الذهب فاجتمع قاصده بالملك الناصر فلم يقبل الأرض بل قال له سيدك صاحب الصين يسلم عليك ويوصيك بالعدل في رعيتك فقال له مرحباً لك ونعم المجيء جئت وأكرمه وأسكنه دار الضيافة ثم كتب الناصر لصاحب الصين كتاباً يقول فيه الأمر أمرك والبلد بلدك وهذا الخطاب عن قاصد ملك الصين للملك الناصر العاري من اللطافة المتسربل بالكثافة يصدق الكلام الدائر على الألسنة من قولهم ملك الصين يظن أن كل الناس عبيده''[٧٣]. ويتطابق هذا الوصف مع الرواية الصينية لزيارة المبعوث "تشو" مع ثلاث سفن[٧٤] إلا أن التاريخ يختلف فعلى حساب ميلز Mills يكون ١٤٢١[٧٥]. وهناك وصف موجز للرحلة السابعة لتشنج في سنة ١٤٣٢/٨٣٥: ''وصل ناخوذة الزنك وهو خادم صاحب الصين بالهدية لمولانا السلطان إلى لحج ووصل صحبته

مولانا سيد الوزراء"[٧٦]. ولا تعطي المصادر العربية أي دليل لتطور هذه البعثات، ويستنتج ميلز أن الإمبراطور الصيني لم يدرك أهمية القوة البحرية وفقد أي اهتمام في أي توسع بحري ولذلك لم تتكرر هذه البعثات[٧٧].



الحواشي:

[١] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ١، ص ٨ وبعدها.
[٢] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ١، ص ٥٨.
[٣] الشرجي ١٣٢١/١٩٠٣، ص ٥٦ وبعدها.
[٤] أنظر: C. Cahen & R.B. Serjeant, "A Fiscal Survey of the Medieval Yemen", *Arabica* 4 (1957), 1.
[٥] **ملخص الفتن**، ١٧ب.
[٦] الشرجي ١٣٢١/١٩٠٣، ص ٦٨.
[٧] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ١، ص ٦١.
[٨] Serjeant 1970, 199.
[٩] Serjeant & Lewcock, 1983, 128b.
[١٠] Raymond, 1974, I, 199.
[١١] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ١، ص ١٠.
[١٢] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ٢، ص ١٣١.
[١٣] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ٢، ص ٣٩.
[١٤] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ١، ص ٩٤.
[١٥] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ١، ص ٤٩، ٢، ص ٢٢٣.
[١٦] الخزرجي، ١٩٠٦-١٩١٨، ١، ص ٣٦٣.
[١٧] الخزرجي، ١٩٠٦-١٩١٨، ٢، ٢.
[١٨] ابن الديبع، ١٩٧٩، ص ١٧٤.
[١٩] ابن الديبع، ١٩٣١-١٣٩٨/١٩٧١-١٩٧٧، ٢، ص ١٣٧، ابن الديبع ١٩٧٩، ص ١١٣.
[٢٠] ابن الديبع ١٩٧٩، ص ١٦٥.
[٢١] إبراهيم بن محمد بن جعمان، **فتاوى**، مخطوط في حوزة المؤلف. كان ابن جعمان مفتي شافعي.
[٢٢] مقالة المؤلف عن مينائي عدن والشحر.
[٢٣] ابن المجاور، ١٩٥١-١٩٥٤، ص ١٣٩.
[٢٤] أيمن فؤاد سيد، **باب اليمن من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، القاهرة، ص ٤٩.
[٢٥] انظر 'خزانة' في الفهرس في Yajima, 1974، و Serjeant & Lewcock, 1983, 68a.
[٢٦] Yajima, 1974 ، ص ٦٣.
[٢٧] Yajima, 1974، ص ١٤٢.
[٢٨] الخزرجي، ١٩٠٦-١٩٠٨، ج ١، ص ٢٨٥.

[٢٩] انظر الحاشية ٤.
[٣٠] الخزرجي، ١٩٠٦-١٩٠٨، ج ١، ص ٢٥٢.
[٣١] Yajima, 1974، ص ٩٠، ١٠٢.
[٣٢] عمارة في H. Cassels Kay, *Yaman : Its Early Medieaval History*, London, 1892, p. 120.
[٣٣] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ١، ص ١٦، و٢، ص ٢٢.
[٣٤] السخاوي، ١٣٥٣/١٩٣٤، ٢، ص ٤٥.
[٣٥] Yajima, 1974، ص ١١٧.
[٣٦] السخاوي، ١٣٥٣/١٩٣٤، ٢، ص ٤٥.
[٣٧] السخاوي، ١٣٥٣/١٩٣٤، ج ١٠، ص ١٨٣ رقم ٧٨٣. كان ماهراً في الإدارة والكتابة.
[٣٨] ربيع، ١٩٧٢، ص ٩٢.
[٣٩] ابن الديبع، ١٩٧٩، ص ١٠٠.
[٤٠] السخاوي، ١٣٥٣/١٩٣٤، ج ٦، ص ٧٤، و٥، ص ٢٤٩.
[٤١] السخاوي، ١٣٥٣/١٩٣٤، ج ١٠، ص ١٠ رقم ١٤.
[٤٢] Yajima, 1974، ص ١٤٤، والسخاوي، ج ٥، ص ٥٠ رقم ١٣٨، يذكر اسم علي بن يحيى الصعدي المسمى ابن جميع وكان من أعيان تجار اليمن الذي عينه السلطان الرسولي للإشراف على متجر عدن.
[٤٣] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ج ٢، ص ٢٢١.
[٤٤] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ج ١، ص ١٠.
[٤٥] السخاوي، ١٣٥٣/١٩٣٤، ج ٦، ص ١٥٤ رقم ٤٨٩.
[٤٦] السخاوي، ١٣٥٣/١٩٣٤، ج ٤، ص ٢٠٨ رقم ٥٢٩.
[٤٧] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ج ١، ص ٢٣، ٥٤.
[٤٨] انظر: Goitein 1966. F.M. Hunter, *An Account of the British Settlement of Aden in Arabia*, Edinburgh, 1877, p. 36
[٤٩] Goitein 1966، ص ٣٥٨.
[٥٠] Serjeant 1963, p. 34 sq.
[٥١] G.R. Tibbetts, *Arab Navigation in the Indian Ocean before the Coming of the Portuguese*, London, 1971, p. 388, p. 61 sq.
[٥٢] Goitein 1966، ص ٣٥٩.
[٥٣] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ج ٢، ص ١١٥-١١٦.
[٥٤] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ج ١، ص ٦٨ وبعدها.
[٥٥] R.B. Serjeant, "Pottery and Glass Fragments from the Aden Littoral", in 1981, XI, p. 113.
[٥٦] أبو مخرمة، ١٩٣٦-١٩٥٠، ج ٢، ص ١٣٧ وبعدها.
[٥٧] Yajima, 1974، ص ٣٤.

[58] الخزرجي، ١٩٠٦-١٩١٨، ١، ص ١٩٣، ١٩٨.
[59] السخاوي ١٣٥٣/١٩٣٤، ج ٣، ص ٧٨ رقم ٦٩٤.
[60] السخاوي ١٣٥٣/١٩٣٤، ج ١١، ص ١٩ رقم ٥١.
[61] *Instructions nautiques*, ed. G. Ferrand, Paris, 1921-1928, I, p. 60r., Tibbetts, 1971, p. 527.
[62] Serjeant, "Omani Naval Activities off the Southern Arabian Coast in the Late 11th/17th Century Yemeni Chronicles", *Journal of Oman Studies* VI (1983), p. 86b-87a.
[63] Serjeant, 1963, p. 122 sq.
[64] J. Kirkman and B. Does, "The First Days of British Aden", in *Arabian Studies* II (1975), p. 187.
[65] Serjeant & Lewcock, 1983, p. 245b.
[66] للمقارنة انظر: Serjeant & Lewcock, 1983, p. 435a.
[67] C.H. Allen, "The Indian Merchant Community of Masqat", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 44, 1, 1981, pp. 39-53.
[68] Yajima, 1974، ص ١٦١.
[69] Yajima, 1974، ص ٤٠، ١١٧.
[70] الخزرجي، ١٩٠٦-١٩١٨، ١، ص ٢١٣.
[71] J.V.G. Mills, *Ying-yai Sheng-lan: The Overall Survey of the Ocean's Shores*, 1433, Hakluyt Society extra series, Cambridge, 1970, XLII, p. 347.
[72] Mills, 1970, p. 151 sq.
[73] Yajima, 1974، ص ١٠٥-١٠٦.
[74] ابن الديبع، ١٩٧٩، ص ١٦٤. ابن الديبع، ١٩٣١-١٣٩٨/١٩٧١-١٩٧٧، ٢، ص ١٢٣-١٢٤.
[75] Mills, 1970, p. 154 sq.
[76] Mills, 1970, p. 14.
[77] Yajima, 1974، ص ١٤٥.
[78] Mills, 1970, p. 34

المراجع:

أبو بكر بن أحمد الخطيب الأنصاري التريمي (ت ١٣٥٦)
الفتاوى النافعة، تحقيق سليم بن حافظ... بن الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي، القاهرة، ١٣٧٩/١٩٦٠.

أبو مخرمة، تحقيق أوسكار لوفغرين O. Löfgren
Texte zur Kenntnis der Stadt Aden im Mittelalter, Upsalla, 1936-1950.

ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي
قرة العيون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، ١٣٩١-١٣٩٨/١٩٧١-١٩٧٧.
بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي، صنعاء، ١٩٧٩.

ابن المجاور
تاريخ المستبصر، تحقيق أوسكار لوفغرين O. Löfgren، *Descriptio Arabiae Meridionalis*, Upssala, 1951-54.

ابن جعمان، ابراهيم بن محمد
فتاوى، (مخطوط في حوزة المؤلف)

الجرموزي، الحسن بن المطهر
السيرة المتوكلية، نسخة مصورة عن مخطوط في المكتبة السلطانية بالمكلا.

الخزرجي، علي بن الحسن
العقود اللؤلؤية، تحقيق محمد عسل، جزآن، ليدن-لندن، ١٩٠٦-١٩٠٨.

المحبي
خلاصة الأثر، القاهرة، ١٢٨٤/١٨٦٧.

الشرجي
طبقات الخواص، القاهرة، ١٣٢١/١٩٠٣.
السخاوي، الضوء اللامع، القاهرة، ١٣٥٣/١٩٣٤.

Goitein, S.D.
Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, 1966.
--------------. *A Mediterranean Society, I :Economic Foundations*, Berkeley-Los Angeles, 1967.

Ingrams, W. H.
Report on the Social, Economic and Political Condition of the Hadramaut, H.M.S. Colonial Series 123, London, 1937.

Rabie, Hassanein,
The Financial Systems of Egypt A.H. 564-741/1169-1341, Oxford, 1972.

Raymond, A .*Artisans et commerçants au Caire au 18e siècle*, 2 vols Damas, 1974.

Serjeant, R.B .*The Saiyids of Hadramawt*, London, 1957.
--------------. *The Portuguese off the South Arabian Coast*, Oxford, 1963; reprint Beirut, 1974.
--------------. Maritime Customary Law off the Arabian Coasts", in M. Mollat, ed., *Sociétés et Companies de commerce en Orient et dans l'Océan Indien*, Actes du VIIIe colloque international d'Histoire Maritime, Paris, 1970, pp. 195-207.
--------------. "The Ports of Aden and Shihr", in *Les*

grandes escales, Recueil de la Société Jean Bodin, XXXII, Bruxelles, 1974.

--------------. "Notes on Some Business Practices in Aden", *in al-Bahith: Festschrift Joseph Henniger*, Studiea Instituti Anthropos, Bonn-Fribourg, 1976.

--------------. "South Arabia", in C.A.O. Niewenhuijze, ed., *Commoners, Climbers and Notables: a Sampler of Studies on Social Life in the Middle East*, Leiden, 1977.

--------------. "Wards and Quarters of Towns in South West Arabia", in *Storia della citta*, VII, Roma, 1978.

---------------. "Social Stratification in Arabia", in *The Islamic City: Selected Papers from the Colloquium Held in the MEC, Faculty of Oriental Studies, Cambridge*, Paris, 1980.

Serjeant, R.B. & R.B. Lewcock,

San`a': an Arabian Islamic City, London, 1983.

Wagner, E.

"Eine Liste der Heiligen um Harar", *Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft* (Wiesbaden), 123, 1973.

Yajima, Hikoichi.

A Chronicle of the Rasulid Dynasty of the Yemen, Tokyo, 1974.

معلومات عن تاريخ ثعبات وكتاباتها ومسكوكاتها*

ج. ر. سميث

الاسم والموقع:

ينطق سكان ثعبات اسم قريتهم بالفتحة فوق العين أو بدونها. والمعنى الأساسي للمصدر ''ثعب'' في اللغة العربية هو التدفق أو الانهمار وخاصة للماء، وأيضاً للدماء[1]. وتقع ثعبات على بعد ثلاثة كم شرق من تعز[2]، وذكر الرحالة الدنمركي الذي زار المنطقة في القرن ١٨م أن القرية تقع على بعد فرسخ جنوب شرق من تعز[3]. وفي الوقت الحالي يوجد طريق غير معبد يؤدي إلى الأسوار القديمة التي تهدم أغلبها أسفل ارتفاع شديد الانحدار، وهناك ممر حجري يوصل إلى القرية. ويلاحظ على الفور الغيل الذي تعتمد عليه الحياة في القرية وعلى جانبيه زراعات وبيوت مبنية من الحجر. وأول مبنى ذو أهمية هو المسجد الجامع وهو مبنى حجري مجصص له قبة ومنارة. ويقال أن هذا الجامع يعود إلى عصر الإمام الزيدي المؤيد عباس بن عبد الرحمن الذي حكم اليمن فترة قصيرة في سنة ١٢٦٦/١٨٥٠. ويستمر الممر الحجري بالقرب من الغيل وبيوت حتى يصل إلى مسجد بسيط مربع الشكل يطلق عليه مسجد الأحمر[4]. يوجد على حائطه الجنوبي الكتابة (رقم ١) التي نقلها نيهبور لأول مرة[5]. ثم يرتفع الممر إلى بركة الأقمر التي تحدد

---

* مترجم عن: Smith, G.R. "The Yemenite Settlement of Tha'bāt: Historical, Numismatic and Epigraphic Notes," in *Arabian Studies* I (1974), 119-134.

نهاية القرية وهي بركة حجرية بنيت في بداية العصر الرسولي على حسب كتابتها (رقم ٢).

ملاحظات تاريخية:

ترجع أول إشارة إلى ثعبات في المصادر التاريخية إلى حوالي سنة ٥٤٠/ ١١٤٥-١١٤٦ عندما اتخذ الأمير الصليحي المنصور بن المفضل بن أبي البركات القرية كمنتزه[٦]. وكان المنصور بن المفضل قد شغل منصب وزير للسيدة بنت أحمد (٤٩٢-١٠٩٨/٥٣٢-١١٣٨) مثل أبيه وجده اللذان شغلا نفس المنصب منذ فترة حكم المكرم بن علي بن محمد الصليحي (٤٥٨-١٠٦٦/٤٨٤-١٠٩١). وكانت السيدة قد أوصت بعد وفاتها في سنة ١١٣٨/٥٣٢ أن يقوم الأمير المنصور بمباشرة القلاع والمدن الصليحية بما فيها جبلة والتعكر وإب. وفي سنة ١١٥٢/٥٤٧-١١٥٣ قام المنصور ببيع معظم هذه القلاع والمدن ما عدا حصني تعز وصبر إلى حاكم عدن الزريعي الداعي محمد ابن سبأ (١٣٣-٥٤٠/١١٣٨-١١٥٥) مقابل مائة ألف دينار. ويمكننا الافتراض أن الأمير الصليحي أمضى بعضاً من وقته في ثعبات بعد انتقاله إلى تعز وصبر[٧].

يمكننا أن نرجح أمام صمت المصادر التاريخية أن الأيوبيين لم يهتموا بثعبات بشكل خاص[٨]. وعلى الرغم من أن هذه المصادر لا تضم أي إشارات إلى ثعبات في الفترة الرسولية الأولى (المبكرة)، فإن الكتابة

رقم ٢ تعطي دليل واضح على اهتمام أول حكامها السلطان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول (٦٢٦-١٢٢٨/٦٤٧-١٢٤٩) بالقرية وبناءه بركة الأقمر بواسطة ابنه قطب الدين. وانتقل الملك المظفر يوسف بن عمر (٦٤٧-١٢٢٨/٧٩٤-١٢٩٥) إلى ثعبات بالقرب من نهاية فترة حكمه عازماً على التخلي عن الحكم لصالح ابنه الملك الأشرف عمر بن يوسف. وفي صفر ٦٩٤/ يناير ١٢٩٥ رحل الملك الأشرف من صنعاء إلى ثعبات حيث استقبله موكب عظيم. وفي أول جمادى الأول من نفس السنة منحه والده ''تقليد كريم'' بالسلطة وذكر اسم الملك الأشرف في خطبة الجمعة مع اسم والده كما أضيف اسمه على السكة، وذلك قبل وفاة الملك المظفر يوسف في ثعبات في رمضان[9].

وفي سنة ٦٩٩/١٢٩٩-١٣٠٠، استقبل السلطان الملك المؤيد داود بن يوسف (٦٩٦-١٢٩٧/٧٢١-١٣٢١) في ثعبات شكر بن علي القاسمي المبعوث الخاص للشريف الزيدي عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله بن حسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة واحتفلا هناك بعيد الأضحى[10]. وفي سنة ٧٠٤/١٣٠٤-١٣٠٥ بعد عودته من حملة في زبيد وتهامة مرض الملك المؤيد في تعز فنقل فوراً إلى ثعبات حتى استرد صحته[11]. وأمر الملك المؤيد ببناء قصر بثعبات يسمى المعقلي وتم الانتهاء من عمارته في صفر سنة ٧٠٨/أغسطس ١٣٠٨. ترك لنا الخزرجي وصفاً مفصلاً لبنائه ولبعض عناصره المميزة: ''وهو مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين

بغير أعمدة له أربع مناظر بأربعة رواشن ليس فيه إلا رخام وذهب وأمامه بركة طولها مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً على حافتها صفة طيور ووحوش من صفر أصفر ترمي الماء من أفواهها. وفي وسط البركة فوارة ترمي الماء إلى السماء فيبلغ مدى بعيداً. وقباله شاذروان بعيد المدى يصب ماؤه إلى البركة المذكورة كأنه لوح من بلور لا يمكن التعبير عنه بغير هذا وفي المجلس شبابيك تفضي إلى بستان عجيب المنظر حسن المختبر والمخبر. وكانت إقامة الصناع في عمله مدة سبع سنين. ولما فرغت عمارته على الصفة المذكورة أمر السلطان رحمه الله تعالى بعمل فرحة عظيمة جامعة حضرها أعيان الناس بل عامتهم على اختلاف حالاتهم وتنوع طبقاتهم. وكان السلطان رحمة الله عليه ينظر إليهم من الطبقة الثانية وأمر بإضافة الخلع على أعيان الناس وأجرى للجميع من كرمه نوالا وبلغهم من جوده آمالا وهنأه الشعراء بذلك[١٢]. ولما فرغ بناء المعقلي أمر المؤيد ببناء قصر ثان سماه صالة، وتوجه بعد ذلك إلى تهامة في نفس السنة[١٣]. وعند عودته استقبل عدد من الوفود في قصره الجديد في ثعبات"[١٤].

وعندما مرض الملك المظفر حسن بن المؤيد في سنة ١٣١٢/٧١٢ أرسله والده فوراً إلى ثعبات على أمل أن يسترد صحته هناك، ولكنه توفي في ذي القعدة سنة ٧١٢/مارس ١٣١٣[١٥]. وعند وفاة الملك المؤيد في سنة ١٣٢١/٧٢٢ خلفه ابنه المجاهد علي. وفي السنة التالية دبر له بعض الأمراء والمماليك مؤامرة لإقالته ونصب الملك

المنصور أيوب بن المظفر يوسف بن عمر سلطاناً بدله عند نزوله من الدملوة إلى ثعبات. وفي تعز قتلوا شجاع الدين بن عمر بن يوسف بن منصور وكان أتابك ووزير المجاهد، ومن هناك توجهوا إلى ثعبات حيث ألقوا القبض على المجاهد وحبسه في دار الآداب بتعز. ولكن لم يستمر المنصور في الحكم فقد استطاع المجاهد أن يسترجع عرشه بعد حوالي ثلاثة أشهر[١٦]. وقام الملك المجاهد ببناء سور حول ثعبات وأبواب يحرسها عساكر وتم الانتهاء من العمارة في سنة ١٣٣٢/٧٣٣-١٣٣٣، ومن المحتمل أن أجزاء من السور ترجع إلى تلك الفترة لا تزال قائمة. وكانت هي أول مرة تبنى فيها تحصينات حول ثعبات وبذلك تحولت القرية إلى مدينة. ''وصارت مدينة حصينة وعمر جامعها وأجرى إليه الماء ورتب فيه إماماً ومؤذناً وخطيباً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن الكريم ومحدثاً يقرئ حديث رسول الله (ص) ووقف السلطان عليهم وقفاً جيداً يقوم بكفاية الجميع منهم''[١٧]. وفي سنة ١٣٣٤/٧٣٥-١٣٣٥ أمر المجاهد بالقبض في ثعبات على جمال الدين محمد بن مؤمن أحد وزراءه، وكان جمال الدين من زيلع، وكان قد أرسله المجاهد كمبعوثه إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون. ولكن جمال الدين كان يحقد على موفق الدين عبد الله بن علي بن محمد بن عمر أحد المقربين إلى السلطان فحاول أن يحرضه ضده إلا أن خطته باءت بالفشل ولما استدعاه السلطان إلى ثعبات أمر بالقبض عليه وحبسه وتم إعدامه في التعكر[١٨].

وأقام الملك الأفضل عباس بن علي في قصر ثعبات بعد أن تولى العرش عقب وفاة والده في سنة ١٣٦٢/٧٦٤-١٣٦٣[١٩]. أما ابنه الملك الأشرف إسماعيل فأمضى شهر رمضان من سنة ١٣٩١/٧٩٣ في ثعبات ''المعمورة'' كما وصفها الخزرجي[٢٠]. وفي نفس السنة أقيمت الاحتفالات بتطهير أولاد السلطان بثعبات[٢١]. وتوفي والي ثعبات كمال الدين فاتن بعد ذلك بقليل. وهذه الإشارة الوحيدة إلى هذا المنصب، ولكنه بالإمكان القول بأن منصب والي ثعبات وربما كان يرجع إلى عهد المجاهد عند توسيعه لثعبات في سنة ١٣٣٢/٧٣٣-١٣٣٣[٢٢]. وذكر الخزرجي ''وعيد السلطان عيد الفطر في ثعبات المعمورة وركب ولده الملك الناصر في جملة العسكر المنصور نائباً عن والده فصلى في مصلى العيد بعد أن عبر العسكر في الميدان السعيد على جاري عادتهم وكان يوماً مشهوداً''[٢٣].

وتأتي آخر إشارة إلى ثعبات في المصادر في حوادث سنة ١٤١٩/٨٢٢-١٤٢٠ حيث ذكر سجنها[٢٤]. ونقص المعلومات عن ثعبات بعد عصر الأشرف إسماعيل يجعلنا نستنتج أنها فقدت أهميتها بعد وفاته في سنة ١٤٠٠/٨٠٣، وعادت مرة أخرى قرية صغيرة هادئة.

دار السكة في ثعبات[٢٥]:

إن دليلنا على وجود دار للسكة في ثعبات يعتمد حتى الآن على أربع عملات[٢٦] : ضربت اثنتين منها بتاريخ ١٣٦٣/٧٦٤-١٣٦٤،

وواحدة بتاريخ ٧٦٥/١٣٦٤-١٣٦٥، أما الرابعة فبتـاريخ ٧٦٩/١٣٦٧-١٣٦٨. ويحمل الأربع اسم الملك الأفضل ضرغام الدين العباس (٧٦٤-٧٧٨/١٣٦٣-١٣٧٨) سادس السلاطين بني رسول. وفي أول وهلة يبدو أن تواجد دار للسكة في ثعبات أمراً غريباً، فتعز التي تبعد عنـها بثـلاث كم كانت منذ زمن الملك المعز إسماعيل الأيوبي مركز لضـرب النقود[٢٧]. ولكن يبدو من خلال دراسة دقيقة للعملات الرسولية أنه لم تسك أي نقـود في تعز بين سنة ٧٥٠[٢٨]/١٣٤٩ و ٧٧٧[٢٩]/١٣٧٦ ، فـي حيـن أن دور الضرب في عدن وزبيد والمـهجم أصـدرت عمـلات خـلال نفس الفترة. وقد لاحظ بريدو Prideaux[٣٠] أن واحدة من ثلاث عملات من ثعبات التي نشرها في مقالة عن النقود الرسولية تحمل شارة دار سكة تعز وهي على شكل شخص جالس. ومن المحتمل إذاً أن السلطان الأفضل أمر بنقل دار السكة من تعز إلى ثعبات[٣١] ولكنه تم إرجاعها إلى تعـز قبـل وفاتـه بقليـل أي قبل ٧٧٧/١٣٧٦-١٣٧٧. ولا توضح المصادر التاريخية سـبب هـذا النقل، كما أنه لم توجد أي أزمات سياسية أو اقتصـادية لتبرره. ولم تكـن ثعبات ''قلعة تعز'' كما ذكر زامباور Zambaur[٣٢] لأنه ليس من المؤكـد أن ثعبات كانت أكثر تحصينـاً من تعـز. والأرجـح أن سبب النقل كـان يرجع لرغبة السلطان الشخصية في أن تكـون دار السـكة قريبـة منـه فـي ثعبات.

الكتابات:

الكتابة رقم ١:

إن الكتابات الموجودة في الجدار الجنوبي من مسجد الأحمر أدخلت في البناء بين ١٧٦٣ عند زيارة نيهبور[٣٣] والوقت الحالي. ولم توضع الكتابات بالترتيب الصحيح للنص. وبعد أن نشر نيهبور هذه الكتابة، قام J.. Karabacek بالتعليق عليها في سنة ١٨٩٦[٣٤]، ثم نشرت في ال Répertoire حيث وصفت الكتابة بأنها ''ذات أحرف مستديرة ومستمدة من الكوفي المزهر''[٣٥]:

''...الكرام ووالديهما و ... في ذي الحجة ... وكتبه عمر بن ...

''...عبد الله غفر الله لهما ... ولوالديهما ... على سيدنا محمد النبي

''و على أهله وسلم ... لمينا اللهم؟...''

والتعليق الوحيد عن أسلوب الخط يرجع لجروهمان Grohmann في دراسته عن تطور الخط الكوفي المزهر[٣٦]. وهذه الكتابة مؤرخة بتاريخ ذو الحجة ٥٤٠/ مايو- يونيو ١١٤٦، أي فترة السيطرة الإسماعيلية على جنوب اليمن. وقد وجدت نماذج مشابهة لها في أسلوب الخط في مصر الفاطمية وشمال إفريقيا مثل إفريز من تونس في متحف علوي بتاريخ ٥٠٣/١١٠٩-١١١٠[٣٧]، وكتابة من مسجد في القاهرة بتاريخ ٥٣٥/١١٤٠-١١٤١[٣٨]، وشاهد قبر رخامي في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بتاريخ ٥٣٧/١١٤٢-١١٤٣[٣٩]. وقد وصف أسلوب خط الكتابتين الأخيرتين بالكوفي المزهر، ولكن في الكتابات الثلاث احتفظت أشكال حروفها بالزوايا القائمة واتسمت بالإتقان في التنفيذ. وقراءة كتابة ثعبات على درجة كبيرة من الصعوبة نتيجة لاحتوائها على

العديد من التناقضات[٤٠]. وأكثر نموذج متماثل وجد في كتابة على شاهد قبر من بُصرة بتاريخ ٥٥٦/١١٦٠-١١٦١[٤١] وهذه الكتابة السورية تتسم أحرفها بالتدوير وعدم الإتقان على غرار كتابة ثعبات. ووصفها ليتمان Littmann بأنها كتابة مميزة لهذه الفترة التي كان فيها الكوفي المزهر لا يزال يُقلد بعد إدخال الكتابة النسخية. إذاً فإن كتابة ثعبات تمثل نموذج جيد لآخر استخدامات الكوفي قبل أن يغلب الخط النسخ على الكتابات العربية.

الكتابة رقم٢:

إن بركة الأقمر مربعة الشكل، حُفر أغلبها في الصخر ما عدا الحواجز الجدارية في الجوانب الجنوبية والشرقية والغربية منها التي يكسوها طبقة من الجص السميك. أما الأرضية الحجرية للبركة والجدار الشمالي فغير مجصصان. وفي وقت زيارتنا للقرية كان الماء في البركة شحيح. وينصب الغيل المنحدر من جبل صبر في البركة من الجانب الشمالي إلى اليسار من الكتابة، ويخرج منها من الجدار المقابل ليسيل في القرية. وتسمح البركة بالاحتفاظ بالمياه وحماية القرية من الفيض وقت الأمطار. وتوجد كتابة بركة الأقمر في كتلة حجرية مستطيلة الشكل على مسافة ٣ أقدام من أعلى الجدار وربما على ارتفاع ١٠ أقدام من أرضية البركة، وعرض الكتلة حوالي ٥ أقدام وعمقها قدمين، وهي موضوعة في الجدار المجصص في زاوية التقاء الجدار الشمالي بالجدار الشرقي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- تمم هذه البركة المباركة مولانا الأمير

٣- قطب الدين خلده (كذا) الله ملكه وكان فراغ

٤- هذه البركة يوم الأحد من أحد شهر محرم (كذا)

٥- سنة خمس وأربعين وست مئة ....

واستخدام كلمة مولانا لشخص بدرجة أمير غير مألوف. وأطلق كل من المؤرخين محمد بن حاتم[٤٢] والخزرجى[٤٣] على الملك المنصور السلطان الحاكم آنذاك مولانا الشهيد والسلطان، أما ابنه الملك المظفر فلقبه ابن حاتم بمولانا السلطان[٤٤] ولقبه الخزرجي بالسلطان[٤٥]. إذاً من هو مولانا قطب الدين؟ والإجابة تعتمد على نص ابن حاتم: ''وفي هذه السنة أيضاً طلبت الست أم قطب الدين من مولانا الشهيد أن يقطع قطب الدين صنعاء...''[٤٦]. ثم يذكر ابن حاتم أن الملك المظفر عاتب والي صنعاء ''على توقعه من التسليم للحصن في أول مرة... وكان من جملة ما قال له حال العتاب: أما تعلم أن الوالد لا يرشد إلا الأكبر من أولاده فمن أرشد أنا أم قطب الدين؟''[٤٧] فإذا قطب الدين هو ابن الملك المنصور وأخو المظفر من أم أخرى.

الحواشي:

[١] **لسان العرب وقاموس المحيط**. حسين علي الويسي، **اليمن الكبرى**، القاهرة ١٩٦٢، ٣٩. الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، في:
Sir J. W. Redhouse, *The Pearl-Strings: a History of the Resuliyy Dynasty of Yemen*, Leiden and London 1906-18 (5 vols.), III, 137, n. 889; O Löfgren, *Arabische Texte zur Kenntnis der Stadt Aden in Mittelalter*, Uppsalla 1936-50 (2 vols.), 113; H.C. Kay, *Yaman, its early Mediaeval History*, London, 1892, 267, n. 57.

[٢] الويسي، **اليمن الكبرى**، ٣٩.

[٣] C. Niebuhr, *Description de l'Arabie*, Amsterdam and Utrecht 1774, 211.

[٤] عند زيارتي لثعبات في سنة ١٩٧٢ لم يكن هناك سوى المسجدان.

[٥] M. Michaelis, *Recueil de questions proposées à une société de savants, etc.*, Amsterdam and Utrecht 1774.

[٦] أبو عبد الله بهاء الدين الجندي، **كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك** (مخطوط مكتبة Chester Beatty رقم ٣١١٠)، ١٧٨ب. يحيى بن الحسين، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٣٠١. H.C. Kay, *Yaman*، ص ٢٦٧، رقم ٥٦.

[٧] عمارة اليمني، **تاريخ اليمن** (Kay, *Yaman*) ص ٣٧ و٥٦. **غاية**، ص ٣٠١ .

[٨] إن أفضل المصادر التاريخية وأكثرهم تفصيلاً عن الأيوبيين في اليمن هو **كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن** لبدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني، تحقيق G.R. Smith، لندن، ١٩٧٤-١٩٧٨. ويغطي أيضا أحداث عصري السلطانين الرسوليين الأوليين.

[٩] **السمط**، مخطوط المتحف البريطاني، Add. 27,541، ص ١١٤ب-١١٥أ، ويشير المؤلف إلى ثعبات أنها "مستقر المملكة". **العقود**، ج ٤، ص ٢٧٥. أبو مخرمة (Löfgren, *Arabische Texte*)، ص ١٨٢. **غاية**، ص ٤٧٥.

[١٠] **العقود**، ج ٤، ص ٣٢٤.

[١١] **العقود**، ج ٤، ص ٣٦٠.

[١٢] **العقود**، ج ٤، ص ٣٧٧-٣٧٨. **غاية**، ص ٥٣٧، تحت سنة ٧٩٣ (١٣٩٠-١٣٩١) يذكر يحيى بن الحسين أن الأمام الزيدي صلاح الدين بنى قصر في ظفار "ليس له نظير في قطر اليمن إلا القصر الذي بناه المؤيد الرسولي في ثعبات".

[١٣] **العقود**، ج ٤، ص ٣٨٠-٣٨١.

[١٤] **العقود**، ج ٤، ص ٣٨٢.

[١٥] **العقود**، ج ٤، ص ٤٠٣.

[١٦] **العقود**، ج ٥، ص ٣-٦. أبو مخرمة (Löfgren, *Arabische Texte*)، ص ١١٣. **غاية**، ص ٤٩٥، يسمي الوزير أمير يوسف بن منصور .

[17] العقود، ج ٥، ص ٦٠-٦١ و ص ١٢٥-١٢٦. C. J. Johannsen, *Historia Iemenae*, Bonn, 1828 (ابن الديبع، **بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد**)، ص ١٦٤. **غاية**، ص ٥١٩، تحت أحداث سنة ٧٦٤ (١٣٦٢-١٣٦٣) وهي سنة وفاة المجاهد. فهل هو نفس المسجد الذي شاهده نيهبور؟

[18] **العقود**، ج ٥، ص ٦٢-٦٥. أبو مخرمة (Löfgren, *Arabische Texte*)، ص ٢٢٧-٢٢٩.

[19] **العقود**، ج ٥، ص ٢٣٩.

[20] **العقود**، ج ٥، ص ٢٢٣.

[21] **العقود**، ج ٥، ص ٢٣٤.

[22] **العقود**، ج ٥، ص ٢٣٩.

[23] **العقود**، ج ٥، ص ٢٦٥.

[24] **غاية**، ص ٥٦٥.

[25] أشكر الأستاذ نيكولاس لويك من المتحف للبريطاني على مناقشته لهذه الفقرة من المقال وعلى المعلومات القيمة عن النقود الغير منشورة في المتحف البريطاني.

[26] انظر:

W. F. Pridreaux, "Coins of the Benee Rasool Dynasty of South Arabia," *Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society* XVI (1883-85), pp. 12-13. S. Lane-Poole, *Catalogue of the Oriental Coins of the British Museum*, London 1890, X, pp. 60. H. Nützel, "Münzen der Rasuliden nebst einem Abriss der Geschichte dieser jemenischen Dynastie", *Zeitschrift fur Numismatik* XVIII (1892), p. 127.

[27] إن أقدم عملة ضربت في تعز مؤرخة بسنة ٥٩٤/١١٩٧-١١٩٨. P. Balog, "Dirhems ayoubites inédits du Yemen," *Bulletin de l'Institut Egyptien* (1953-4), p. 350.

[28] E. de Zambaur, *Munzpragungen des Islam*, Wiesbaden, 1968, p. 89.

[29] يوجد بالمتحف البريطاني عملة غير منشورة تحمل نفس التاريخ.

[30] Prideaux, "Coins", 9.

[31] أن عدد النقود الرسولية المعروف لا يعكس بشكل عام نشاط السكة في ذلك الوقت.

[32] *Munzpragungen*, 94.

[33] Michaelis, Receuil, Tab. IX.

[34] "Die Involutio in arabischen Schrif twesen," *Sitzungsberichte der Philosopisch-Historischen Classe der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften*, CXXXV, Article V, 8-9.

[35] E. Combe, J. Sauvaget, and G. Wiet (ed.) *Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe*, Cairo, 1937, VIII, pp. 238-39, no. 3124.

[36] A. Grohmann, "The Origin and Early Development of Floriated Kufic", *Ars Orientalis* II (1957), p. 191.

[37] Slimane-Mostafa Zbliss, *Corpus des Inscriptions Arabes de Tunisie, Inscriptions de Tunis et de sa banlieue*, Tunis 1955, pp. 65-66, plate XXVII, no. 31.

[38] M. van Berchem, *Matériaux pour un corpus Inscriptionum Arabicarum*, Paris, 1903, pt. I (Egypte), p. 72, no. 45 and plate II no. 2.

[39] G. Wiet, *Catalogue Général du Musée Arabe du Caire*, Cairo, 1939, VI, 130, no. 2721/1102 and plate XXXVI, 2332.

[40] خاصة في الألف-لام.

[41] E. Littman, *Syria*, Div. IV *Semitic Inscriptions*, Sec. D. *Arabic Inscriptions*, 54, no. 60.

[42] **السمط**، ٤٧ ب.

[43] **العقود**، ج ٥، ص ٨٠.

[44] **العقود**، ج ٥، ص

[45] **السمط**، ٤٧ ب.

[46] **السمط**، ٥٧ أ.

[47] **السمط**، ٧٥ ب.



ملاحظات حول بني طاهر وتواجدهم في منطقة صنعاء (٨٥٨-٩٢٣/١٤٥٤-١٥١٧)*

ر. ج. سميث

قليلاً ما اهتم الباحثون بعصر بني طاهر الذين حكموا جنوب اليمن وتهامة فيما بين سنة ٨٥٨-٩٢٣/١٤٥٤-١٥١٧[١] والغرض من هذا المقال هو عرض بعض الملاحظات الأولية عن بني طاهر وخاصة أثناء فترة تواجدهم في منطقة صنعاء. ولا يزال بعض من الغموض يحيط بأصل وسيرة بداية بني طاهر. وقد تناولت في مقال آخر المصادر الرئيسية لتاريخ هذه الأسرة، وهي تشمل مجموعة من التواريخ السنية والزيدية والإسماعيلية[٢]، وعلى رأسهم نصوص المؤرخ ابن الديبع (ت ٩٤٤/١٥٣٧). وفي ذلك الوقت كانت صنعاء وأغلب شمال اليمن في يد الأئمة الزيدية على الرغم من تواجد صراعات من وقت إلى آخر على السلطة بين متنافسين على الإمامة[٣].

أصل وخلفية بني طاهر:

يبدو أن أول إشارة لبني طاهر في المصادر التاريخية هي تسجيل لوفاة معوضة بن تاج الدين والد طاهر الذي أعطى اسمه للأسرة في سنة

---

* مترجم عن: G. Rex Smith, "Some Observations on the Tahirids and Their Activities in and Around San'a' (858-923/1454-1517)," in *Studies in History and Literature In Honour of Nicola A. Ziadeh*, ed. Ihsan Abbas et al, London, 1992, 29-36.

١٤٠٩/٨١٢[٤]. وفي سنة ١٤١٤/٨١٧ استقبل السلطان الرسولي الناصر أحمد طاهر الذي وصفه ابن الديبع في هذه المناسبة بأنه من ''المشايخ'' وأرضه ''بالبلاد'' ولكنه لا يذكر موقعها[٥]. وهذه الأراضي لا بد وأنها كانت واقعة في منطقة جبن والمقرانة شمال من الضالع وجنوب من رداع[٦]. وفي سنة ١٤٣٠/٨٣٤ تزوج السلطان الظاهر يحي ابنة طاهر بن معوضة[٧]. وكان بنو طاهر مشايخ يتبعون المذهب الشافعي، وكانوا أسرة ذات أهمية ومكانة عند حكام بني رسول. ويعتبر أبو مخرمة المؤرخ الوحيد الذي اقترح أن الاسم الكامل كان طاهر بن معوضة بن تاج الدين القرشي الأموي[٨] وأنه كان من سلالة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بن مروان. وترسخ بنو طاهر في لحج وشمال تهامة. وفي سنة ١٤٥٣/٨٥٨ استولى عامر وعلي ابني طاهر على عدن وفي السنة التالية على زبيد[٩]. وبالإضافة إلى تعز والحديدة استمرت تلك المدن مراكز مهمة أثناء فترة حكمهم. وفي سنة ١٤٦٠/٨٦٤ تولى الأخ الأكبر الحكم من عامر (ت ١٤٦٥/٨٧٠)[١٠].

نشاط بني طاهر في منطقة صنعاء:

وقع أول احتكاك مع حكام صنعاء الزيديين في سنة ١٤٥٧/٨٦٢ عندما تقدم الناصر بن محمد، أحد المدعين للإمامة، من صنعاء متجهاً جنوباً إلى الأراضي الطاهرية والتقى في معركة مع الظافر عامر. ولكنه لا يبدو أن أحداً من الطرفين فاز بالمعركة، وفي آخر الأمر عقد

صلح بينهما ورجع الناصر إلى صنعاء[11]. وفي رجب سنة ٨٦٥/ أبريل ١٤٦١ سار الظافر عامر إلى ذمار مع جيش كبير وتخيم خارج المدينة. وبعد مفاوضات مع الشيخ دخل السلطان الظافر المدينة بدون إراقة الدماء مما جعل الناصر بن محمد يترك صنعاء ويتجه هو الآخر إلى ذمار حيث توقف عند قلعة هران القريبة منها. ومكث الظافر عامر في ذمار فترة من الزمن لجمع الأموال ولم يتعرض لأهل المدينة بسوء أو بضرر، وعين علي بن تاج الدين عاملاً في ذمار قبل أن يرجع إلى بلاده[12].

وفي السنة التالية ١٤٦٢/٨٦٦ استطاع الناصر بن محمد أن يسترد ذمار وأن يطرد علي بن تاج الدين. وكان الظافر عامر في عدن عندما علم بذلك فكتب إلى كل من المطهر بن محمد بن سليمان وهو المدعي الثاني للإمامة، وعلي بن حسن شيخ همدان، يستحثهما على مهاجمة الناصر في ذمار. وبالفعل خرج المطهر وعلي بن حسن من كوكبان على رأس جيش كبير مكون بالأساس من همدان. وقامت عدة معارك بين المنافسين الزيديين للسيطرة على صنعاء وذمار[13] وانتهز الظافر عامر فرصة الصراع بين الأحزاب الزيدية للتقدم إلى ذمار ودخولها مرة ثانية وقام بهدم القلعة وبعض المنازل. واقترح الناصر أن تسلم هران للسلطان وأن تقسم الأراضي في المنطقة. ولكن الظافر عامر رفض وطلب منه تسليم ذمرمر وقلاع أخرى إلى أشراف المطهر. وفي

طريقه إلى صنعاء توقف الناصر وبعض أتباعه في عرقب، ولكن قبض عليه أهلها وسلموه إلى المطهر الذي حبسه في السجن حتى وفاته في سنة ١٤٦٣/٨٦٨[١٤].

وبعد القبض على والده، طلب محمد بن الناصر المساعدة من الظافر عامر للحفاظ على صنعاء خوفاً من أن يهاجمها المطهر وعرض عليه مبلغ ٥٠,٠٠٠ دينار. وقبل الظافر كما حصل على القصر في صنعاء، في حين تولى علي بن حسن شيخ همدان الأمور إلى أن وصول الجيش الطاهري صنعاء. وأرسل السلطان ابن أخيه حاتم بن إبراهيم مع ٢٠٠ فارس لاستلام المدينة، وذكرت الخطبة هناك لأول مرة باسم السلطان الظافر عامر الذي عين ابن أخيه عبد الوهاب ابن داود والياً عليها[١٥].

وفي سنة ١٤٦٢/٨٦٧ وصل الظافر عامر إلى صنعاء مع ألف فارس ومن هناك قام بشن الحرب على ذهبان[١٦] التي تمرد أهلها ضد الطاهريين. وربما لنفس السبب قام بقطع الأشجار في حدة وهدم بعض البيوت. وعندما استقرت الأمور رجع الظافر إلى بلاده[١٧].

وفي سنة ١٤٦٣/٨٦٨ عين يحي الكراس والياً على صنعاء مع محمد بن عيسى البعداني[١٨].

وفي سنة ١٤٦٤/٨٦٩ خرج الوالي محمد بن عيسى من صنعاء لجمع الزكاة في سنحان[١٩]، فانتهز محمد بن الناصر الفرصة ودخل صنعاء كما استولى أهل صنعاء على القصر[٢٠]، مجبرين الحامية الطاهرية على الاستسلام وسمحوا لهم بالمغادرة بدون التعرض لهم. وعندما علم الظافر عامر بذلك توجه على الفور إلى صنعاء على رأس جيش كبير وهدم العديد من المنازل والبساتين وسد الآبار وقطع المياه. وهنا يختلف المؤرخون حول الأحداث التي تلت: إذ ذكر ابن الديبع أن الظافر عقد صلح مع محمد الناصر مقابل مبلغ من المال فرجع إلى بلده. في حين ذكر يحيى بن الحسين مؤلف **غاية الأماني** أن الظافر رجع إلى بلده بعد أن طلب منه أتباعه الرجوع إلى أهلهم للاحتفال بعيد الأضحى، فرضي الظافر وتوعد أهل صنعاء بالعودة إليهم[٢١].

أما المصادر الزيدية، على عكس ابن الديبع، فذكرت أن الظافر رجع لمحاصرة صنعاء في آخر محرم سنة ٨٧٠/ سبتمبر ١٤٦٥ ومعه ألف رأس من البقر لتغوير ما بقى من الآبار والأنهار حول صنعاء وحتى الغيل البرمكي الذي كان يزود المدينة بأكثر مياهها[٢٢]. وبعد ٢٣ يوم رحل الظافر عن صنعاء وعاد إلى عدن[٢٣]. وفي ذي القعدة سنة ٨٧٠/ يونيو ١٤٦٦، وصلت رسائل من أهل صنعاء تستدعيه للرجوع لأخذ المدينة فسارع السلطان بالعودة حتى أنه وصل من عدن في ستة

أيام ولكن أهل صنعاء سارعوا بإغلاق أبوابها أمامه. وذكر كل من ابن الديبع ويحيى بن الحسين أن أمير صنعاء في ذلك الوقت كان محمد بن عيسى على الرغم من أن الزيدية كانوا قد طردوه منها في سنة ٨٦٩/١٤٦٤، والأرجح أن أمير صنعاء في تلك الفترة كان محمد بن الناصر [٢٤] إلا أنه كان غائباً في شرق البلاد، فلما علم بوجود الطاهريين بالقرب من باب السبحة رجع على الفور للدفاع عن صنعاء. وذكر يحيى بن الحسين أنه استطاع أن يدخل المدينة وأن يكون جيش لمهاجمة الطاهريين خارج المدينة، وفي أقل من ساعة تراجع الجيش الطاهري وقتل السلطان وعدد من أتباعه. كما ذكر ابن الديبع أن أتباع السلطان المخلصين لم يتخلوا عنه وقاتلوا بشجاعة حتى قتلوا وأن ''ليس الكريم على القنا بمحرم''.

وكان بنو طاهر أجمعوا منذ سنة ٨٦٤/١٤٦٠ على أن ينتقل الحكم من الظافر عامر إلى أخيه الأكبر المجاهد علي. ويبدو أن المجاهد علي لم يبد اهتمام بصنعاء سواء قبل ٨٦٤/١٤٦٠ أو بعد وفاة الظافر سنة ٨٧٠/١٤٦٦. ولم يكن للسلطان المنصور عبد الوهاب هو الآخر علاقة بصنعاء التي ظلت خارج السيادة الطاهرية لمدة تزيد عن ثلاثين عام أي من سنة ٨٧٠/١٤٦٦ حتى ٩٠٧/١٥٠١. وكان الطاهريون منهمكون في متابعة ما يحدث في معاقلهم بجنوب اليمن وتهامة، في حين استطاع الزيديون في صنعاء والشمال أن يتحدوا وبالتالي تمكنوا من

السيطرة على المدينة.

وفي سنة ١٥٠١/٩٠٧ استولى السلطان الظافر رابع سلاطين بني طاهر على ذمار. وفي شوال سنة ٩٠٨/ مايو ١٥٠٢ وصل إلى أبواب صنعاء وبدأ في حصار المدينة. وعلى الرغم من استخدامه للمنجنيق استمر الحصار إلى محرم ٩٠٨/ يوليو ١٥٠٢ حين استنجد أهالي صنعاء بالإمام محمد بن علي الوشلي وبمحمد بن حسين الحمزي أمير صعدة. وذكر ابن الديبع أن حصن ذمرمر كان ثمن هذا العون. وهنا أيضا تختلف المصادر حول الأحداث التالية. فذكر يحيى بن الحسين أن الظافر أرسل علي بن محمد بن عيسى البعداني عندما علم بقرب وصول الجيش الزيدي ليهاجمه من مكمن، ولكن الخطة فشلت وهزم علي البعداني والجيش الطاهري عند البون شمال من صنعاء. فتراجع الظافر مغتماً إلى جبل نقم وهناك حاصره جيش الإمام محمد بن علي ومحمد بن الحسين، فاضطر الظافر أن يدعو للسلم وفرض عليه بعض الشروط لم تذكرها المصادر الزيدية. ورجع الطاهريون على عجل إلى الجنوب بعد أن حرقوا الكثير من أمتعتهم. ودخل الإمام ومحمد بن الحسين صنعاء حيث مكثوا فترة من الزمن[٢٥].

وتختلف رواية ابن الديبع لنفس الأحداث: فذكر أن الزيديين جمعوا جيش كبير لتلبية نداء أهل صنعاء لمساعدتهم ضد الحصار

الطاهري. وأخطأ ابن الديبع في ذكره أن والي صنعاء في ذلك الوقت كان علي بن محمد البعداني. ثم ذكر أن الطاهريين استطاعوا أن يكسروا الجيش الزيدي مما جعل الظافر يركز جيشه في مكان واحد لهجوم أخير على صنعاء، ولكن أدي هذا إلى انقطاع الطرق والزاد والأقوات فجمع الظافر عساكره للتراجع. ولكن في محرم ٩٠٨/ يوليو ١٥٠٢ قام جيش الظافر بهجوم هزم فيه الزيدية ولكن لم يمكث الظافر في المنطقة وعاد إلى ذمار[٢٦]. وذكر ابن الديبع أنه كان انتصار للطاهريين بعد حصار دام خمسة أشهر.

وفي رمضان سنة ٩١٠/ مارس ١٥٠٥ توجه السلطان الظافر إلى صنعاء على رأس جيش كبير مكون من ٣.٠٠٠ فارس و ١٧٠.٠٠٠ جندي[٢٧]، وهاجم المدينة بالمنجنيق من جميع الجهات. وكان الأمير في ذلك الوقت أحمد بن الناصر بن المطهر، وقام الإمام الزيدي محمد بن علي الوشلي ومحمد بن الحسين بتعزيزه بجيش ولكنهم هزموا أمام الطاهريين الذين استمروا في حصار المدينة. ودام الحصار فترة طويلة حتى اضطر الأهالي للاستسلام. وحبس الإمام ومات في السجن في ذي القعدة ٩١٠/ مايو ١٥٠٥ وربما قتله الظافر بالسم. كما قام الظافر بقتل العديد من الأشراف الزيديين قبل أن يرجع إلى بلاده في سنة ١٥٠٥/٩١١ بعد أن عين والياً على المدينة لم تذكر المصادر الزيدية اسمه، ومن المرجح أنه كان علي بن محمد البعداني الذي استمر والياً

هناك حتى سنة ١٥١١/٩١٧[٢٨].

وفي سنة ١٥١٤/٩٢٠ زار السلطان الظافر عامر صنعاء ليدعم من معنوية الطاهريين هناك وللضغط على الأهالي، وهناك وصلته هدية من قنصوه الغوري آخر سلطان للمماليك في مصر[٢٩]. وفي أوائل سنة ١٥١٧/٩٢٣ دخل المماليك تعز وفي نفس السنة هجموا على صنعاء وانهارت السيادة الطاهرية على المدينة ونهبت كنوزهم بها[٣٠].

بعض الملاحظات الختامية:

١) حاول بنو طاهر من وقت لآخر مثلهم مثل الأيوبيين والرسوليين أن يسيطروا على صنعاء في حين أنهم تركزوا في الجنوب وفي تهامة.

٢) كانت السيطرة على ذمار والمناطق الواقعة جنوب مدينة صنعاء تسبق دائماً محاولات أخذ صنعاء من الجنوب. إذ أن ذمار كانت عاملاً مهما للاستيلاء على صنعاء في تلك الفترة لأنها كانت مدينة تحتوي على نفوذ زيدي مهم.

٣) كانت الإمامة الزيدية خلال فترة حكم السلطانين الظافر والمجاهد (٨٥٨-١٤٥٤/٨٨٣-١٤٧٨) يتنازع عليها متنافسان هما الناصر بن محمد والمطهر بن محمد بن سليمان. وكان المطهر هو الإمام في نظر المؤرخ يحيى بن الحسين الذي يشير إليه دائماً بلقب الإمام في حين أنه لم يذكر أي ألقاب مع اسم الناصر. وبالطبع أن يستغل بنو طاهر هذا

النزاع من وقت لآخر.

٤) استمر الظافر في دوره الفعال في السياسة الطاهرية خلال السنوات ٨٦٤-٨٧٩/١٤٦٠-١٤٦٥ على الرغم من تخليه رسمياً عن السلطة لصالح أخيه المجاهد.

٥) لم تكن صنعاء في تلك الفترة مقراً للإمامة الزيدية. وفي الفترات التي لم تكن فيها تحت السيطرة الطاهرية كانت في يد أحد الزيدية المستقلين عن الإمام حتى أنه اضطر مرة أن يدفع ثمن مساعدة الإمام الزيدي ضد الطاهرين.

٦) يعكس كل من ابن الديبع ويحيى بن الحسين ميولهما الشخصية في كتابتهما: الأول لبني طاهر والثاني للزيديين، وفي بعض الأحيان تختلف روايتهما لنفس الأحداث ولكن النص الزيدي أكثر تفصيلاً.

وتبين هذه الملاحظات أن الدراسة التي يقوم بها المؤلف مع الدكتور حسين العمري حول الفترة الطاهرية ستبرز صورة أوضح لتلك الحقبة المهمة من تاريخ اليمن.

الحواشي:

[1] انظر:
G.R. Smith, "The Tahirid sultans of the Yemen (858-923/1454-1517) and their historian Ibn al-Dayba`," *Journal of Semitic Studies* XXIX/1 (1984), pp. 141-154.

[2] "Tahirid Sultans," pp. 146-50.

[3] "Tahirid Sultans," pp. 148-49.

[4] ابن الديبع، **قرة العيون**، جزء ٢، ص ١٢١.

[5] **قرة العيون**، جزء ٢، ص ١٢٢.

[6] L.O. Schuman, *Political History of the Yemen at the beginning of the 16th century*, Groningen, 1960, p. 45.

[7] **قرة العيون**، جزء ٢، ص ١٣١.

[8] Schuman، ص ٤٦.

[9] عن الاستيلاء على عدن، انظر "Tahirid Sultans"، ص ١٥٣-١٥٤.

[10] انظر: Schuman ، ص ٤٦-٤٧، الذي يعطي المعلومات المتعلقة بمخطوط أبو مخرمة.

[11] **قرة العيون**، جزء ٢، ص ١٥١. يحيى بن الحسين، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٦٨، ص ٥٨٩.

[12] هذه هي الرواية الزيدية كما ذكرت في **غاية الأماني**، ص ٥٩٠. يذكر ابن الديبع في **قرة العيون**، ، جزء ٢، ص ١٥٢، أن الناصر كان موجود في ذمار و أجبر على إخلاء المدينة عند وصول الجيش الطاهري.

[13] **غاية الأماني**، ص ٥٩١-٥٩٣، به وصف تفصيلي للأحداث، في حين أن ابن الديبع، **قرة العيون**، جزء ٢، ص ١٥٢، وصف مقتضب وعام.

[14] **غاية الأماني**، ص ٥٩٤. ويضيف ابن الديبع، **قرة العيون**، جزء ٢، ١٥٤، و **بغية** (تحقيق الحبشي) ص ١٣٣، و**بغية** (تحقيق شلحد) ص ١٣٣، أن المجاهد علي كان أيضا مرتبطاً بتلك الأحداث وأن صنعاء كانت محصنة وأن عدد من القرى منحت اقطاعات إلى محمد بن الناصر.

[15] "قرية بيت الحارث" بالقرب من صنعاء، انظر محمد بن أحمد الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، صنعاء ١٩٨٤، ج ١-٢، ص ٣٥١.

[16] **غاية الأماني**، ص ٥٩٤. يبدو لي أن عدد الفرسان الألف به مبالغة.

[17] **غاية الأماني**، ص ٥٩٦.

[18] "حجريم"، **مجموع بلدان اليمن**، ج ٣-٤، ص ٤٣٢.

[19] R.B. Serjeant and Ronald Lewcock, *San'a', an Arabian Islamic City*, London, 1983.

[٢٠] قرة العيون، جزء ٢، ص ١٥٥. بغية (تحقيق الحبشي) ص ١٣٧، وبغية (تحقيق شلحد) ص ١٣٣ غاية الأماني، ص ٥٩٧-٥٩٨.

[٢١] Husayn 'Abdallah al-'Amri, "A document concerning the sale of Ghayl al-Barmaki and al-Ghayl al-Aswad by al-Mahdi 'Abbas, imam of the Yemen, 1131-89/1718-75" in Robin Bidwell and G. Rex Smith, *Arabian and Islamic Studies*…, London and New York, 1983, pp. 29-38.

[٢٢] غاية الأماني، ص ٥٩٩-٦٠٠.

[٢٣] *The Pearl-strings: a history of the Resuliyy dynasty of Yemen by ... El-Khezrajiyy*, *GMS* III, London, 1906-1918, 5 vols , I, 29

[٢٤] قرة العيون، جزء ٢، ص ١٥٧-١٥٨. بغية، ص ١٣٨-١٣٩. غاية الأماني، ص ٦٠١-٦٠١.

[٢٥] غاية الأماني، ص ٦٢٨-٦٢٩. عيسى بن لطف الله، روح الروح، صنعاء، ١٩٨١، ص ٩. انظر "Tahirid Sultans"، ص ١٤٨.

[٢٦] قرة العيون، جزء ٢، ص ٢٠٤-٢٠٥.

[٢٧] يبدو أن هذه الأرقام مبالغ فيها.

[٢٨] غاية الأماني، ص ٦٣٣-٦٣٤، ٦٣٨.

[٢٩] غاية الأماني، ص ٦٥٠.

[٣٠] غاية الأماني، ص ٦٥٠.

وثيقتان عثمانيتان عن تقسيم اليمن إلى ولايتين (١٥٦٥/٩٧٣)*

ج. ريتشارد بلاكبرن[١]

دخلت أجزاء من تهامة اليمن والمناطق الجبلية الجنوبية منها في حيز السيادة العثمانية في سنة ١٥١٧/٩٢٣ عندما اعترف أعضاء الحملة البحرية المملوكية في اليمن بهذه السيادة عقب سقوط دولتهم في مصر على يد السلطان سليم (يناير-أبريل ١٥١٧)[٢]. واستمر زعماء مجموعات المماليك واللوند العثمانيين (جنود بحريين) الذين تركزوا أساساً حول تعز وزبيد أثناء العقدين التاليين في ولاءهم للسلطان العثماني من خلال السكة[٣] والخطبة[٤]. وعلى هذا لم يثبت نظام إداري عثماني حتى سنة ٩٤٥/١٥٣٨-١٥٣٩ عندما قام سليمان باشا الخادم بقيادة أسطول ضد البرتغاليين في الهند، ثم استولى على ميناء عدن في طريقه هناك في ربيع أول سنة ٩٤٥/أغسطس ١٥٣٨. وعند رجوعه مهزوماً من الهند، اجتاحت قواته جنوب تهامة في شوال سنة ٩٤٥ / فبراير ١٥٣٩ حيث قلبوا نظام المماليك واللوند. وجعل سليمان باشا كل من عدن وزبيد سنجاق، وهو الاسم المستخدم في ذلك الوقت لتسمية الولاية، وقام بتعيين أمراء (سنجاقبك) وعسكر لحمايتها وإدارتهما[٥]. وتغير وضع اليمن بعد ذلك بقليل عندما تحولت من سنجاق إلى بكلربكية

---

* مترجم عن: Blackburn, J.R. "Two Documents on the Division of Ottoman Yemen Into Two *Beglerbegiliks* (973/1565)", *Turcica* 27 (1995), 223-236.

(ولاية كبيرة) واتسع نطاق النفوذ العثماني خلال عدة سنوات خاصة بعد استيلاءهم على تعز وصنعاء (٩٥٣-١٥٤٧/٩٥٤)[٦].

وفي سنة ١٥٦٥/٩٧٣، اقتنعت السلطات العثمانية في استنبول بأن تقسم اليمن إلى ولايتين (بكلربكيتين) منفصلتين نظراً لبعدها وكبر حجمها وكثرة مواردها (المعروفة والمتوقعة)، بالإضافة إلى صعوبة المحافظة على وسائل الاتصالات بينها وبين العاصمة[٧]. والغرض من هذا المقال هو تقديم الوثيقتين العثمانيتين المحفوظتين في Umür-i Mühimme Defterleri (دفتر الأمور المهمة) في أرشيف رئاسة الوزراء Başbakanlik Arşiv في استنبول. والمرسل إليه في كل وثيقة هو البكلربك المعين[٨]. وعندما اتخذ قرار تقسيم الولاية كانت الإدارة المركزية على علم بمعالم اليمن من خلال مجموعة الرسائل التي أرسلها المسئولين المحليين تفيدها بمعلومات دقيقة عن مسائل مثل التقاسيم الجغرافية للمنطقة، وأسماء الأماكن، والمذاهب، ومصادر الثروة الطبيعية، وموارد الضرائب، وإلخ[٩]. هذا بالإضافة إلى ثلاث (على الأقل) تقارير مهمة عن حجم اليمن وإمكانياتها واقتراحات لتنظيمها الإداري.

وأول هذه التقارير مؤرخ بالعاشر من شعبان سنة ٢/٩٣١ يونيو ١٥٢٥ ويناقش وضع وحجم الأسطول البحري المملوكي الثاني الراسي في مكة عاطلاً منذ سنة ١٥١٧/٩٢٣[١٠]، وكذلك الوجود البرتغالي في

الهند وتهديده للمسلمين، والوضع في اليمن ومنطقة البحر الأحمر[11].
وعلى الرغم من أن هذا التقرير غير موقع إلا أنه من المرجح أن كاتبه كان سلمان رئيس (ت ٩٣٤ أو ١٥٢٨/٩٣٥)، وكان ضابطاً بحرياً عثمانياً اشترك في قيادة تلك الحملة البحرية، وكان موجوداً في زبيد في سنة ١٥٢٤/٩٣٠[12]. واعتمد هذا التقرير على معلومات مسموعة لما يتعلق بداخل اليمن. وذكر أن باليمن موارد وافرة وأنها أكثر رخاء من مصر، فعائدات زبيد وحدها بلغت ١٨٠.٠٠٠ سكة ذهبية (ألتون) سنوياً، أما منطقة تعز فضمت ٣٠٠ قرية مسجلة للضرائب. وسجل التقرير ستة مراكز بما فيها صنعان (هكذا) يمكن تكوينها سناجق. وكان الوجود العثماني الوحيد في ذلك الوقت ينحصر في حمية مكونة من ٥٠٠ رجل في زبيد تحت سنجاقبك يدعى حسين بك (الرومي)[13] ومائة رجل تحت ضابط. وفي رأي كاتب التقرير أن اليمن ينقصها حاكم قوي ويعمها الفوضى وتعتبر هدف مهم لفتح متيسر، وأنه بالإمكان تقسيم المنطقة إلى خمس سناجق بالإضافة إلى عدن التي تتمتع بميناء ممتاز ونشط[14].

وبعد حوالي ثلاث عشر عام وصلت إلى السلطات العثمانية رسالة من سنجاق عدن من سليمان باشا الخادم، قائد الحملة البحرية التي انطلقت من السويس ضد البرتغاليين في غرب الهند[15]. وتركزت أغلبية المعلومات في هذه الرسالة على ميناء عدن وشملت وصف لاحتياجاته العسكرية والإدارية. واعترف سليمان بأنه لم ير بقية اليمن التي

تصورها كمنطقة واسعة تمتد من عدن إلى مكة حتى أنه بالإمكان تكوين منه ثلاثين سنجاق. كما نصح بتعيين بكلربك (والي) يقيم بزبيد بدلاً من عدن لأنه اعتبر أن عدن منفصلة جغرافياً عن بقية اليمن ولها متطلبات خاصة ولكن في نفس الوقت تكون جزء من بكلربكية اليمن[١٦].

أما التقرير الثالث الذي يضم اقتراحات للتنظيم الإداري لليمن فهو ''الفتح نامة'' أي رسالة النصر التي كتبت في ١٧ رجب سنة ٩٥٤/ ٢ سبتمبر ١٥٤٧ بنبأ فتح صنعاء[١٧]. وعلى عكس الرسالتين الأوليتين فإن أزدمر باشا كاتب هذا التقرير كان لديه خبرة مباشرة وكبيرة باليمن حيث عمل منذ رحيل حملة سليمان باشا الخادم. وكان أزدمر، وهو من أصول شركسية مصرية، يتولى منصب سنجاقبك (أمير). وسارع أزدمر بالعناية بالمصالح العثمانية في اليمن بعد مقتل الوالي أويس باشا على يد عناصر منشقة في جمادى الأول سنة ٩٥٤/ يونيو ١٥٤٧[١٨]. ونجح في التصدي للمتمردين ثم قام بتحقيق هدف أويس باشا وهو الاستيلاء على صنعاء. وتشير هذه الرسالة إلى العديد من الأمور مثل توصية كاتبها بأن تقسم اليمن إدارياً إلى ثلاث بكلربكيات: ١) منطقة تهامة من جازان في الشمال إلى المخا في الجنوب، ٢) المناطق الجبلية الجنوبية تحدها ذمار في الشمال وعدن في الجنوب والحدود الشرقية لتهامة في الغرب، ٣) المناطق الجبلية الوسطى والشمالية أي المنطقة الممتدة شمالاً من ذمار إلى صعدة. ويبدو من الرسالة أن أزدمر باشا

اعتبر كل من زبيد وتعز وصنعاء مركز إداري للبكلربكيات. ونظراً لفترة خدمته الطويلة في اليمن فأن أزدمر باشا اعتمد على معلومات دقيقة وذكر أسماء العديد من المدن الواقعة في البكلربكيات خاصة في تهامة والمنطقة الجنوبية[١٩].

ويرجع قرار تقسيم اليمن إلى ولايتين الذي اتخذ في جمادى الثاني سنة ٩٧٣/ديسمبر ١٥٦٥ إلى مسئول واحد هو محمود باشا الذي كان سنجاقبك طموح أصله من البوسنة، واستطاع الحصول على منصب والي اليمن في سنة ٩٦٧/١٥٦٠ عن طريق المحسوبية والرشوة[٢٠]. ويبدو من المصادر التركية والعربية أن اهتمامه خلال فترة ولايته التي استمرت حوالي خمس سنوات كان مقصوراً على جمع الثروة لنفسه ولخزانة الدولة حتى يعزز من فرص ترقيته. وكان ضحاياه الأساسيين هم الجنود والموظفين العثمانيين أو العناصر المحلية التي كانت حتى ذلك الوقت مساندة للنظام العثماني[٢١]. وعندما وصل أمر إقالته في رجب سنة ٩٧٢/فبراير ١٥٦٥ مع كامل الاستحسان لولايته هناك[٢٢]، رحل محمود باشا عن طريق الحجاز وهناك قابله قطب الدين النهروالي مؤلف البرق اليماني الذي كان شخصية مهمة في مكة في ذلك الوقت[٢٣]. وانتبه النهروالي إلى قافلته الفخمة التي ضمت ألفين جمل وأكثر من ٣٠٠ فرس والعديد من الخزائن ومائة مملوك لحراسته[٢٤]. وتفاخر محمود باشا للنهروالي بأنه واثق من تعيينه لولاية مصر وهو منصب كان مستعد أن

يدفع له مبالغ من الرشوة[٢٥].

وكما ذكرت في مقال آخر[٢٦]، تحجج محمود باشا لتقسيم الولاية إلى قسمين بأن اليمن كبيرة وبعيدة ويصعب حكمها على الرغم من ازدياد موارد الدخل والمؤسسات الإدارية ولذا كان في نظره أن تقسيمها إلى ولايتين منفصلتين هو الحل الأفضل. واقترحت أغلب المصادر أن السبب وراء تشجيع محمود باشا لهذا الإجراء هو رغبته في الانتقام من رضوان باشا الذي خلفه كوالي اليمن والذي أرسل إلى استنبول تقارير عن الأخطاء التي ارتكبها محمود باشا هناك. وفي الأرجح أن محمود باشا أوصى بتقسيم ولاية اليمن قبل أن يغادرها لسببين، أولهما أنه كان بالفعل يكن الحقد لرضوان باشا ولوالده قرا شاهين مصطفى باشا الذي شغل منصب والي اليمن (٩٦٣-٩٦٧/١٥٥٦-١٥٦٠) ووالي مصر (٩٦٨-٩٧١/١٥٦٠-١٥٦٤)[٢٧]، وثانياً وأهم من ذلك أنه كان جزء من خطته الطموحة للحصول على ولاية مصر وهو من أكثر المناصب الإدارية ثروة واعتباراً. فإقناعه للسلطة العثمانية بأن اليمن كبيرة وغنية لدرجة تستلزم تقسيمها[٢٨] كان يزيد من فرص نجاحه لنيل هذا الهدف. مثل جهوده في جمع الثروة الشخصية في اليمن، والتلاعب في العملة، ومقابلته بولي العهد (الذي أصبح سليم الثاني فيما بعد) في كوتاهية وإهداءه إياه هدايا نفيسة لإكساب رضاه، وتقديمه الهبات السخية لكبار رجال الدولة في استنبول[٢٩]، وخاصة محمد باشا صقلله الوزير الأكبر

الذي استطاع عن طريقه الحصول على مطلبه في رجب سنة ٩٧٣/ فبراير ١٥٦٦[٣٠]، أي أقل من سنة بعد عودة محمود باشا إلى استنبول وشهر بعد اتخاذ قرار تقسيم اليمن إلى ولايتين.

ولم يستمر تقسيم اليمن إلى ولايتين أكثر من سنتين، وقد نشرنا في مقال آخر الوصف التفصيلي الموثق لفشل السلطة العثمانية في المنطقة والانهيار الشبه الكامل الذي تلاه[٣١]. ولم يتم التعاون الذي نصت عليه الوثيقتان فقد كان رضوان باشا ممتعض من تقلص سلطته لولاية صنعاء والمناطق الجبلية الوسطى والشمالية التي كانت أقل ثروة وكان يصعب السيطرة عليها، مما جعله يشدد من سياسته الهدامة تجاه العناصر المحلية في سعيه لزيادة مصادر الموارد. وبالفعل انتهز الإمام المطهر[٣٢] الفرصة خاصة بعد أن انتهك رضوان باشا معاهدة السلم لسنة ١٥٥٢/٩٥٩ وعمل على اختلاق المشاكل بين رضوان باشا ومراد باشا نظيره في تهامة والمناطق الجبلية الجنوبية. وثار المطهر ضد العثمانيين مما أدى إلى تقلص نفوذهم وانحصاره في زبيد. وفي نفس الوقت توقفت في مصر الرسائل الموجهة إلى استنبول عن الحالة المتدهورة في اليمن بفعل واليها محمود باشا الذي نجح في كتمها حتى مقتله في القاهرة في جمادى الأول سنة ٩٧٥/نوفمبر ١٥٦٧[٣٣].

الوثيقة رقم ٧١٠

وصلت يوم ٩ جمادى الثاني سنة ٩٧٣ إلى سنان الذي عين قائد جنود المشاة (العزب)[٣٤] بزبيد.

أمر إلى رضوان باشا والي اليمن[٣٥]:

حيث أن ولاية اليمن هي أحد أبعد مناطق حدود مملكتنا المحروسة وكونها واسعة للغاية فإنه من المناسب أن تصبح ولايتان متعاونتان في مسائل الحماية والدفاع. ولاية صنعاء لها سبعة عشر سنجاق[٣٦] تكون تحت إدارتك بكلربكية منفصلة. وقد تم تدوين السناجق والمقاطعات التابعة لبكلربكيتك[٣٧] وعليك مراجعة جميع تفاصيلها. وعليك التصرف طبقاً لما تعتبره صحيح ولائق. أما السناجق والمقاطعات التابعة لولاية اليمن وهي أثنى عشر سنجاق فتتبع لمراد وهي بكلربكية منفصلة. وطبقاً لأمرنا فعليك أن تقوم بإدارة وضبط السناجق والمقاطعات التي خصصت لك وعلى مراد أن يقوم بنفس الشيء وعليكما أن تتحدا وتتفقا دائماً وتبذلا كل جهودكما سوياً في ضبط وربط مملكتنا ورعاية وحماية رعيتنا.

الوثيقة رقم ٧١١

أمر إلى مراد بك سنجاقبك غزة[٣٨]:

إن ولاية اليمن بعيدة جداً ولذا فإنه من الضروري تقسيمها إلى بكلربكيتين للمحافظة على النظام هناك وقد تم فصل أثنى عشر سنجاق بمقاطعاتهم[٣٩] وبرعايتنا الوافرة قد فوضناهم لك بكلربكية منفصلة. وقد

تم إرسال الإشعار الرسمي بذلك بأمرنا الشـريف وكذلك دفاتر السـناجق والمقاطعات التي عينت لك وولاية صنعاء الجديدة تـم تعيينـها لرضـوان. وعليك طبقاً لرغبتنا أن تقوم فـور وصولـك هنـاك بـإدارة السـناجق والمقاطعـات المعينـة لـك. وعليكمـا أن تتعاونـا وأن تتفقـا سـوياً وأن تتصرف بحزم وذكاء في كل الأمور المتعلقة بالولايـة وأن تحافظـا علـى سلامة ورفاهية الرعية وأن تبذل في سبيل ذلك كل الجهد. وعليك أيضـا أن تزيد من مـوارد الدولـة. وإذا طلـب رضـوان منـك مـال مـن الخزانـة لمصلحـة الأراضـي التابعـة لـه فعليـك أن تزيـده بالمبـالغ الكافيـة وأن لا تحمله ضيقاً.



الحواشي:

[1] يقدم المؤلف الشكر إلى مكتب رئيس وزراء تركيا لسماحه بدراسة وتصوير الوثائق في Beşbakanlik Arşiv في استنبول.

[2] تفاصيل الحملة البحرية المملوكية الثانية التي أعدها السلطان قانصوه الغوري في السويس بمساعدة العثمانيين ضد التهديدات البحرية للبرتغاليين في المحيط الهندي موجدة في:

J-L. Baqué-Grammont and Anne Kroell, *Mamlouks, Ottomans et Portugais en Mer Rouge*, Supplément aux Annales Islamologiques, cahier no. 12 (Cairo, 1988), pp. 1-20; H. Yavuz, *Yemen'de Osmanli Hâkimiyeti (1517-1571)* (Istanbul, 1984), pp. 39-42; M.Y. Mughul, *Osmanlilarin Hint Okyanusu Politikasi ve Osmanli-Hint Müslümanlari Münasebetleri, 1517-1568* (Istanbul, 1974), pp. 66-75; J.R. Blacburn, *Turkish-Yemenite Political Relations, 1538-1568*, unpublished doctoral dissertation (University of Toronto, 1971), pp. 31-52;

سيد مصطفى سالم، **الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥** (القاهرة، ١٩٦٩)، ص ٧٨-٩٠.

[3] نشر وصف ودراسة العملة النحاسية المضروبة في زبيد باسم السلطان سليمان قبل سنة ٩٤٥/١٥٣٨-١٥٣٩ في:

Dick Nauta, "Ottoman copper coins from Zabid in the Yemen," *Oriental Numismatic Society Newsletter*, no. 137 (Summer, 1993), pp. 10-14.

[4] إن المصدر العربي الوحيد الذي يغطي أحداث المماليك واللوند في اليمن من سنة ٩٢٢/١٥١٦ إلى سنة ٩٤٥/١٥٣٩ هو **غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني** لقطب الدين النهروالي (ت سنة ٩٩٠/١٥٨٢)، تحقيق حمد الجاسر (الرياض ١٩٦٧)، ص ١٨-٦٨. وقد ترجمه إلى التركية على الأقل شخصان مختلفان أكثرهما استشارة هو **تلخيص برق اليماني** (مخطوط فقط) لعلي عالي وكان مسئول عثماني في مصر في منتصف القرن ١٧م. وقام بصياغته إلى الفرنسية:

A.J. Silvestre de Sacy, "La Foudre du Yémen, ou Conquête du Yémen par les Othomans," *Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale*, iv (Paris, 1788), pp. 412-504.

أما الدراسات الحديثة التي تتناول الموضوع فهي تشمل:

; J.R. Blacburn, *Turkish-Yemenite Political Relations*, pp. 45-65; Yavuz, *Yemen'de Osmanli Hâkimiyet*, pp. 41-43;

سالم، الفتح العثماني، ص ٩٠-١٠١، ١٢٦-١٣٧.

وفي مقدمة رسالة من السلطان سليم الأول إلى ملك فرنسا فرنسوا الأول سنة ١٥٢٥، من الواضح أنه يعتبر نفسه سلطان اليمن:

(A.D. Alderson, The Structure of the Ottoman Dynasty (London, 1956; repr. Westport, Conn., 1982), p. 112, n. 3).

٥ تفاصيل رواية مكاسب سليمان باشا موجودة في رسائله إلى السلطات المركزية من عدن و زبيد (منشورة في:

Fevzi Kurdoglu, "Hadim Süleyman Paşanin Mektuplari ve Begradin Pilâni," *Belleten*, iv, no. 3 (1940), 65-75 and *levha* vii-viii, x-xiii).

وربما يجدر الإشارة هنا أنه عند عودته من الهند في رجب سنة ٩٤٥/ نوفمبر ١٥٣٨ قام سليمان باشا بتكوين سنجاق ثالث مركزه في الشحر على ساحل حضرموت، إلا أنه عين الحاكم المحلي كأمير -سنجاقبك- وأعطاه الحق في أن يظل مستقلاً في مقابل اعترافه بالسيادة العثمانية وإرساله الضرائب السنوية إلى استنبول. أما الدراسات الحديثة عن إنجازات سليمان باشا في جنوب الجزيرة العربية فتشمل: سالم، **الفتح العثماني**، ص ١٤٥، ١٤٩-١٥٣.

J.R. Blacburn, *Turkish-Yemenite Political Relations*, pp. 82-101; Yavuz, *Yemen'de Osmanli Hâkimiyeti*, pp. 45-47; M.Y. Mughul, *Osmanlilarin Hint Okyanusu Politikasi*, pp. 136-140, 167-9.

٦ لتفاصيل تتعلق بالتوسعات الإقليمية والنزاع داخل أسرة الإمام المتوكل على الله شرف الدين (ت سنة ٩٦٥/١٥٥٨) انظر:

J.R. Blackburn, "The Ottoman Penetration of Yemen: An Annotated Translation of Özdemür Bey's Fethname for the Conquest of Sana' in Rajab, 954/August 1547," *Archivum Ottomanicum*, vi (1980), 55-100.

قام الزيديين بالاستيلاء على تعز في سنة ١٥٣٤/٩٤١-١٥٣٥ بقيادة المطهر ابن الإمام (ت ١٥٧٢/٩٨٠)، انظر: النهروالي، **البرق**، ص ٥٠، ويحي بن الحسين المؤيد بالله محمد، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، جزآن (القاهرة، ١٩٦٨)، جزء ٢ ص ٦٦٩، ٦٧٩ وبعدها.

٧ كان عدد البكلربكيات في الدولة العثمانية في ذلك الوقت قليل بالنسبة لعدد السناجق، وكان هناك ١٧ بكلربكية في آخر عهد السلطان سليمان:

Halil Inalcik, *The Ottoman Empire: the Classical Age 1300-1600* (London, 1975), p. 105.

أما Metin Kunt في كتابه:

The Sultan's Servants: the Transformation of Ottoman Provincial Governments 1550-1650 (New York, 1983), pp. 26f.

فيذكر أنه في الفترة ما بين سنة ١٥١٠ و ١٥٤٠ وصل عدد البكلربكيات إلى ١٥ نتيجة للتوسعات، ولكن لا يشير أي منهما إلى اليمن.

٨ الوثيقتان الموجهتان إلى والي صنعاء واليمن موجودتان في المجلد الخامس من دفاتر Mühimme وهي مرقمة ٧١٠ و ٧١١ في الصفحات ٢٧٧ وما بعدها. وسجلها Yavuz في مع بعض الاختلافات في القراءة عن تلك الموفرة هنا. ولا بد من أن نذكر

أن هذه الوثـائق ليسـت الأصليـة ولكنـها نسـخ مبسـطة للرسـائل المدونـة فـي الدفـتر كتسجيل دائم للأحكام التي صدرت باسم السلطان.

[٩] تضم الوثائق الموجودة في أرشيف مكتب الوزراء التركي عدد كبـير ومتنـوع مـن الوثائق المتعلقة باليمن لفترة تقسيم اليمن (٩٧٣/١٥٦٥-١٥٦٦) وتوجد في المجلدات ١-٦ من تصنيف الوثائق Mühimme Defterleri

[١٠] انظر الحاشية رقم ٢.

[١١] هـذه الوثيقـة الموجـودة فـي أرشـيف قصـر توبكـابي Topkapi فـي اسـتنبول (رقـم E6455) نشرها بشكل غير كـامل وترجمـها إلـى الإنجليزيـة وإلـى الفرنسـية ونـاقش مضمونها:

Fevzi Kurdoğlu, "Meşhür Türk amirali Selman Reisin lâyihasi," *Deniz Mecmuasi*, xlvii, no. 33 (1935), 67-73' Salih Özbaran, "A Turkish Report on the Red Sea and the Portuguese in the Indian Ocean (1525)," *Arabian Studies*, iv (1978), 81-88; Michel Lesure, "Un Document Ottoman de 1525 sur l'Inde Portugaise et les pays de la Mer Rouge," *Mare Luse-Indicum* iii (1976), 137-160; M. Y. Mughul, *Osmanlilarin Hint Okyanusu Politikasi*, pp. 92-99.

[١٢] انظر:

J.R. Blackburn, *Turkish-Yemenite Political Relations*, pp. 33-35m 58f; Yavuz, *Yemen'de Osmanli Hâkimiyeti*, pp. 42f; M.Y. Mughul, *Osmanlilarin Hınt Okyanusu Polıtıkası*, pp. 90f.

لمعلومات عن سلمان رئيس انظر:

Baqué-Grammont and Kroell, , *Ottomans et Portugais en Mer Rouge*, pp. 5-20.

[١٣] ذهب حسـن بـك الرومـي أمـير جـدة إلـى اليمـن بصحبـة سـلمان رئيـس فـي سـنة ٩٣٠/١٥٢٤ ولكنه اختلف معه بعد أن هزما المماليك اللوند فرجع سلمان رئيس إلـى مصر بينما استمر حسين بك مسيطراً على زبيد.

[١٤] من الغريب أن Kurdoglu و Ozbaran أسقطا كلمة beş أي خمسة فـي حيـن أنـها واضحة في الأصل لعدد السناجق التي يمكن تكوينها في اليمن:

Kurdoğlu, "Meşhur Türk amirali," p. 71; Özbaran, "A Turkish Report," pp. 84f; Lesure, "Un Document Ottoman," pp. 156-58.

[١٥] صورة هذه الوثيقة ونسختها باللغة التركية الحديثة موجودة في:

Kurdoğlu, "Hadim Süleymān Paşanin Mektuplari," pp. 65-69.

وعين وجودها في أرشيف قصر توبكابي ولكنـه لـم يذكـر رقمـها (E 6454) ومـن المرجح أن هذه الوثيقة كتبت في يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول سـنة ٩٤٥/٩ أغسـطس ١٥٣٨ وهي أول خطبـة الجمعـة باسـم السـلطان سـليمان ألقيـت فـي عـدن. عن هـذه الرسالة انظر:

Blackburn, *Turkish-Yemenite Political Relations*, pp. 82-88.

ونفس الكتابة الغريبة لصنعان التي تظهر لأول مرة في تقرير لسنة ١٥٢٥/٩٣١ المنسوب إلى سلمان رئيس موجودة في هذه الرسالة مما يوحي بأن سليمان باشا ربما اطلع على التقرير.

[١٦] في رسالة أخرى مرسلة من زبيد في أوائل شوال سنة ٩٤٥/أواخر فبراير ١٥٣٩ وصف سليمان باشا الخادم بالتفصيل هزيمة آخر المماليك اللوند واستيلاءه على زبيد والمنطقة المحيطة بها. وقد حصل سليمان باشا الخادم فيما بعد على منصب الوزير الأكبر (٩٤٨-٩٥١/١٥٤١-١٥٤٤) ومن المرجح أنه كان مسئول عن ترقية وضع اليمن من سنجاق إلى بكلربكية.

[١٧] الترجمة الإنجليزية لهذه الوثيقة التي كتبت أصلا باللغة العربية، ثم ترجمت إلى التركية للسلطات المركزية، انظر:

J.R. Blackburn, "The Ottoman Penetration of Yemen," pp. 55-100.

[١٨] لمعلومات عن خلفية أزدمر ودوره في اليمن، انظر:

J.R. Blackburn, *Turkish-Yemenite Political Relations*, pp. 135-193; J.R. Blackburn, "Özdemir Pasha," in *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed., viii, 235f.

[١٩] Blackburn, "The Ottoman Penetration of Yemen," pp. 87f.

[٢٠] يوجد التأكيد على أن التقسيم الإداري لليمن كان النتيجة المباشرة لاقتراح محمود باشا في: *Mühimme Defterleri (MD)*, v, no. 1236, p. 460.

[٢١] لتفاصيل عن خلفية محمود باشا وعمله في اليمن، انظر:

J. R. Blackburn, "The Collapse of Ottoman Authority in Yemen, 968/1560-976/1568," *Die Welt des Islams*, xix (1980), 122-131.

[٢٢] إن الاستحسان لهذا الاقتراح ووعد بالترقية واضحان في رسالة موجهة لمحمود باشا في ١٨ شعبان ٢١/٩٧٢ مارس ١٥٦٥ (*MD*, vi, no. 889, p. 420).

[٢٣] انظر: *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed., "al-Nahrawālī,", vii, p. 911f.

[٢٤] ص ١٣٨، ١٤١ وبعدها.

[٢٥] ص ١٣٩ وبعدها.

[٢٦] انظر:

"The Collapse of Ottoman Authority in Yemen," pp. 136-138; Yavuz, *Yemen'de Osmanli Hâkimiyeti*, p. 75.

[٢٧] النهروالي، البرق، ص ١٣٥، ١٣٩، ١٧٣ وبعدها.

[٢٨] انظر الحاشية رقم ٧.

[٢٩] النهروالي، البرق، ص ١٥٠ وبعدها.

[٣٠] أصبح محمد باشا صقله الوزير الأكبر في آخر ذو القعدة ٩٧٢/ يونيو ١٥٦٥، انظر: *MD*, v, no. 998, p. 376 (19 Rajab 973/9 February 1566).

[٣١] Blackburn, "The Collapse of Ottoman Authority in Yemen," pp. 40-71; Yavuz, *Yemen'de Osmanli Hâkimiyeti*, pp. 75-78.

[٣٢] انظر: *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed., "al-Mutahhar," vii, pp. 761f.

[33] النهروالي، البرق، ص.١٩٨

[34] انظر:

S, Ozbarab, "A Note on the Ottoman Administration in Arabia in the Sixteenth Century," *International Journal of Turkish Studies*, iii (1984-5), p. 95.

[35] كان رضوان باشا ابن قرا شاهين مصطفى باشا الذي شغل منصب والي اليمن (٩٦٣-١٥٥٦/٩٦٧-١٥٦٦) وأخو بهرام باشا الذي شغل هو الآخر نفس المنصب فيما بعد. عن خلفية رضوان باشا وأعماله في اليمن قبل تقسيم الولاية انظر:

Blackburn, "The Collapse of Ottoman Authority in Yemen," pp 131-36; Yavuz, *Yemen'de Osmanli Hâkimyeti*, pp. 74f; *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed., "Ridwan Pasha".

[36] صارت الوحدة الإدارية المسمى سنجاق داخل الولاية في ذلك الوقت تطلق على عدد من الولايات الصغرى (انظر الحاشية رقم ٧). ولم تذكر أبداً أسماء السناجق السبعة عشر لبكلربكية صنعاء ولكن ذكرت المصادر التاريخية بالإضافة لمدينة صنعاء نفسها صعدة وإب وعدن.

[37] كانت المقاطعة في الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية وحدة ضريبية محددة تؤجر لملتزم فترة محدودة. ويذكر S. Özbaran في دراسته لميزانية اليمن لسنة ٩٦٩/١٥٦١-١٥٦٢ أن المصادر الرئيسية للدخل الضريبي كانت خراج الأراضي والمقاطعات وضرائب الموانى، انظر:

"The Salyāne System in the Ottoman Empire as Organised n Arabia in the Sixteenth Century," *Osmanli Arastirmalari Dergisi* vi (1986), p. 45.

[38] لتفاصيل عن مراد باشا وأعماله كبكلربك في اليمن قبل وفاته في محرم ٩٧٥/ يوليو ١٥٦٧ انظر:

Blackburn, "The Collapse of Ottoman Authority in Yemen," pp. 139-59; Yavuz, *Yemen'de Osmanli Hâkimyeti*, pp. 75-78.

[39] في وثيقة أدرجها Yavuz، في دراسته (ص٥١)، أنه في أقل من ١٥ سنة من تقسيمها إلى ولايتين تم توحيد اليمن إلى ولاية واحدة ذات ٨٢ سنجاق.

موجز تاريخي عن دار السكة بصنعاء*

نيكولاس لويك

كانت صنعاء خلال فترات متفاوتة من التاريخ هي المركز الرئيسي لضرب السكة في اليمن، سواء من الذهب أو الفضة أو النحاس. وإذا كان العدد المتبقي من المسكوكات يدل على أن إنتاجها كان قليل بالمقارنة مع دور الضرب في المدن الإسلامية الأخرى، فقد كانت دار الضرب بصنعاء تصدر نسبة هامة من كل الذهب المسكوك في أقاليم الخلافة. واليمن غنية بالمعادن الثمينة كما هو واضح من كتاب الهمداني عن الذهب والفضة[١] حيث سجل لجنوب الجزيرة ثمانية مناجم ذهب وثلاثة مناجم للفضة، منهم منجمان ذهب في جبل حضور (أو حجور) بالقرب من صنعاء ومنجم فضة في جبل حراز. وكان الذهب يستخرج أيضاً في الحجاز، ويبدو أنه كان يوجد هناك دار للسكة في العصر الأموي، كما يستدل من دينار أموي نشر مؤخراً يحمل الكتابة التالية: ''معدن أمير المؤمنين بالحجاز''[٢]. ومع ذلك فإنه لم يوجد دار للسكة في اليمن قبل العصر العباسي. وكان العامل المالي هو الدافع وراء إنشاء دار للسكة في صنعاء في العصر العباسي، إذ كانت أغلب الضرائب المجبية في اليمن سلع ولكن تألف الدخل الناتج الذي كان يرسل إلى الخليفة مرتين في السنة من نقود من الذهب. وفي العصر الأموي كانت

---

* مترجم عن: Lewick, Nicholas. "The Mint of San'ā': A Historical Outline," in *San'a': An Arabian and Islamic City*, London, 1983, 303-309

جميع النقود الذهب تضرب في دار الضرب بدمشق. وعند قيام الخلافة العباسية تم نقل دار الضرب المركزية إلى بغداد. وأول نقود يمكن نسبتها إلى صنعاء هي فلوس (نحاسية) بتاريخ ١٥٦-١٥٨/٧٧٢-٧٧٤ عليها دار الضرب ''اليمن'' وهي على طراز العاصمة العباسية، ومن المحتمل أن القوالب أعدت في بغداد حتى لو أن النقود نفسها ضربت محلياً.

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية تذكر أن محمد بن خالد البرمكي الذي أرسل إلى اليمن في سنة ١٨٣/٧٩٩ كان أول من بنى دار الضرب في سوق التبانين، فإنه يوجد دراهم من الفضة من صنعاء مؤرخة بسنة ١٧١/٧٨٧. أما نقود الذهب فلم تضرب إلا في سنة ٢٢١/٨٣٥. واستمر الذهب المعدن الرئيسي المسكوك في اليمن خلال ثلاثة قرون وحتى وصول الأيوبيين[٣]. وبالإمكان تفسير انعدام نقود من الفضة والنحاس في تلك الفترة بأن الغرض من دار الضرب كان تزويد الضرائب بالنقود وليس لتسهيل المعاملات اليومية. وتطابق النقود المبكرة من صنعاء الطراز العباسي المعروف حيث سجل عليها الشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مع التاريخ واسم الخليفة، وذلك بانتظام منذ سنة ٢٢١/٨٣٥. ومن حين إلى آخر سجلت أسماء الولاة. والأسماء التالية مستمدة مع بعض التصحيحات والإضافات من دراسة رمزي بخعزي ''نقود اليمن ١٣٢-٥٦٩ هجري'' (انظر حاشية ٣):

الاسم كما يظهر على العملة	الوالي	السنة
الغطريف	(الغطريف بن عتاء الكندي ١٧٠-١٧٣)	١٧١، ١٧٢
يزيد	(لم يتعرف عليه)	١٧٣
العباس بن محمد	(العباس بن محمد ١٧٩-١٨٠)	١٧٩
عبد الله بن مصعب	(عبد الله بن مصعب ١٨٠-١٨١)	١٨٠
حماد	(حماد البربري ١٨٤-١٩٣)	١٨٤،١٨٥، ١٨٨،١٨٩، ١٩١، ١٩٢
هاشم بن عبد الله	(لم يتعرف عليه)	١٨٤، ١٩٥
ابن الوداح	(نعيم بن وداح الأزدي ٢٠٦-٢٠٨)	٢٠٧

إيتاخ	(أيتاخ التركي ٢٢٥-٢٣١)	٢٣٠، ٢٣١
جعفر	(جعفر بن دينار ٢٣١-٢٣٢)	٢٣٢، ٢٣٣
المظفر بن حاج	(المظفر بن حاج ٢٩٣-٢٩٨)	٢٩٥
محمد بن المظفر	(محمد بن المظفر بن حاج ٢٩٨)	٢٩٨

ولا تضم هذه القائمة أسماء ورثة الخلافة العباسية، أو أفراد أسرة الخليفة التي تظهر أسماءهم على نقود دار ضرب صنعاء مثلها مثل الدور الأخرى، كالمهدي (ابن المنصور) وأبو عبد الله (المعتز) والموفق (أخو المعتمد) وابنه أحمد (المعتضد). ومن الطبيعي أن أسماء ولاة آخرين ستضاف إلى هذه القائمة عند تعرفنا على مجموعات جديدة من نقود صنعاء.

وتعتبر العلاقة بين عملات الذهب والفضة والنحاس في اليمن خلال الفترة العباسية معقدة نتيجة لخفة وزن الدينار والدرهم بها عن باقي أقاليم الخلافة. وذكر ابن رستة في حوالي سنة ٩١٢/٣٠٠ أن أهل صنعاء تعاملوا بالدينار المطوق والدراهم السديسية والفلوس، وأن نسبة الدرهم إلى الدينار وصلت أحياناً من ٦٠ إلى ١٠٠، وأن وزن الدرهم كان سدس الدرهم المتعارف عليه[٤]، وكان الدرهم يوازي ٢٤ فلس. وفي دراسة عن الدينار المطوق استشهد تول C. Toll بالهمداني

والعلوي، إذ ذكر الأخير أن وزن المطوق كان سبع أعشار من المثقال أو درهم قفلة. ويعتقد تول أن القفلة ٢,٩٧ جرام أو وزن الدرهم الأموي، كما سجل عدد كبير من دنانير صنعاء من القرنين ٣ و٤ هجري/٩-١٠م ذات وزن قريب من القفلة[٥]. وأصل كلمة مطوق كما ناقشها تول غير مؤكد. وقدر كل من الهمداني والعلوي قيمة الدينار المطوق بعشرين درهم قفلة (أو سدس من الدرهم). إذاً فإن نسبة الذهب إلى الفضة تكون ١ إلى ٢٠ على عكس ما كانت عليه في زمن ابن رستة من ١ إلى ١٠ أو ١ إلى ١٦.

أما الدرهم السديسي فكان وزنه ٠.٩٤ أو ٠.٣٢ على حسب إذا كان المعيار هو القفلة أم الدرهم اليمني. ولا توجد دراهم من هذا النوع من دار ضرب صنعاء إلا أن الزيديين الرسيين ضربوا نقود في صعدة قريبة من هذا الوزن، ومن المحتمل أن نقودهم كانت متداولة في صنعاء. وأغلب النقود الفضية العباسية من صنعاء لا يزيد وزنها عن ٠.٧ جرام بكثير. ومن المحتمل أنها كانت ربع الدرهم القفلة وهناك عملة وزنها ٠.٧٥ جرام نشرها مايلز Miles تحمل كلمة ''ثلث''[٦] وقد استخدم نفس المعيار لدراهم القرن ٨/١٤.

الذهب:

دينار مطوق	٢.٩٧ جرام

الفضة:

درهم قفلة	٢.٩٧ جرام

ثلث درهم قفلة	٠.٩٩ جرام
ربعه	٠.٧٤ جرام
سدسه	٠.٤٩ جرام
درهم يمني ١٠ قيراط ١.٩٥ جرام	
ثلثه	٠.٦٥ جرام
سدسه	٠.٣٢ جرام

وخلال النصف الثاني من القرن ٩/٣، فقد الولاة العباسيون نفوذهم أمام الدويلات المحلية مثل اليعفريين في صنعاء والزيديين الرسيين في صعدة. وعلى الرغم من ذلك فلم تنعكس هذه التحولات على مسكوكات صنعاء التي استمر ضربها باسم الخليفة وأحيانا أضيف اسم الوالي. ويؤكد مؤلف سيرة الهادي أن الإمام أمر بضرب السكة والطراز باسمه بعد أن دخل صنعاء في سنة ٩٠٠/٢٨٨. وحتى الآن يعتبر أن أول تاريخ لنقود غير عباسية هو دينار باسم الهادي من سنة ٩٠٦-٩٠٥/٢٩٣، وهو التاريخ الذي انتزع فيه الهادي مدينة صنعاء من القرمطي ابن الأفضل. وتبعته عملة مماثلة أخرى ضربت في صعدة في سنة ٩١٠/٢٩٨، وهي السنة التي دخل فيها القرامطة صنعاء لفترة قصيرة. ومن المحتمل اكتشاف عملات ربما قام القرامطة بسكها في صنعاء خلال تلك الفترتين.

وأدى تدهور الدولة العباسية واستيلاء الأمراء المحليين على امتيازات الوالي العباسي إلى تكاثر دور الضرب خلال القرن ١٠/٤ في مناطق أخرى من اليمن مثل البيشة وذمار وسردد وعثار وعدن وزبيد. ويظهر اسم إسحاق بن إبراهيم الزيادي على عملات من زبيد، بينما نجد اسم أبو علي محمد بن القاسم على نقود من عدن ولكنه شخصية غير معروفة حتى الآن. أما النقود الصادرة عن دور الضرب الأخرى فلا يظهر عليها أسماء الحكام المحليين. وفي سنة ٩٢٣/٣١١ حدث تغيير في نقود صنعاء، وهي الفترة التي توقفت فيها الولاية العباسية فأدخلت دنانير خفيفة جديدة (حوالي ١.٨ جرام) ذات طراز مختلف مع احتفاظها باسم الخليفة. أما نماذج من سنة ٣٢٥ وبعدها فتحمل عبارة ''أمر به الأمير'' في المساحة المحيطة بالحافة. وقد ناقش رمزي بخعزي Ramzi Bikhazi مشكلة نسبة هذه النقود التي أطلق عليها اسم أميري، على أنها من إصدار أحد الحكام المحليين الذي أراد أن يؤكد من وضعه المستقل[٧]. وقد ترك باب النقاش مفتوح أمام السؤال إذا كان هذا الحاكم هو الأمير اليعفري أسعد أم الزيادي أبو الجحش. وبدون شك أن أسعد قام بضرب دنانير، ولكنه غير محتمل أنه تلقب بالأمير. وقد ذكر مؤلف **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** الدنانير الأسعدية في حوادث سنة ١٠٦٥/٤٥٨-١٠٦٦[٨]. وبما أن نقود أسعد غير معروفة فهناك إمكانية كبيرة أنها نفس النقود التي أطلق عليه بخعزي ''أميري'' وخاصة إنها من نوع متميز. وهناك تفسير آخر، وهو بما أن هذه النقود استمرت شكلياً تحمل اسم الخليفة العباسي فربما كان الأمير هو الوالي العباسي

حتى ولم يعد لديه أي سلطة حقيقية. ومن المرجح أن الصيغ والعبارات الغير محددة على النقود كانت الحل الأمثل لمشكلة الولاء في فترة التنازع على السلطة.

وتشكل الدنانير الأسعدية مشكلة أخرى، فبعض النقود التي ضربت في صنعاء وأخرى في ذمار بين سنة ٣٢٥ وسنة ٣٤٠ تحمل اسم الخليفة المستكفي الذي خلع في سنة ٣٣٤. في حين أن نقود أخرى من نفس الفترة تحمل اسم الخليفة المطيع. ورفض بخعزي فكرة أن هذا التضارب قد يعكس صراع حزبي في العراق، معتقداً أن أحزاب متعارضة في اليمن هي المسئولة عن مجموعتي النقود. كما اقترح أن البعض منها ربما ضرب بأمر الوالي الشرعي والبعض الآخر بأمر المتمردين[٩]. وليس من المؤكد (كما ذكر بخعزي) أن تواريخ هذه النقود موثوقة، إذ يوجد نموذجان باسم المستكفي بتاريخ سنة ٣٢٥ ومن الواضح أنهما ضربا من قوالب قديمة بوجه العملة على الرغم من أنه لم يتول الخلافة إلا في سنة ٣٣٣. وكذلك نقود باسم المستكفي مؤرخة بسنة ٣٣٥ وبعدها، فمن المحتمل أنها ضربت من قوالب قديمة بظهر العملة. وليس لدينا حاليا أدلة كافية للإجابة على هذا السؤال.

وآخر دينارين صدرا عن دار الضرب بصنعاء لمدة حوالي قرن مؤرخان بسنة ٣٤٣ وسنة ٣٤٤. وليس هذا دليل على توقف دار الضرب طوال تلك الفترة، إذ ذكر كتاب **أئمة اليمن**[١٠] أن نقود باسم

المهدي الحسين، وهو منافس للزيديين الرسيين، ضربت في صنعاء في سنة ١٠١١/٣٠٢. واستمر الرسيون واليعفريون والزياديون في التنازع للسيطرة على المدينة، ومن الممكن أن نفترض أنهم قاموا بضرب السكة هناك لإعلان سلطتهم. أما النماذج التالية المعروفة فهي من إصدار يحيى بن أبي حاشد الخولاني الذي حكم بين ١٠٣٠/٤٢٢ و ١٠٤٨/٤٤٠، وهذا الإصدار الذي تعرف عليه كزانوفا Casanova لم يعتبره بخعزي ضمن قائمته[11] بسبب كونه نموذج فقير، ولكنه من المؤكد أن الكتابة تحمل اسم يحيى بن أبي حاشد ودار الضرب بصنعاء. ومن المحتمل أن صانع القالب كان أمياً ونقل الكتابة من نموذج أمامه.

ولا نعرف للصليحيون أي نقود ضربت في صنعاء حتى الآن، ولكنهم قاموا مثل الزريعيين بضرب كميات كبيرة من الدنانير "الملكية" بعدن. وقد انتهت سيطرة الصليحيين على صنعاء في سنة ١٠٨٨/٤٨١-١٠٨٩ عندما أصبحت المدينة تحت حكم الهمدانيين بني حاتم حتى دخول الأيوبيين في سنة ١٠٧٣/٥٦٩-١٠٧٤. ومرة أخرى لا بد من الرجوع إلى المصادر التاريخية لاستمداد المعلومات عن السكة. وذكر أن دنانير حاتمية ربما ضربت في صنعاء كانت توازي أربعة دنانير سبئية. ومن المحتمل أن الدينار السبئي هو الدينار من النوع "الملكي" الذي ضربه السلطان الصليحي سبأ بن أحمد (٤٨٤-٤٩٢)[12]. ويتراوح وزن الدنانير "الملكية" المعروفة حول ٢.٣٨ جرام وعلى هذا فإن الدينار الحاتمي وصل وزنه ٩.٥٦ جرام أي ضعف

وزن الدينار المعتاد لهذا العصر. وكان ذهب الدنانير الملكية رديء النوع، أما الدنانير الحاتمية فكانت من ذهب أكثر نقاءً وذات وزن لا يتعدى ٥ جرام.

وترجع ندرة نقود صنعاء من القرنين ٥ و٦ من الهجرة إلى عدم توفر مجموعات هامة منشورة. وبالمقارنة مع الأعداد الكبيرة من النقود الصليحية وغيرها يمكننا أن نرجح أن إنتاج صنعاء في تلك الفترة كان أقل بكثير من فترة الولاة العباسيين. وربما يرجع هذا إلى سببين: أولهما سياسي، فضعف سيادة الخلافة وتبدد سيطرتها أدى إلى فقدان صنعاء أهميتها كمركز إداري. فلم تعد الدنانير ضرورية لدفع الضرائب لبغداد، بينما أدى نمو الدويلات المستقلة إلى إنشاء دور ضرب في مراكز أخرى تقوم بسك النقود للاستخدام المحلي أساساً. أما السبب الثاني فهو تجاري إذ أن موقع صنعاء الجبلي كان أقل ملائمة لتطور التجارة من المدن الساحلية التي استفادت من علاقتها البحرية مع الهند ومصر. فالإنتاج الكبير للدنانير الملكية في عدن يعكس مركزها التجاري العالمي. وعلى سبيل المثال، كانت عدن المركز التجاري الرئيسي للتاجر رمشيت السيرافي (ت ٥٣٤/١١٤٠) الذي كان يملك سفن تبحر في المحيط الهندي. وكذلك كانت دار ضرب زبيد التي أسسها الزياديون في القرن ٩/٣ والتي تطورت أثناء حكم الأيوبيين والرسوليين، مرتبطة بموقع المدينة الذي يبعد حوالي ٢٥ كم من الساحل وطريق الحج إلى مكة. فكانت المعاملات التجارية في المنطقة على درجة من النشاط الذي تطلب

مقدار مرتفع من النقود. ولم تسترجع صنعاء مكانتها كدار الضرب الرئيسية في اليمن إلا بعد قيام أسرة جديدة من الأئمة الزيديين.

ويعتبر الفتح الأيوبي لليمن في سنة ٥٦٩/١١٧٤ على يد طورانشاه أخو صلاح الدين حداً فاصلاً في تاريخ نقودها. إذ صارت دور الضرب التي كانت تسك النقود للدويلات المستقلة المختلفة خاضعة لسلطة مركزية، كما أصبح إصدارها موحداً يحمل اسم السلطان والخليفة العباسي. وكان التحول في نوع المعدن أهم من ذلك من الناحية الاقتصادية، فقد كانت نقود اليمن من دنانير الذهب بخلاف بعض الدراهم العباسية والزيدية الرسية. وقام الأيوبيون بسك نقود من الفضة (وضربوا نقود من الذهب في مناسبات نادرة) وتبعتهم في ذلك السلالات الحاكمة اللاحقة. ويرجع سبب هذا التغيير إلى عوامل خارج اليمن، وإلى الوضع النقدي في الشرق الأوسط في فترة العصور الوسطى حيث كان الذهب أساس العملات في العالم الإسلامي حتى القرن ١٢/٦، لدرجة أنه لم تسك أي نقود من الفضة خلال قرن ونصف (مطابق لفترة حكم السلاجقة في إيران) في حين أن عملات الذهب كانت متوفرة. والسبب في ذلك لا يزال غير مفهوم وربما كان ناتجاً عن الفرق في القيمة النسبية بين الذهب والفضة في أوروبا والشرق الأوسط مما أدى إلى تصدير الفضة من العالم الإسلامي إلى أوروبا[١٣].

بدأ انبعاث الفضة كعنصر أساسي للنقود الإسلامية في سوريا في السنوات التالية لسنة ٥٧٠/١١٧٤-١١٧٥، عندما أصدر صلاح الدين الأيوبي مجموعة ضخمة من دراهم الفضة الخالصة في دمشق وغيرها من دور ضرب أخرى. وفي القرن التالي صارت الفضة المعدن الأساسي للنقود في جميع البلدان الإسلامية، واستوردت مجموعات كبيرة من معدن الفضة من أوروبا. أما نقود الذهب وخاصة دنانير المرابطين وأتباعهم في شمال إفريقيا فكانت تمر عبر البحر المتوسط إلى فرنسا وإيطاليا وشمال أوروبا. كما أدى رفع العثمانيون لضريبة الفضة بعد سنة ١٥٨٠ إلى وصول كميات هائلة من الفضة بأسعار منخفضة من أوروبا والعالم الجديد إلى الشرق الأدنى. ونظراً لهذه الظروف فإنه ليس من الغريب أن يتحول اليمن إلى الفضة كالمعدن الأساسي لسك النقود.

وتعتمد معلوماتنا عن النقود الأيوبية في اليمن بالأساس على مجموعة نشرها G.C. Miles في سنة ١٩٣٩[١٤] وتضم ٧٧ درهم، منهم ٣٥ من زبيد و١٩ من عدن و١٠ من تعز و٨ من صنعاء وواحد من ريدح (هكذا). وهذه الأرقام تعطي فكرة واضحة عن الأهمية النسبية لدور الضرب المختلفة، حيث تعتبر زبيد وعدن أكثرهم أهمية مثلما كانتا في الفترة قبل الفتح الأيوبي. وتعطي المجموعات الصغيرة من النقود الأيوبية التي نشرت حتى الآن نفس الصورة. ونقود صنعاء من تلك الفترة قليلة وكلها من الفضة.

الحاكم	السنة	المصدر
إسماعيل بن طغتكين	٥٩٥	CoinHoards I (1975)
أيوب بن طغتكين	٦٠٥	P. Balog, no. 6
العادل مع الكامل كولي العهد	٦١٧	Miles no. 43
الكامل مع المسعود يوسف	٦٢١	Miles no. 44, 45
" "	٦٢٣	Miles no. 46, 47
" "	٦٢٥	Miles no. 48
" "	٦٢٦	Miles no. 49

لاحظ مايلز Miles وجود فترة فاصلة بالنسبة لذكر اسم الحاكم. فمثلا كانت وفاة العادل سنتين قبل ضرب عملة باسمه في سنة ٦١٧، في حين أن للمسعود يوسف نقود مؤرخة بسنة ٦٢٦ و٦٢٧ (من زبيد) وكان قد توفي في سنة ٦٢٥. وليس من الواضح إذا كان هذا التناقض نتيجة لعوامل سياسية أم لإهمال أدى إلى استخدام قوالب قديمة. وتذكر أحد المصادر التاريخية أن سنقر الأيوبي أقام دار ضرب بصنعاء حوالي سنة ٦٠٤/١٢٠٧[١٥]، إلا أنه يوجد درهم لإسماعيل بن طغتكين بتاريخ سنة ٥٩٥ مما يدل على وجود دار ضرب أيوبية في صنعاء قبل ٦٠٤. وذكر ابن المجاور أن إسماعيل بن طغتكين كان أول ملك أمر بسك "الدرهم الكبير" وكان وزنه ١٣ قيراط أي ٢.٤ جرام[١٦]. وربما كان درهم سنة ٥٩٥ من ضمن تلك الدراهم إلا أن وزن نماذج من هذه السنة من تعز وعدن وزبيد لا يتعدى ١٠ قراريط.

وتنازع الرسوليون والزيديون على صنعاء خلال معظم القرن ١٣/٧، ولذا تعتبر نقود صنعاء من هذه الفترة قليلة جدا. وضربت دراهم الأئمة الزيديين في صعدة وكحلان من دون صنعاء[١٧]. أما بالنسبة للرسوليين فهناك درهم للمنصور عمر ضرب في صنعاء في سنة ٦٤٣. وذكر نوتزل Nützel نقود نحاسية لسنتي ٦٣١ و٦٤٣[١٨]. وفي سنة ١٢٥٠/٦٤٨ استولى الإمام المهدي أحمد بن الحسين على صنعاء أثناء غياب الوالي الرسولي، ثم استمال الإمام الوالي حتى يؤيده ضد السلطان فتم تجديد عهدهما في سنة ٦٥٠[١٩]. وتشهد الدراهم التي ضربت في صنعاء باسم الإمام في سنة ٦٤٨ و٦٥٠ على هذه الأحداث. وعندما استرد الرسوليون صنعاء سكوا دراهم يوجد منها نماذج من سنة ٦٥٠ و٦٥١ و٦٥٤. ومن الواضح أن صنعاء لم تصدر نقود بنفس الكميات التي أصدرت في عدن وتعز وزبيد والمهجم. وعندما استولى الإمام الناصر صلاح الدين محمد (٧٧٣-١٣٧١/٧٩٣-١٣٩٠) على صنعاء قام بضرب نقود من الفضة الخالصة[٢٠]، وتم مؤخراً اكتشاف أحد الدراهم بتأريخ سنة ٧٨٩ وعليه اسمه ودار الضرب بصنعاء. وذكر المصدر **ترجمان المفتح** (من القرن ١٥/٩) نوع من الدراهم يسمى ''المهدي'' ويزن ثلثي قفلة أي ٢.٠٨ جرام[٢١] ربما أصدره أحد الأئمة الزيديين من تلك الفترة. وآخر عملة من صنعاء قبل الفتح العثماني الأول هي دراهم باسم الإمام المتوكل شرف الدين يحي (٩١٢-١٥٠٦/٩٦٥-١٥٥٠) مؤرخة بسنة ٩٣٧[٢٢].

أما النقود التي ضربت خلال فترة الحكم العثماني الأول فهي قليلة. وبعد دخول العثمانيين في المناطق الساحلية من اليمن في سنة ١٥٣٨/٩٤٥، أنشئوا دار لضرب الذهب في زبيد، ولكنهم لم يستولوا على صنعاء إلا في سنة ١٥٤٥/٩٥٣. وقد اكتشف مؤخراً نقود فضة من صنعاء باسم السلطان سليم مؤرخة بسنة ٩٢٦ و٩٩٣ و٩٩٤[٢٣]. والتاريخ ٩٢٦ هو سنة اعتلاء السلطان العرش وليس تاريخ ضرب العملة. أما السنوات ٩٩٣ و٩٩٤ فهي تقع خلال فترة حكم السلطان مراد الثالث، إذاً ضربت هذه النقود بعد وفاة السلطان سليمان. كما توجد نقود من الفضة باسم السلطان مصطفى الأول والسلطان مراد الرابع مؤرخة بسنة ١٠٣١ و١٠٣٢[٢٤]، وقد يطابق التاريخ سنة اعتلاء السلطان العرش أو سنة الضرب. أما وزن نقود الفضة العثمانية من صنعاء فهو ٠,٢-٠.٣ جرام وهي مطابقة لنقود ''الأكشة'' التي ضربت في الأقاليم الأخرى للدولة العثمانية. وربما هي نماذج من البقشة اليمنية وهي فئة صغيرة من الفضة، ويقال أن أنواع مختلفة منها كانت متداولة في القرن ١٦/١٠[٢٥]. وهناك أيضاً عملات نحاسية سميكة من عصر السلطان سليمان الأول مكتوب عليها ''ضرب صنعاء المحروسة'' وبدون شك أنها المناقير السليمانية التي ذكرت في مخطوط فتاوى أبو مخرمة[٢٦]. وهي تشبه عن قرب النقود النحاسية القاهرية، وربما تم إرسال القوالب أو الصناع إلى اليمن من القاهرة. وهناك نقود نحاسية مشابهة ضربت في صعدة وكوكبان. ولا بد أن نذكر هنا أنه لا يوجد أي

نقود ذهبية من دور الضرب الواقعة في الجبال على عكس زبيد والحديدة.

أما نقود أئمة صنعاء بعد خروج الأتراك في حوالي ١٠٤٠/١٦٣٠ وحتى الدخول العثماني الثاني في منتصف القرن ١٩، فتتميز بعناصر تجعلنا نطرح العديد من التساؤلات السياسية والاقتصادية. وفي البداية كانت النقود تسك في عدة دور ضرب بالمناطق الجبلية لم يصدر البعض منها عملات في فترات أخرى، مثل صنعاء وذمار وشهارة ورداع وكوكبان والخضراء[٢٧]. ونحو منتصف القرن ١٨/١٢ صارت صنعاء الدار الوحيدة لضرب السكة، وهكذا أعاد الأئمة الزيديين لصنعاء مركزها بعد قرون من اللامركزية منذ الفترة العباسية. ونادراً ما ضربت عملات من الذهب. وذكر مؤلف **طبقات الحلوى** أنه في ربيع ثاني ١٠٨٩/ يونيو ١٦٧٨ "أمر الإمام صاحب دار الضرب أن يجعل ضربه من الذهب الأحمر في قدر الدرهم ومن ضربة الفضة قدر الروبية الهندية". وبالفعل توجد نقود من الذهب باسم الإمام المهدي أحمد بن الحسن (تزن ٤.٠ و ٢.٠ جرام) أحدهم مؤرخ بسنة ١٠٩١/١٧٨٠. أما النقود الفضة فهي غير معروفة إلى الآن ولكنه ليس من الغريب أن تسك العملة على معيار الروبية الهندية التي قلدت أيضاً فيما بعد في إيران.

وهناك معلومات كثيرة في المصادر التاريخية عن فئات النقود المختلفة المتداولة في اليمن من القرن ١٦/١٠ وإلى جانب قيمتها النسبية وقيمتها أمام النقود الأجنبية المعروفة مثل العملة الذهب التركية (ألتن أو أشرفي) والدولار (ريال أو قرش)[٢٨]. ولكنه من الصعب ربط هذه الفئات مع النقود المتبقية حالياً لأن قيمة النقود المذكورة في المصادر كانت دائمة التغيير بحسب متطلبات الأسواق، بالإضافة إلى أن النقود المتبقية مختلفة الأوزان بقدر كبير. وأكبر النقود الفضة حجماً التي أصدرها الإمام المهدي عباس في سنة ١٧٦٢/١١٧٦ تزن ١٩.٥-١٩.٦ جرام وهي تساوي الدولار، أو بالأحرى نظيره العثماني الذي بلغ نفس الوزن. أما أصغر عملة أصدرها المهدي محمد فتزن ٠.١ جرام وتمثل تقسيم للبقشة[٢٩]. وأكبر مجموعة من النقود تزن بين ١ و ١.٥ جرام، ومن المحتمل أن تكون ''الخمسية'' التي ذكرتها بعض مصادر القرن ١٨م (Brooks and Bruce) أنها كانت العملة المتداولة في اليمن[٣٠]. إلا أن Brooks ذكر أن ١٠ خمسية توازي دولار مما يعني أن وزنها كان ٢.٦-٢.٨ جرام. وبالطبع أن الحل لهذا التضارب يعتمد على اكتشاف مجموعة من نقود من ذلك العصر.

والقائمة التالية هي لنقود الأئمة المعروفة حتى الآن:

- المؤيد محمد (١٠٢٩-١٠٥٤/١٦١٩-١٦٤٤): عملة واحدة من ذمار.

- المتوكل إسماعيل (١٠٥٤-١٠٨٧/١٦٤٤-١٦٧٦): فضة. صنعاء، سنة ١٠٧١ (٠.٥٧ جرام)، سنة *١٠٧ (٠.٣٣ جرام)، سنة ١٠٨٤ (٠.٣٤ جرام).

- المهدي أحمد بن الحسن (١٠٨٧-١٠٩٢/١٦٧٦-١٦٨١): ذهب. صنعاء، سنة ١٠٩١ (٠.٤٥ جرام). بدون تاريخ (٠.٤٦ جرام، ٠.٤٧ جرام، ٠.٢٥ جرام).

- المهدي محمد بن أحمد (١٠٨٧-٩٢/١٦٧٦-١٦٨١): فضة. بدون دار ضرب، سنة ١١٠٧ (٠.٢٥ جرام)، سنة ١١٠٨ و ١١١٠ (٠.٨٤ جرام و٠.٢٣ جرام)، سنة ١١١٤ (٣.٢٦ جرام)، سنة ١١١٥ (٣.٩٢ جرام)، سنة ١١١٨ و ١١٢٢ (٠,٤٩)، سنة ١١٢٣ (٢.٧٨)، سنة ١١٢٦ وبدون تاريخ (٤.٥١، ٢.٣١، ١.٥٤، ٠.٥٧، ٠.١٩، ٠.١٨، ٠.١٤، ٠.١٣، ٠.١٢، ٠.١٢، ٠.١١، ٠.١١، ٠.١١، ٠.٩، ٠.٩).

- المتوكل القاسم بن الحسين (١١٢٨-١١٣٩/١٧١٦-١٧٢٧): فضة. بدون دار ضرب، سنة ١١٣٨، بدون تاريخ (٠.٦٠).

- المنصور الحسين بن القاسم (١١٣٩-١١٦١/١٧٢٧-١٧٤٨): فضة. صنعاء، سنة ١١٤٧، ١١٥٠، ١١٥٦ (١.٠٦ جرام)، سنة ١١٥٨، *١١٥ (١.١٧ جرام)، بدون تاريخ (١.٠٥، ٠.٩٣، ٠.٨٨، ٠.٧٩، ٠.٧٧، ٠.٦٢).

- المهدي عباس بن الحسين (١١٦١-١١٨٩/١٧٤٨-١٧٧٥): فضة. صنعاء، سنة ١١٦٣ (٠.٧٩)، سنة ١١٦٧ (٣.١٥، ٠.٣٥)، سنة

١١٦٨ (١.٥٤)، سنة ١١٧٠ (٠.٩٨)، سنة ١١٧١ (٠.٧٥)، سنة ١١٧٢ (٠.٧١)، سنة ١١٧٤ (١.٤٨)، سنة ١١٧٥ (١.١٨، ١.٠٨، ٠.٥٢، ٠.٦٠، ٠.٣٦، ٠.٢٥، ٠.٢٠)، سنة ١١٧٦ (١٩.٦٧، ١٩.٥٥)، سنة ١١٧٧ (١.١٣) ، سنة ١١٧٩ (٠.٨١)، سنة ١١٨١ (٠.٨٥)، بدون تاريخ (١.٣٤، ١.٣١، ١.٢٧، ١.١٦، ٠.٨٩، ٠.٨٨، ٠.٤٥، ٠.٢٤).

- المتوكل أحمد بن علي (١٢٢٤-١٢٣١/١٨٠٩-١٨١٦): فضة. صنعاء، سنة ١٢٠٠، ١٢٠٢ (٠.٢٢)، سنة ١٢٠٤ (١.١٧، ٠.٩١)، سنة * ١٢٠ (٠.٢١)، سنة ١٢١٢، ١٢١٤، ١٢١٨، ١٢١٩، * ١٢١ (١.١٢)، بدون تاريخ (٠.٢٠).

- المتوكل علي بن أحمد (١٢٢٤-١٢٣١/١٨٠٩-١٨١٦): فضة. صنعاء، سنة ١٢٢٥، ١٢٢٦، بدون تاريخ (٠.٢٠).

- المهدي عبد الله بن المتوكل (١٢٣١-١٢٥١/١٨١٦-١٨٣٥): فضة. صنعاء، سنة ١٢٣٣، ١٢٣٤ (٠.٨٣)، ١٢٤٧.

وقد استمدت هذه المعلومات من:

S. Lane-Poole, *Catalogue of Oriental Coins in the British Museum.* Vols. V (1880) and X (1890); J. Ostrup, *Catalogue des monnaies arabes et turques*, Copenhagen, 1938; E. Zambaur, *Die Münzprägungen des Islams*, Wiesbaden, 1968.

ومن العناصر المميزة لعملات صنعاء من القرن ١٨/١٢ تشابهها مع العملات الفارسية من نفس الفترة في زخرفتها وفي استخدامها للخط النستعليق. ومن الواضح أن النقود الفضية العباسية للشاه الصفوي كانت معروفة في اليمن مثلها مثل النقود العثمانية.

ولا توجد لدينا حتى الآن نقود من دار ضرب صنعاء عندما تحولت اليمن إلى ولاية عثمانية مرة أخرى في النصف الثاني من القرن ١٩م. وهناك عملتان من الفضة باسم الإمام المنصور محمد من ضرب صنعاء بتاريخ ١٣١٨/١٩٠٠[٣١] مما يدل على أن الإمامة كانت قد استرجعت بعضاً من استقلاليتها قبل وصول الإمام يحي بن محمد إلى الحكم في سنة ١٩٠٤. ووصف موظف سياسي بريطاني معاصر كيف تم تهريب آلات سك العملة عبر الجبال فوق ظهور البعير إلى الإمام[٣٢]. فكانت أول نقود للإمام تم سكها آلياً وتكونت من:

فضة: ريال (عمادي)

١/٤ ريال (= ١٠ بقشة)

١/١٠ ريال (= ٤ بقشة)

١/٢٠ ريال (= ٢ بقشة)

نحاس: ١/٤٠ ريال (= ١ بقشة)

١/٨٠ ريال (= ١/٢ بقشة أو هلالة)

وفي سنة ١٩١١/١٣٢٨ اعترف الوالي العثماني عزت باشا بالإمام يحيى الذي أصبح بالتالي مستقلاً بعد انسحاب الأتراك في سنة ١٩١٨/١٣٣٦. فضربت النقود النحاسية في صنعاء من سنة ١٩٠٤/١٣٢٢ والفضة من سنة ١٩٢٢/١٣٤٠. وتوجد ريالات مؤرخة بسنة ١٩٢٦/١٣٤٤ ضربت فوق الدولار الماريا تريزا وتحمل مكان الضرب بصنعاء ''دار الخلافة''. وإلى جانب هذه النقود أصدر الإمام أحمد ريال ونصف ريال وربع ريال يسمى ربع أحمدي الذهب والفضة ١/٨ و ١/١٦ ريال خماسي الحافة يسمى ثمن ونصف الثمن وبقشة وهلالة ألومنيوم. وتعتبر عملات الجمهورية اليمنية بتاريخ ١٩٦٣/١٣٨٢ آخر عملة تحمل اسم دار الضرب صنعاء.

الحواشي:

[1] أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، **كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفرا والبيضا** (*Die beiden Edelmetalle Gold und Silber*) ed. and trans. Christopher Toll, Upsalla, 1968, 136. وأعطى الهمداني معلومات مهمة عن طرق سك النقود من خلال ملاحظاته في داري الضرب بصنعاء وصعدة. انظر:
C. Toll, "Minting technique according to Arabic literary sources," *Orientalia Succana* 19-20 (1970-71), 125-139.

[2] G.C. Miles, "A unique Umayyad dinar of 91 H/AD 709-10", *Revue Numismatique*, Paris 1972, 262-68.

[3] Ramzi Bikhazi, "Coins of al-Yaman, 132-569 A.H.", *Al-Abhath*, Beirut, XXXIII (1970), 3-127.

[4] ابن رستة، **الأعلاق النفسية**، تحقيق M. de Goeje، ليدن ١٨٩٢ (BGA VII).

[5] "Einige metrologische und metallurgische Termini im Arabischen", *Orientalia Sueccana* 18 (1969), 144-47.

[6] C.G. Miles, *Rare Islamic Coins*, American Numismatic Society, New York, 1950, 76, no. 265. **سيرة الهادي** لعلي بن محمد العلوي، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٣٩٢/١٩٧٢، ٥٦، يشير إلى الدرهم الصغير على أنه ثلث الدرهم القفلة في نهاية القرن ٣/٩.

[7] بخعزي، ٦٥.

[8] يحيى بن الحسين، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٦٨، ٢٥٧.

[9] بخعزي، ٦٦-٦٨.

[10] محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني، **أئمة اليمن**، تعز، ١٩٥٢.

[11] بخعزي، رقم ٢٧٧، ٢٨٠.

[12] G.R. Smith, *The Ayyubids and early Rasulids in the Yemen*, Gibb Memorial Series, XXVI, 1973, I, 27, II, 31.

[13] ناقش هذا الموضوع: A.Watson, "Back to Gold and Silver", *The Economic Review*, XX no.1, 1967, 1-34.

[14] G.C. Miles, "The Ayyubid dynasty of the Yemen and their coinage", *Numismatic Chronicle* (1939), 62-97. P. Balog, "Dirhems ayoubites inédits du Yémen', *Bulletin de l'Institut d'Egypte* XXXVI, Cairo, 1955, 347-355.

[15] G.R. Smith, I, 140, II, 140.

[16] Serjeant, *The Portuguese off the south Arabian Coast*, 147.

[17] S.M. Stern, "Some unrecognized dirhems of the Zaydis of the Yemen", *Numismatic Chronicle*, 6th series, IX, 1949, 180-188.

لم تنشر نقود كحلان بعد، وقد اطلعت على نماذج مؤرخة ٦٣٢، ٦٤٥، و ٦٧٠، كلها في مجموعات خاصة.

[١٨] H. Nützel, "Münzen der Rasuliden", *Zeitschrift fur Numismatik*, XVIII, Berlin 1892, 81-156, no. 15. (نحاس) و الدرهم في مجموعة خاصة.

[١٩] الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، (تحقيق Redhouse)، ١، ١٣٢-١٣٤.

[٢٠] يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ٥٣٨. Nützel, 97

[٢١] Serjeant, *The Portuguese*، ١٨١.

[٢٢] هناك نموذج نسب خطأ إلى الإمام المتوكل إسماعيل في:
M. Mitchiner, *Oriental coins and their values. The World of Islam*. London 1977, 229.

[٢٣] في مجموعة خاصة بألمانيا.

[٢٤] N. Pere, *Osmanlilarda Madeni Parala*, Istanbul, 1968, 159.

[٢٥] Serjeant، ١٤٩.

[٢٦] Serjeant، ١٤١.

[٢٧] لقد اطلعت على النماذج التالية (كلها في مجموعات خاصة): المؤيد محمد (١٠٢٩-١٠٥٤/١٦١٩-١٦٤٤): ذمار، التاريخ مفقود. المتوكل إسماعيل (١٠٥٤-١٠٨٧/١٦٤٤-١٦٧٤): ردع ١٠٦٥، شهارة – التاريخ مفقود، كوكبان – التاريخ ٤--. ضرب الإمام المهدي محمد بن أحمد 'صاحب المواهب' (١٠٩٨-١١٣٠/١٦٨٧-١٧١٨) نقود من الفضة في عدة دور الضرب بالمناطق الجبلية في بداية حكمه بلقب الناصر لدين الله (١٠٩٨-١١٠٥): ذمار ١٠٩٩، ردع ١١٠١، الخضراء ١١٠٥. وبلقب الهادي لدين الله (١١٠٥-١١٠٩): الخضراء ١١٠٥، ١١٠٦. وقد نشرت هذه النقود في:
Lane Poole, *Catalogue of Oriental Coins in the British Museum*, V, 130, no. 365, X, 76-8, no. 364 d, e, k, p, r.

[٢٨] ناقش Serjeant هذه العملة بإسهاب، ١٣٨-١٥٤.

[٢٩] Serjeant، ١٥٢-١٥٣.

[٣٠] Serjeant، ١٥٢-١٥٣.

[٣١] أهدي O. Bakewell هذه العملات إلى المتحف البريطاني في سنة ١٩١٩، ووزنهما ٠.٨٢ و ٠.٥٥ جرام.

[٣٢] N. du Quesne-Bird, "A note on the mint of Sana' under Yahya b. Muhammad", *Spink's Numismatic Circular* 78 (1970), 49. وقد وصفت هذه الأحداث في: Lieut. Col. H.F. Jacob, *Kings of Arabia: the rise and set of the Turkish sovranty in the Arabian Peninsula*, 1923.

تقويم السلطان عمر بن يوسف الرسولي*

دانيال مارتن فارسكو

إن التقويم هو توثيق للحساب الموسمي لتغييرات الطبيعة والأنشطة الإنسانية. ويركز عدد كبير من التقاويم على الزراعة بالإضافة إلى ملاحظات عن الشعوب والطبيعة، ومجموعة كبيرة من المعلومات التي تعتمد على تجربة المصنف ومعرفته بعلوم عصره وبالمصادر التي سبقته. والتقويم هو أيضا وصف للعالم والكون مما يستعصي قراءة نصه لأنه نص لا يقوم بذاته. وإلى حد كبير تجاهل علماء العرب والغرب التقويم سواء كنصف أدبي أم علمي[1]. وتوجد المئات من المخطوطات وربما يزيد عددها عن الألف، ولكن لم ينشر منها إلا القليل، كما أنه لا يوجد ببليوغرافيا خاصة بها. ويتناول الاهتمام المحدود للتقويم من قبل العلماء الغربيين وظيفته الطقسية لأن أغلب التقاويم العربية مرتبة على حسب التقويم الشمسي المسيحي وتحتوي على العديد من الإشارات إلى أعياد وقديسين مسيحيين. وعلى سبيل المثال، كان الاهتمام في الغرب ب**تقويم قرطبة** الذي جُمع في الأندلس في القرن ١٠م، وهو من أشهر التقاويم، ناتج عن وجود ترجمة لاتينية مبكرة. وبالرغم من تركيزه على أسبانيا فإن هذا التقويم يعتمد

---

* مترجم عن:

Varisco, Daniel Martin. "The Almanac Tradition in Yemen", in *Medieval Agriculture and Islamic Science: The Almanac of A Yemeni Sultan*. Seattle, 1994, 10-19.

على فلكلور من الجزيرة العربية. كما أن نماذج التقاويم المصرية التي تتبع الشهور القبطية تحتوي على مجموعة كبيرة من المعلومات عن الأعياد القبطية. وقد صنف الطبيب العراقي ابن ماسويه في القرن ٩م واحداً من أوائل التقاويم المعروفة باللغة العربية الذي يشمل معلومات مفصلة عن الأعياد المسيحية. وهو أحد التقاويم النادرة الغير المصرية التي حققت ونشرت.

وهناك مشكلة كبيرة تتعلق بنوعية التقويم العربي إذ أنه لا يوجد مصطلح أو تصميم واحد يميزه[٢]. فالمصطلح الأكثر استخداماً في المصادر هو ''تقويم''، وهو يشير إلى جدول أو قائمة بشكل مجدول. ومعلومات التقاويم عن الزراعة والمواسم تسمى عادة ''توقيعات'' في التقاويم الرسولية. والتقويم العربي كنظام لتقدير المواسم طبقاً لأشهر السنة الشمسية أو القمرية لم يوجد كنوع مستقل كلية. ومن الملاحظ أن التقاويم الموجودة هي نصوص قائمة بذاتها أو تكون ضمن رسائل في علم الفلك أو علم التنجيم أو الزراعة أو الطب أو اللغة أو في موسوعات عامة. ولم تفهرس أغلب التقاويم كما ينبغي. كما أنه لا توجد أبحاث كثيرة تتناول دراسة التقويم كما لا يوجد مقياس لتقدير أهمية أو صحة المعلومات. وكثيراً ما تكون اللغة سطحية ومكتوبة بطريقة سريعة مما يخلق احتمال الخطأ. أما المعلومات نفسها فهي عادة موجزة وأحيانا غير واضحة الفهم للمصنف أو الناسخ. وتوجد في بعض التقاويم صعوبة في التعرف على مصطلحات باللهجة المحلية أو أسماء أماكن. وكثيرا ما

تحتوي النسخ المتأخرة للتقاويم القديمة على أخطاء. أما التقاويم العربية المنشورة وهي قليلة العدد فهي إلى حد كبير تحتاج إلى مراجعة. وأخيراً وليس آخراً، فإن دراسة التقويم تحتاج إلى دراية ومعرفة بعلوم العصور الوسطى.

وكان التقويم كوثيقة مكتوبة موجه إلى العلماء على عكس التقويم الحديث في الغرب، وفي معظم البلدان العربية يعتبر دليل عملي للمزارع. ومن حسن الحظ أن بعض التقاويم تحتوي على تفاصيل كافية لتكوين فكرة عن النظم الزراعية. ولم تكن التقاويم مقصورة على توثيق العرف الشفهي[٣]. وليس لدينا أي معلومات عن كيفية تصنيف التقاويم خلال العصور الوسطى. وكان بعض المصنفون علماء فلك، في حين كان آخرون ناسخون لنصوص قديمة وهذا واضح في الحسابات الفلكية. وهناك تشابه في المعلومات، كما قام المصنفون المختلفون بزيادة أو إنقاص معلومات، وربما ذكر مصنف مصدر معلوماته. والتقويم هو نص مرتبط عن قرب بالفلكلور الشعبي خاصة فيما يتعلق بالزراعة والفلك والموسم في منطقة معينة. ومن الواضح أن بعض المعلومات اعتمدت على الملاحظات للعادات والمعارف الفلكلورية. وبالنسبة لدراسة التقاويم اليمنية فإنه بالإمكان مراقبة وتوثيق الكثير من الأنشطة الزراعية المذكورة. ومن شبه المستحيل أن نفهم بعض مصطلحات التقويم بدون معرفة بلهجات اليمن. وهناك مصطلحات مثل أسماء النباتات المحلية التي لا توجد في أي مصادر منشورة. وتذكر التقاويم

معلومات مثل وصول الهدهد إلى اليمن في الربيع، ويربط بعض المزارعين في اليمن حالياً وصول هذا الطائر مع بداية أمطار الربيع ويعتبروه إشارة لبدأ الحراثة.

تراث التقويم في اليمن:

إن أقدم التقاويم الزراعية باللغة العربية من خارج اليمن، وعامة فإن أكبر مجموعة منها من مصر[٤]. وفي حين تغير نظام الزراعة في مصر، فلا يزال في اليمن إمكانية ملاحظة النشاطات التقليدية الموصوفة بالتقاويم اليمنية على الرغم من بعض التغييرات الاقتصادية الحديثة، بالإضافة إلى احتفاظ الأجيال القديمة بالمعرفة الزراعية التقليدية عن أجدادهم. وهناك العديد من التقاويم والرسائل الزراعية في اليمن ولكن عدد قليل منها حظي بالدراسة. ولا توجد حتى الآن تقاويم تعود إلى ما قبل عصر بني رسول، ولكن هذا لا يعني أنها لم تصنف في العصور المبكرة. ويوجد عدد من الأراجيز عن الأشهر الشمسية أقدمها ينسب إلى البحر النعامي الذي عاش في اليمن في حوالي آخر القرن ١١/٥[٥]. وهذه الأرجوزة تربط بين الأشهر الشمسية السريانية والأشهر الحميرية. وتركز الأرجوزة على الغذاء والصحة ولكن لا توجد أي معلومات عن الزراعة اليمنية. كما كتب نشوان بن سعيد الحميري (ت ١١٧٧/٥٧٣) أرجوزة مشهورة في الشهور الرومية، ولكنها خالية من أي معلومات عن الزراعة في اليمن[٦]. أما الأرجوزة الثالثة فهي لعبد الله بن أسعد اليافعي (ت ١٣٦٧/٧٦٨) وهي أيضا تركز على الصحة[٧].

وأقدم تقويم مكتوب نثراً ضمنه الملك الأشرف عمر في مجموعته الفلكية **كتاب التبصرة في علم النجوم**. ومن المرجح أن هذا التقويم صنف في حوالي سنة ١٢٧١/٦٧٠. ثم يأتي بعده التقويم الرسولي للقاضي أبو العقول محمد بن أحمد الطبري[٨] الذي كان أول مدرس عينه الملك المؤيد داود في مدرسته المؤيدية في تعز حيث منحه ثلاثين دينار معاشاً سنوياً (إسماعيل الأكوع ١٩٨٠: ١٥٥). ومن المحتمل وجود تقويم في الرسالة الزراعية للملك المجاهد علي، ولكن هذه الرسالة غير معروفة إلى الآن. وهناك تقويمان في مخطوط للملك الأفضل عباس، أحدهما بعنوان كتاب **سلوة الهموم في علم النجوم**[٩] وهو تقويم فريد من نوعه طبقاً لدرجات دائرة البروج. أما الثاني فبعنوان **فصول مجموعة في الأنواع والزروع والحصاد**، ويقال أنه مستمد من عدة تقاويم أخرى ويشبه تقويم الملك الأشرف عمر. كما يوجد تقويم في **رسالة عن المكوس** لحسن بن علي (Cahen and Serjeant 1957). وهناك ثلاث تقاويم في دار الكتب بالقاهرة، أحدهم وصف عام لكل شهر لسنة ١٣٢٦/٧٢٧-١٣٢٧ و يشبه نص آخر ربما يرجع إلى القرن ١٥م. وتقويم كامل منظم على حسب الأشهر الإسلامية لسنة ١٤٠٥/٨٠٨-١٤٠٦ (Varisco 1985a). كما يحتوي كتاب **بغية الفلاحين** للملك الأفضل عباس على جزء من تقويم.

وقد نقل مصنفو التقاويم المتأخرة في اليمن عن التقاويم الرسولية، وعادةً أدخلوا أخطاء نتيجة لعدم فهمهم للمصادر الأصلية. ويوجد عدة نسخ لتقويم ينسب إلى ابن جحاف (ازدهر في القرن ١٧ الميلادي)، ولكن النص مطابق لنص تقويم محمد بن عبد اللطيف الثابتي لسنة ١٠٤٧/١٦٣٦-١٦٣٧. وهناك تقويم لمؤلف مجهول يعتمد على نفس المصدر ضمن مخطوط حصل عليه سارجنت R.B. Serjeant في اليمن. وهذا النص يشمل قصائد زراعية لشهاب الدين أحمد الزميلي (Serjeant and al-Amri 1981) وحسن بن جابر العفاري (Varisco 1989b). وأول تقويم طبع في اليمن قبل وبعد ثورة ١٩٦٢ كتبه محمد الحيدرة من تعز. وترجم سارجنت تقويم الحيدرة لسنة ١٣٦٥/١٩٤٦ (Serjeant 1954). كما يوجد تقويم فريد من نوعه لمعالم الزراعة لمحمد صالح السراجي لسنة ١٣٧٩/١٩٥٩-١٩٦٠. ولا تزال التقاويم المحلية تؤلف في اليمن.

وليس الغرض من هذه الدراسة هو عرض كامل للتراث اليمني للتقويم، ولكن تقديم معلومات عن هذه المصادر القيمة حتى نتفهم تراث العصر الرسولي. وهناك ثلاث نقاط رئيسية تتعلق بتاريخ التقويم في اليمن. أولاً، في حين أن معظم المصنفين الرسوليين كانوا علماء على علم بالعلاقة الفلكية والتقويمية المعقدة، فإن المصنفين اليمنيين المتأخرين لم يكن لديهم نفس الخبرة والعلم. فعلى سبيل المثال، كان العلماء الرسوليين على دراية بمفهوم مبادرة الاعتدالين أو تقدمهما،

ولكن المصنفين المتأخرين سجلوا تاريخ مبكر لظـهور نجم علـى الرغـم من مرور عدة قرون من هذا الحدث. كما تمكـن المصنفـون الرسـوليون من التراث العلمي المبكر سواء من الشرق أو من الغـرب، فـي حيـن أن المصادر التي كانت متاحة لهم زمن ازدهار العصر الرسولي لم تكن فـي متناول المؤلفين اليمنيين المتـأخرين. ثانيـاً، كثيراً مـا أخطـأ المؤلفـون المتأخرون في فهم المعلومات المبكرة، فمثلا ذكر الملك الأشـرف عمـر نوع من البر أو القمح يسمى ''قصيبي'' على اسم قرية القصيبية بـالقرب من تعز حيث كان ملوك بني رسـول يملكـون أراضـي، ولكـن اسـم هـذه القريـة لـم يعـد معروفـاً بعـد الفترة الرسـولية. وفـي التقـاويم المتـأخرة أصبحت كلمة ''قصيبي'' تكتب ''قيضي'' بمعنى الحصاد الصيفي على الرغم من عدم وجود دليل على زرع أو بـذر ''قيضـي''. والسـبب فـي هذا الخطأ يرجع إلـى تشـابه كتابـة الكلمتيـن. وكذلـك أخطـئ فـي قـراءة المصطلح المحلي للذرة وهو ''خراجي'' على أنه ''جرجير''. ويمكننا أن نذكر دفاعاً عن المصنف أن صعوبـة قـراءة المخطوطـات الرسـولي هـو نتيجـة لعدم تسـجيل النقـاط علـى الحـروف فـي كثـير مـن الأحيـان، بالإضافة إلى أنه هنـاك مـا يـدل علـى استخدام أكثر مـن مصـدر واحـد. فمثلاً يذكر مخطوط **التوقيعات الزراعية** لمؤلف مجهول، أنـه يوجـد في زبيد جـهيش الـذرة السـابعي، وكذلـك فريـك مـن نفس النـوع فـي نفس المكان، والكلمتان لا تشيران إلـى مكـانين مختلفيـن فـي زبيـد. ثالثـاً، إن التقاويم لا تعطي كل أنواع الأنشطة الزراعية وعلم المواسم فـي الفلكلـور اليمني. وتتركز المخطوطات على تهامة والمناطق الجبلية الجنوبية التي

كانت مراكز الرسوليين. وتكرر التقاويم المتأخرة نفس المعلومات ونادراً ما تعطي تفاصيل لمناطق أخرى باستثناء تقويم السراجي الذي يحتوي على تفاصيل للزراعة شمال من صنعاء حتى صعدة. ومن الواضح أن بعض المصنفين سجلوا معلومات عن أماكن لم يزوروها. ولذا لا بد من دراسة التقاويم بطريقة نقدية حتى نحدد أي من المعلومات يرجع إلى معرفة وتجربة المصنف، و ما نقلها من نصوص قديمة.

المؤلف:

كان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن علي بن رسول بن هارون بن أبي الفتح الغساني التركماني ثالث سلاطين بني رسول في اليمن[١٠]. وقد غطت فترة حكم الملك المظفر يوسف بطول مدتها (حوالي ٤٧ سنة) وبرخائها على حياة وفترة حكم ابنه الملك الأشرف (Varisco 1993c). وذكر الرحالة البندقي الشهير ماركو بولو (309:1958) أن المظفر كان من أغنى رجال العالم ومصدر ثروته كان إلى حدٍ كبير من عوائد ضرائب جمارك ميناء عدن. وبنى المظفر العديد من المساجد و المدارس في اليمن بالإضافة إلى ترميمات في الكعبة[11]. وكان عالماً ومؤلفاً وبالتالي ليس غريباً أن يكون أبنه الأكبر الأشرف عمر مثله. ومن المعروف أن سلاطين بني رسول دعوا العديد من العلماء إلى بلاطهم ووصل مستوى العلم في اليمن في زمانهم اشد ازدهاره.

ولا تذكر المصادر التاريخية تاريخ ميلاد الأشرف عمر، كما أن التفاصيل المتعلقة بحياته قليلة للغاية. ومن المحتمل أنه ولد بعد سنة ٦٤٠/١٢٤٢-١٢٤٣، إذ يبدو أنه وصل إلى سن يسمح له أن يقود حملة عسكرية إلى حجة بالنيابة عن أبيه في سنة ٦٦٠/١٢٦٦-١٢٦٧. وفي جمادى الأول سنة ٦٩٤/١٢٩٥ قلده المظفر أمور السلطنة قبل أن يعتزل في قصره بثعبات. وعندما توفي بعد ذلك بأربعة أشهر، هزم الأشرف عمر أخيه المؤيد داود عند خروجه عليه[١٢]. وكانت فترة حكم الملك الأشرف قصيرة وخالية من أي أحداث تاريخية ذات أهمية. وضربت السكة باسمه حتى قبل وفاة والده. وفي سنة ٦٩٥/١٢٩٥ قام بتفقد الدملوة، ثم ذهب إلى زبيد حيث شارك في احتفالات سبت السبوت. واضطر السلطان أن يعالج مشكلة فساد المسئولين عن النخيل في زبيد. وتذكر المصادر أنه نزل في سنة ٦٩٥ مطر فيه برد فقتل العديد أعداد كثيرة من الأغنام كما حصل ضرر في المحاصيل نتيجة للجراد. ووافقت فترة حكم الأشرف مع فترة حكم الإمام الزيدي المطهر بن يحيي المرتضى، الذي توفي سنة ٦٩٧ عن ٨٣ عاماً. وتوفي الملك الأشرف عمر ليلة الثلاثاء ٢٣ محرم سنة ٢٢/٦٩٦ نوفمبر ١٢٩٦ ودفن في المدرسة الأشرفية التي شيدها بتعز[١٣]. ولم تشر غالبية المصادر التاريخية إلى سبب وفاته ولكن وطيوط (٤٣ أ) ذكر قصة لا نعلم إذا كانت صحيحة أم لا ولكنها تدل على الصراع أبناء المظفر على السلطة:
''يقال أن جارية مرت بعشاء المؤيد وفي يدها إناء فيه نوع من الطبايخ وله رائحة شديدة يطوق إليها كل من شمها فقال الملك الأشرف يا جارية

ما هذا الإناء قالت عشاء سيدي داود فقال دعي الإناء وكان ذلك عند عشاء الملك فوضعته في مجلس الملك الأشرف على السفرة وفيها سم فأكل منها فمات لساعته''. ويبدو أن كان له ستة أبناء (عمر بن يوسف ١٩٤٩: ٩١) : الملك الناصر جلال الدين أحمد، حسن، عيسى، الملك العادل صلاح الدين أبو بكر، أحمد، وأسد الدين داود. كما كان له بنتان على الأقل تزوجتا ابني أخيه داود (ابن عبد المجيد ١٩٨٥: ١٠٢)، ولم يعتل العرش أي من أبناء الأشرف بما أن أخيه هو الذي خلفه.

وأمضى الملك الأشرف أغلب حياته في العلم نظراً لطول فترة حكم والده، وينسب إليه أكثر من عشر مؤلفات ولكن بعضها مفقود:
الأسطرلاب وهي رسالة في كيفية استخدام الأسطرلاب ويشمل رسم لأسطرلاب السلطان الموجود حاليا في نيويورك. وتوجد نسختان من هذه الرسالة واحدة محفوظة في القاهرة (تيمور رياضيات ١٠٥) منسوخة في حوالي ١٢٩١/٦٩٠، والثانية في مجلس الأمة الإيراني بطهران وهي مؤرخة بسنة ١٤٨٣/٨٨٨ (King 1983a).
الدلائل في معرفة الأوقات والمنازل عن تسجيل الساعات والمزولة، ولكن لا توجد منها نسخ معروفة، وقد ذكره كل من ابن الديبع (١٩٧٧: ٢: ٥١) والخزرجي (١٩٨١: ١٧٦).
الإبدال لما علم في الحال في الأدوية والعقاقير وهو كتاب في الطب موجود في مكتبة آل الكاف في تريم (الحبشي ١٩٧٧: ٥٥٦).

الإشارة في العبارة في علم تعبير الرؤية عن تفسير الأحلام ذكره ابن الديبع (٩٧٧: ٢: ٥١) وهو مفقود.

الجامع في الطب كتبه قبل سنة ٦٦٧/١٢٦٨-١٢٦٩ وهو لا يزال شاباً.

جواهر التيجان في الأنساب في ذكر الأنساب (الحبشي ١٩٧٧: ٥٥٦ وسيد ١٩٧٤: ١٣١).

ملح الملاحة في معرفة الفلاحة رسالة مهمة للغاية في الزراعة، ويوجد منها على الأقل نسختان أفضلهما في مجموعة Glaser في فيينا إلا إنها غير كاملة. والنسخة الثانية غير كاملة أيضاً وتوجد في مكتبة خاصة في صنعاء، وحققها محمد عبد الرحيم جازم ونشرها في مجلة الإكليل ولكنها تحتوي على العديد من الأخطاء المطبعية. كما توجد نسخة غير صحيحة حققها عبد الله المجاهد (Varisco 1989c:151)، وأجزاء هامة منه أضيفت إلى الرسالة **بغية الفلاحين** و**ملح الملاحة** هو نفس الرسالة المسماة **التفاحة في معرفة الفلاحة** التي ذكرها ابن الديبع (١٩٧٧: ٢ : ٥١) والخزرجي (١٩٨١: ٢٧٦). وذكر القاضي محمد الأكوع أن لديه نسخة من هذه الرسالة (ابن الديبع ١٩٧٧: ٢ : ٥١ حاشية رقم ١).

المغني في البيطرة في طب الخيول والجمال. يوجد عدد من النسخ (Brockelmann 1937:1:901) منها واحدة في دار الكتب في القاهرة (تيمور طب ٣٧٧) وأخرى في برلين، ميلانو، روما، وصنعاء.

شفاء العليل في الطب رسالة في الطب ذكرها القاضي إسماعيل الأكوع (١٩٨٠: ١٤٢).

التبصرة في علم النجوم، هذا العمل الهام هو مجموعة رسائل في علم الفلك والتنجيم وتسجيل الساعات. والنسخة الوحيدة المعروفة في مخطوط (Uri 905) Huntington 233 في مكتبة بودليان Bodleian بأكسفورد (King 1983).

تحفة الأدب في التواريخ والأنساب في علم الأنساب، ذكره الأكوع والحبشي وسيد.

طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب في علم الأنساب، حققه Zettersteen في سنة ١٩٤٩ ، وأعيد طباعته تصويراً في اليمن في ١٩٨٥.

المعتمد في الأدوية المفردة نسبه عبد الله الحبشي إلى الملك الأشرف في حين أن هذا النص ينسب عادةً إلى والده الملك المظفر، ولكن لا يوجد أي دليل على إنه من مؤلفات الابن. وقد نشر في القاهرة في سنة ١٩٠٩/١٣٢٧ ثم أعيد طباعته في نفس المدينة في ١٩٥١/١٣٧٠، وفي بيروت في ١٩٨٢/١٤٠٢. وهذا النص مشتق إلى حد كبير من نصوص عربية قديمة ويحتوي على معلومات قليلة عن اليمن.

نص التقويم:

إن التقويم الذي قمت بتحقيقه وترجمته هو واحد من خمسين فصل في رسالة الملك الأشرف في علم الفلك **التبصرة في علم النجوم**. ولا يعرف منه حتى الآن غير نسخة واحدة ولكن هناك بعض الادعاءات أن نسخ أخرى موجودة باليمن. والمخطوط الموجود في مكتبة بودليان

Bodleian ليس به خاتمة تحتوي على اسم النسخ وتاريخ النسخ ومكانه، ولكن يبدو أنه نسخ في حوالي ١٤٠٠ ميلادي. كما يبدو من الخط والهيئة العامة للنص أن المخطوط رسولي الأصل. وهو أقدم تقويم رسولي معروف وأكثرهم تفصيلا ولذا يعتبر أهم مصدر لتقاويم تلك الفترة. ويعتبر نص **التبصرة** مقدمة في علم الفلك وعلم التنجيم والأبراج إلى جانب معلومات عن نظم المواقيت، ومواضيع تشمل الأبراج ومسار الشمس والقمر والكواكب والنجوم الثابتة والكسوف والخسوف والأسطرلاب والأنواء ونظم التقاويم وتحديد القبلة والطقس والعلاجات الطبية لكل موسم والتقويم الزراعي ونظم الأرقام. واستقصى المؤلف معلومات من عدة نصوص مبكرة بما فيهم جداول للزيج مفقودة[١٤].

رتب تقويم الملك الأشرف على شكل جدول وعلى كل صفحة معلومات يومية للشهر الشمسي، ويبدأ التقويم بشهر تشرين الأول (أكتوبر) بداية السنة وفقاً للحساب البيزنطي. وكتب اسم الشهر السرياني بالحبر الأحمر وكذلك الأرقام التي تشير إلى أيام كل شهر والإشارات إلى دخول الشمس في كل دائرة من الكوكب. واستخدم الحبر الأسود لكتابة أسماء الأشهر الحميرية المطابقة ومعظم باقي النص. ويوجد في هامش اليسار من كل صفحة حسابات لساعات النهار والليل لبداية ومنتصف الشهر، وسجلت في هامش اليمين أطوال الظل لصلاة الظهر والعصر. وفي بعض الأماكن واصل الناسخ النص خارج إطار الهامش

كما أضاف بعض الإضافات وهناك بعض الأسطر مكتوبة بخط أخر وهو بدون شك متأخر.

ونص التقويم مكون من جمل قصيرة تشبه أحيانا الاختزال، وفي كثير من الأحيان لا توجد نقاط على الحروف. كما أنه تم استبدال بعض الحروف مثل اللام بالنون كما في لهجة تهامة في كلمة ''متلم'' بمعنى زراعة أو حراثة التي تحولت إلى ''متنم'' في التقويم ، وهذا أيضاً في أغلب النصوص الرسولية الأخرى (Serjeant 1974a:71 note 170). وكذلك تحولت كلمة ''علب'' إلى ''إلب'' أيضا مثل لهجة تهامة حيث تستبدل العين بالهمزة. وتوجد بعض المصطلحات التي لا تعرف إلا في العربية اليمنية مثل كلمة ''صراب'' بمعنى حصاد وكلمة ''نصيد'' بنفس المعنى وهذه الكلمة لا تزال تستخدم في حضرموت (Landberg 1901:1:311) ولحج (Maktari 1971:173) وكذلك استعمال ''قشار'' بدلاً من ''عشر''.

ومعلومات التقويم مستمدة من تراث التقويم العام الذي أمتد خارج حدود اليمن ومن الفلكلور والعادات المحلية. وفي أغلب الأحيان لا يذكر التقويم المصادر إلا نادراً، مثل الإشارة إلى تحذير بقراط عن شرب الدواء إلى جانب مصدر ابن قتيبة الهام وهو بدون شك المصدر الرئيسي للمعلومات عن الأنواء. ولا يذكر الملك الأشرف المصادر المصرية التي أطلع عليها على الرغم من أنه ذكر معلومات كثيرة عن

النيل والزراعة في مصر. وتترأس أهميـة التقويم فـي كثرة المعلومـات عن اليمـن فـي العصـر الرسولي وتنوعـها. فتفـاصيل الـدورة الزراعيـة وخاصة في تهامة والمناطق الجبلية السـفلي مهمـة للغايـة وتعتـبر مكملـة للمعلومـات الموجـودة فـي الرسـائل الرسـولية فـي الزراعـة. كمـا توجـد معلومات محلية عن الطقس وخاصة مواسم الأمطار والرياح كمـا تشـمل إشارات إلى خرف الشتاء في ظفار، وتسجيل مواسم الإبحـار فـي مينـاء عدن أيضا ذو أهمية فهو أقدم مصدر يسجل نطاق فـترات الإبحـار حيث أنه اقدم من رسالة ابن ماجد بقرنين. ويشكل تاريخ تصنيف التقويم لغـزاً نتيجة لعدم وجود تقويم قمري. ولكن الملك الأشرف قـام بتسـجيل تـاريخ النيروز وعيد الفصح وبعض التواريخ مع ما يطابقها مـن أيـام الأسـبوع، مما يرجح أن تاريخ كتابة الرسالة هـو سـنة ١٢٧١ الموافـق ٦٧٠-٦٧١ هجري و ٦٤٠ فارسي و ٩٨٧-٩٨٨ قبطي و ١٥٨٢-١٢٨٣ إسكندري.

الحواشي:

[1] أقوم حالياً بإعداد كتاب عن تاريخ التقويم العربي.
[2] بالنسبة للتقاويم الحديثة والمطبوعة فالمصطلح المستخدم هو تقويم أو نتيجة.
[3] ذكر بورديو Bourdieu في دراسة عن المعرفة التقليدية للتقاويم في شمال إفريقيا أن كتابة التقاويم الشفهية يغير من هدفها.
[4] توجد معلومات عن النيل والزراعة في مصر في أغلب التقاويم العربية من العصور الوسطى وبدون شك أن أغلبها مشتق من التقاويم القبطية.
[5] حقق هذا النص القاضي محمد الأكوع (١٩٨٠) معتمداً على المخطوط في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء.
[6] أنظر King 1983a:22 لنسخ من مخطوطات هذه الأرجوزة.
[7] انظر King 1983a:36 لنسخ من مخطوطات هذه الأرجوزة.
[8] ألف أبو العقول أيضا أرجوزة في المصطلحات العربية وهي موجودة في مخطوط (مجاميع ١٩٣ ص ٧٥-١٠٣) بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء. وهذه الأرجوزة مهداة إلى الملك المظفر ومن المحتمل أنها كتبت بعد وفاة السلطان بفترة قصيرة.
[9] نشر هذا المخطوط تحت عنوان:
The Manuscript of al-Malik al-Afdal al-'Abbas b. 'Ali b. Daud b. Yusuf b. 'Umar b. 'Ali b. 'Ali Ibn Rasul: A Medieval Arabic Anthology from the Yemen, eds. Daniel M. Varisco & G. Rex Smith. Warminster: E.J.W. Memorial Trust, 1999.
[10] معظم المعلومات عن حياة المؤلف موجودة في نصوص الخزرجي: ١٩٨١: ٢٧٦، العقد ٢: ١٦٥ – ٦٦ب، با مخرمة في Löfgren 1950:181-83، ووطيوط، ص ٤٣.
[11] انظر القاضي إسماعيل الأكوع ١٩٨٠: ٨٤-٩٢ عن أعمال المظفر يوسف المعمارية.
[12] وصف لقمان (١٩٧٨: ٩١-٩٣) العلاقة بين الأخوين.
[13] انظر القاضي إسماعيل الأكوع ١٩٨٠: ١٤٠-١٤٣ والحبشي ١٩٨٠ : ٧٩.
[14] وصف الزيج في Kennedy 1956 و King 1975 وتوجد عدة مجموعات هامة من الجداول الفلكية التي ترجع إلى الفترة الرسولية خاصة ''المتهن'' للفارسي.

المراجع العربية:

ابن الديبع، عبد الرحمن علي.
قرة العيون في أخبار اليمن الميمون. جزآن. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٧٧.

ابن عبد الباقي، تاج الدين عبد الباقي.
تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تأريخ اليمن. الطبعة الثانية. صنعاء: دار الكلمة، ١٩٨٥.

الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن .
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية. ٥ أجزاء. تحقيق وترجمة J.W. Redhouse. ومحمد عسل. لندن، ١٩٠٦-١٩١٨.

بامخرمة، أبو محمد عبد الله الطيب.
تاريخ ثغر عدن. تحقيق O. Löfgren. أبسالا، ١٩٣٦-١٩٥٠.

وطيوط، الحسين بن إسماعيل البجلي.
كتاب تاريخ المعلم وطيوط. صنعاء: المكتبة الغربية بالجامع الكبير، مخطوط رقم ٢٢٠٨.

الأكوع، القاضي إسماعيل.
المدارس الإسلامية في اليمن. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٠.

الأكوع، القاضي محمد بن علي.
''قصيدة بحر النعامي في الأشهار الحميرية''، **الاكليل** ١-٣ (١٩٨١) ص ٩-١٧.

الحبشي، عبد الله محمد.
مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٧٧.

عمر بن يوسف، الملك الأشرف.
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب. تحقيق K. V. Zettersteen. دمشق، ١٩٤٩.
ملح الملاحة في معرفة الفلاحة. تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، **الاكليل** ١/٣ (١٩٨٥)، ص١٦٥-٢٠٧.
ملح الملاحة في معرفة الفلاحة. تحقيق عبد الله محمد المجاهد. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧.

سيد، أيمن فؤاد.
مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي. القاهرة: المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، ١٩٧٤.

لقمان، حمزة علي.
معارك حاسمة من تأريخ اليمن. صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٧٨.

فارسكو، دانيال
''الحساب الزراعي في أرجوزة حسن العفاري: دراسات في التقويم الزراعي اليمني''، **المأثورات الشعبية** (الدوحة) ٧ (١٩٨٩)، ص ١٧-٢٩.

المراجع الغربية:

Bourdieu, Pierre. *Outline of a Theory of Practice*. Translated by R. Nye. London: Cambridge University Press, 1977.

Brockelmann, C. *Geschichte der arabischen litteratur*. 5 vols. Weimer and Berlin, 1936-50.

King, D. A. "On the Astronomical Tables of the Islamic Middle Ages," *Studia Copernica* 13 (1975): 37-56.

King, D. A. *Mathematical Astronomy in Medieval Yemen: A Bibliographic Survey*. Malibu: Undena, 1983.

King, D. A "The Medieval Yemeni Astrolabe in the Metropolitan Museum of Art in New York City," *Weitschrift für Geschichte der arabisch-islamischen Wissenschaften* 2 (1985):99-122.

Cahen, Claude and R.B. Serjeant. "A Fiscal Survey of Medieval Yemen," *Arabica* 4 (1957):23-33.

Kennedy, E.S. "A Survey of Islamic Astronomical Tables," *Transactions of the American Philosophical Society* 46 (1956):123-77.

Maktari, A. *Water Rights and Irrigation Practices in Lahij*. Cambridge: Cambridge University Press, 1971.

Landberg, C. *Etudes sur les dialectes de l'Arabie Méridionale*. 2 vols. Leiden: Brill, 1901-13.

Marco Polo. *The Travels of Marco Polo*. Translated by R. Latham. Middlessex: Penguin, 1956.

Serjeant, R.B. "Star Calendars And An Almanac from South-West Arabia," *Anthropos* 49 (1954): 433-59.

Serjeant, R.B. "The Cultivation of Cerials in Medieval Yemen," *Arabian Studies* 1 (1974): 25-75.

Serjeant, R.B. and Husayn al-'Amri. "A Yemeni Agricultural Poem," in W. al-Qadi (ed.) *Studia Arabica et Islamica*, pp. 407-27. Beirut: American University of Beirut, 1981.

Varisco, D.M. "The Production of Sorghum (dhurah) in Highland Yemen," *Arabian Studies* 7 (1985): 53-88.
Varisco, D.M. "Medieval Agricultural Texts from Rasulid Yemen," *Manuscripts of the Middle East* (Leiden) 4 (1989): 150-54.
Varisco, D.M. "A Rasulid Agricultural Almanac from 808/1405-6", *New Arabian Studies* 1 (1993): 108-23.



الأسطرلاب اليمني الموجود في متحف المتروبوليتان للفن بمدينة نيويورك*

دافيد ا. كينج

الغرض من الدراسة:

يوجد في متحف المتروبوليتان للفن بنيويورك أسطرلاب[1] صنعه أمير من أسرة بني رسول في أواخر القرن ١٣م . والصانع هو الأشرف عمر بن السلطان المظفر يوسف، أما الأسطرلاب فمؤرخ بسنة ١٢٩١/٦٩٠، أي انه صنع قبل اعتلاءه العرش بقليل[2]. وقد سجل هذا الأسطرلاب في قائمة P.T. Gunther[3] ولكنه لم يحظ بدراسة مفصلة حتى الآن، لدرجة أن تشكك أحد الباحثين مؤخراً أن يكون أسطرلاب مزيف من القرن ١٩م[4] مما أدى إلى عدم ضمه في كتاب Islamic Art in the Metropolitan Museum of Art[5]. وتشير الأبحاث التي أجريت في السنوات الأخيرة أن علم الفلك الرياضي (Mathematical astronomy) حظي باهتمام كبير في اليمن من القرن ١٠م إلى القرن ١٩م، والدليل على ذلك هو وجود أكثر من مائة مخطوط يمني في علم الفلك محفوظة في مكتبات مختلفة من أنحاء العالم[6]. وكان عدد من سلاطين بني رسول من الفلكيين، ولكن كان الأشرف عمر الوحيد منهم الذي ألف رسائل

---

*مترجم عن:

King, D.A. "The Medieval Yemeni Astrolabe in the Metropolitan Museum of Art in New York City," *Weitschrift für Geschichte der Arabisch-Islamischen Wissenschaften* 2. Frankfurt-Am-Main, 1985, 99-122.

هامة في هذا المجال[٧]، منها رسالة في الآلات في مخطوط بدار الكتب بالقاهرة ربما كتب بخط السلطان نفسه وتتناول تركيب الأسطرلاب والمزولة الأفقية، وتحتوي في نهايتها على فقرة عن استخدام البوصلة المغنطيسية وهي ذات أهمية خاصة[٨].

تعتبر رسالة الأشرف عن الأسطرلاب فريدة من نوعها لأنها تشمل قوائم لتركيب ألواح الأسطرلاب لخطوط عرض معينة في اليمن والحجاز. وقد جمعت قوائم مماثلة منذ القرن ٩م، في حين انتشر استخدامها في مصر وسوريا واليمن حتى القرن ١٩م[٩]. وخطوط العرض التي قدم لها الأشرف في رسالته جداول لتركيب صفائح الأسطرلاب هي نفس خطوط العرض التي ركبت عليها صفائح أسطرلابه، وبالتالي تزودنا بنموذج فريد لأسطرلاب صنع بواسطة قوائم. وكان يُعتقد قبل اكتشاف قوائم الأسطرلاب أن الفلكيين المسلمين استخدموا أشكال هندسية فقط لرسم الأقواس على ألواح الأسطرلاب[١٠].
وهناك حاشيتان في ذيل رسالة الأشرف لأثنين من معلميه تصفا مجموعة من الأسطرلابات صنعها الأشرف من ضمنها الأسطرلاب الموجود بمتحف نيويورك، ولكن الآلات الأخرى مفقودة حالياً. ومن النادر أن نجد في المؤلفات العلمية من العصور الوسطى إشارات إلى آلات محددة أو إلى آلات متبقية حتى الآن. والغرض من هذه الدراسة هو تقديم فحص مفصل لأسطرلاب السلطان الأشرف، بالإضافة إلى

تقديم كتاباته عن الأسطرلاب وملاحظات معلميه وكيفية تركيب الأسطرلاب.

أسطرلاب الأشرف:

يبلغ قياس قطر الأسطرلاب ٥,١٥سم أما مقياس ال rete والألواح الأربعة فهو ٥,١٢ سم وسمكه ٥,٠ سم. وكتب اسم الصانع والتاريخ على إطار الربعية اليسرى السفلية في خلف الأسطرلاب ''هذا الإسطرلاب عمل عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول المظفري مباشرة وإملاء سنة ٦٩٠''. وقد أخطأ كل من N. Martinovitch و A. Mayer في قراءة التاريخ على أنه ٦٩٥ بدلاً من ٦٩٠ لأن الرقمين ٦ و ٩ كتبا بالرموز العددية العربية (المستمدة من الأعداد الهندية)، بينما كتب الصفر بأحد الرموز المستخدمة في الأبجدية (على غرار العادة الإغريقية)[١١]. ويوجد على إطار وجه الأسطرلاب مقياس مدرج قسمت الربعيات الأربعة به بفواصل لخمس درجات مقسمة مرة أخرى لكل درجة. ومقدار قوس الأربع مقاييس المدرجة محدد لكل خمس درجات بالأبجدية، أما مقدار كل عشر درجات فهو محدد بالأعداد الهندية. ويوجد ثقب في الجزء العلوي ربما كان ناتج عن صدع في المعدن.

وتحمل ال rete التمثيل المعتاد لدائرة البروج ومواضع الأبراج الرئيسية. ويوجد مؤشر صغير بالقرب من أسفل الحافة اليمنى لتدوير

ال rete، ومحاكاة الحركة اليومية الظاهرة للسماوات. ويوجد مدرج داخل مقياس به أسماء البروج على الدائرة الظاهرة لسير الشمس مقياس مدرج مقسم إلى ٢٨ جزء يوازي منازل القمر الثماني والعشرين أو محطات القمر[١٢]. وسجلت أسمائها العربية على الحافة الخارجية للجزء الأسفل لل rete. ويعتبر هذا عنصر فريد على أي أسطرلاب إسلامي، ولكن في اليمن ازدهر علم الفلك التقليدي الذي تكون فيه منازل القمر عنصراً هاماً إلى جانب علم الفلك الرياضي. وكل مؤشرات النجوم ما عدا أربعة هي لنجوم الأسطرلاب المعتادة والأسماء العربية للنجوم أو مجموعات النجوم المعدودة باتجاه معاكس لحركة عقارب الساعة، والأرقام داخل الأقواس هي أرقام نجوم الأسطرلاب التي سجلها الفلكي الصوفي (القرن ١٠م) كما حررها Hartner[١٣] W.:

١- الواقع	Lyrae (4)
٢- الطائر	Aquilae (11)
٣- الردف	Cygni (6)
٤- الفرس	Pegasi (17)
٥- الذنب الجدي	Capricorni (-)
٦- المقدم	Pegasi (15, 16)
٧- مؤخر	Adromede, Pegasi (13, 14)
٨- خضيب	Cassiopeiae (-)
٩- الغول	Persei (7)
١٠- الهادي	Tauri (22)

١١- الرجل الجوزاء	Orionis (33)
١٢- يد الجوزاء	Orionis (32)
١٣- الشعرا	Canis Maioris (34)
١٤- الشاميه	Canis Minoris (35)
١٥- قلب الأسد	Leonis (24)
١٦- البنات*	Ursae Maioris (-)
١٧- العزل	Virginis (27)
١٨- الرامح	Boötis (1)
١٩- الفكة	Coronae Borealis (2)
٢٠- الحية	Draconis (-)
٢١- قلب العقرب	Scorpionis (28)
٢٢- الحواء	Ophiuchi (9)

(* معلمة بأربع نقاط على يمين منتصف القطر العلوي للrete)

وثلاثة من الألواح الأربعة للأسطرلاب أصلية وهي سدسية أو قسمة السدس مما يعني أنها محددة بالمقنطر (almucantar) لكل ستة درجات من الارتفاع السماوي. ونقشت خطوط العرض أسفل وسط كل لوح مع أكبر عدد من ساعات النهار، ولا توجد مواقع مرتبطة بخطوط العرض المبينة ولكن من السهل تحديدها حتى بدون رسالة الأشرف. وخطوط العرض هي:

عدن ١٣° ٥'

تعز ١٣° ٣٧'

صنعاء ١٤° ٣٠'

شمال اليمن ١٥°

مكة ٢١°

المدينة ٢٤°

والحد الأعلى لساعات ودقائق النهار المتطابقة هي:

١٢ ساعة و ٤٦ دقيقة

١٢ ساعة و ٤٨ دقيقة

١٢ ساعة و ٥٢ دقيقة

١٢ ساعة و ٥٤ دقيقة

١٣ ساعة و ١٨ دقيقة

١٣ ساعة و ٣١ دقيقة

وحسبت من خطوط العرض المذكورة آنفاً بالإضافة إلى ٢٣° ٣٥' لميل دائرة البروج وهي قيمة نمطية للعصر الإسلامي الوسيط[14]. ويحمل كل لوح من ألواح الأشرف علامات تشير إلى صلاة العصر في اليمين من النصف العلوي للربعية ومغيب الشفق والفجر على اليمين واليسار من النصف الأسفل للربعية. وهذه العلامات عبارة عن خطوط مرسومة بين الدوائر التي تمثل انقلاب الشمس الصيفي والشتائي. وقد حددت مواعيد الصلاة الخمس في الإسلام طبقاً لعلم الفلك[15]، فيبدأ اليوم

عند غروب الشمس لأن التقويم قمري والأشهر تبدأ عند رؤية الهلال. وتقام الصلوات خلال فترة فاصلة ومحددة من الزمن، فتبدأ الصلاة الأولى وهي صلاة المغرب عند غروب الشمس، والثانية وهي العشاء عند هبوط الليل، أما الثالثة في الفجر، والرابعة الظهر في منتصف النهار، والخامسة العصر في وسط الأصيل في وقت محدد بامتداد الظل.

وبما أن تركيب الأسطرلاب يبرز الوضع النسبي للأجرام السماوية القريبة من الأفق عند الظهر والغروب فإنه يكفي أن تحدد أوقات العصر والعشاء والفجر على الأسطرلاب حتى يتمكن استخدامه لقياس الوقت لكل ميعاد من المواعيد الخمس للصلاة. وأقواس صلاة العصر والفجر والعشاء مطعمة بالفضة، وكل لوحة تحمل علامات أسفل الأفق للساعات الزمنية وهي أثنى عشر تقسيمة لطول النهار أو الليل متراوحة بحسب خطوط العرض للأرض والفصول. أما اللوح الرابع الغير الأصلي فيحمل علامات سدسية للمقنطر (al-mucantar) وعلامات لساعات الفصول. وخطوط العرض التحتية هي الإقليم السادس والسابع حيث يكون النهار أكثر طولا ب ١٥,٥ و١٦ ساعة، وخطوط العرض معينة ب ٤١ درجة و٤٨ درجة. ومن الواضح أن اللوح كان في أيدي فلكي بيزنطي لأن ساعات الفصول محددة بترقيم أبجدي يوناني الأحرف بالإضافة إلى العلامات الأصلية باللغة العربية.

أما ظهر الأسطرلاب فإن المقياس المدرج (scale) للارتفاع من درجة الصفر إلى ٩٠ درجة محدد بفاصل خمسة درجات وبفاصل درجة حول الحافة للربعتين العلويتين. وعلى حافة الربعيـة السفلى من اليمين يوجد المقياس المدرج للظلال محدد بكلمة ''الأقدام''. ويوضح المقياس المدرج الظـلال الأفقيـة التـي يلقيـها شـئ أفقي طولـه ٧ أقدام (أي طـول إنسان) عندما يكون قياس الارتفـاع الشمسـي عند الربعيـة العلويـة من اليمين[١٦]. في حين أن العلامات الأخـرى المنقوشـة علـى الظـهر منظمـة بحسب علامات الأبراج ابتداءً بـبرج الحمل باتجاه عقارب الساعة من الأعلى. وكتبت أسماء الأبـراج بالعربيـة (كتبـت كلمـة السمكة بدلاً مـن الحوت لبرج الحوت). أما المعلومـات الأخـرى فـهي مكتوبـة فـي وسط الأسطرلاب وفقاً لرموز الكواكب، وقد اتخذ المسلمون هذه الرمـوز مـن المصادر الإغريقية[١٧].

ويوجـد ثـلاث مقـاييس مدرجـة للرمـوز، الخارجيـة منـها تظـهر حدود الرموز البروجيـة بخمـس منـاطق ذات أحجـام غير متسـاوية لكل برج وأطوال محددة بأرقام أسفل رمز البرج المرتبط بحدّه. أما المقياس المدرج الأوسط فيظهر ''أرباب الوجـوه'' والوجـوه ثلث الفواصـل لكل برج[١٨]. ويظهر المقياس الداخلـي الكواكـب المرتبطـة بالمثلثـات[١٩] وكل واحدة منها تضم ثلاث أبـراج منفصلـة عـن التـي تليـها بثـلاث أخريـات، وكل واحـدة مرتبطـة بـأحد العنـاصر الأربعـة: الـهواء والمـاء والنـار والتراب. ويوجـد لكـل مثلـث رب النـهار ورب الليل ورفيق. وتظـهر

الكواكب الثلاث لكل رمز برجي على المقياس المدرج، وقد ورث المسلمون كل هذه المفاهيم عن علم الفلك الهليني.

وكان بالإمكان اختصار المعلومات الموجودة على ظهر الأسطرلاب لإتاحة مكان لعلامات فلكية أخرى ذات أهمية مثل الربعية المثلثاتية لأن المعلومات الفلكية التي نقشت على أسطرلاب الأشرف لا تعتبر ذات أهمية كافية لوضعها على الأسطرلاب[٢٠]. أما العضادة فهي غير أصلية وتحمل قناة للرؤية مخروطية الشكل بالإمكان فكها من قبضة اللوحين. والعضادة ذات قناة للرؤية تعتبر فريدة في الأسطرلاب الإسلامي إلا أن الأشرف ذكر هذه القنوات في رسالته. وبالإضافة إلى الثقبين يوجد ثقب إضافي في الألواح لرؤية الأشكال السماوية بدون القناة، وقسم جزء العضادة بين قاعدتي اللوحين إلى ست تقسيمات غير متساوية وعليها علامات بالأبجدية لكل زوجين من رموز الأبراج هكذا:

١٢/١ ١١/٢ ١٠/٣ ٩/٤ ٨/٥ ٧/٦

ولا يوجد أي غرض من هذا المقياس على ظهر الأسطرلاب بدون علامات فلكية مهمة. كما كتبت الأرقام بيد أخرى غير يد الأشرف، ومن الواضح أن المسمار المزخرف يتبع العضادة إلا أن الفرس غير أصلي ولا ينتمي سواء إلى العضادة أو الأسطرلاب.

رسالة الأشرف في تركيب الأسطرلاب:

هناك مخطوطتان من رسالة الأشرف، أحدهما كتبت في اليمن سنة ١٢٩٣ وهي محفوظة حاليا في دار الكتب المصرية بالقاهرة، والثانية والتي لم أطلع عليها، فهي مؤرخة بسنة ١٤٨٣ أو ١٤٨٤ ومحفوظة بطهران[٢١]. وفي مخطوطة القاهرة كتب العنوان **معين الطلاب في العمل بالأسطرلاب**، في حين أن عنوان مخطوط طهران هو **منهج الطلاب في العمل بالأسطرلاب**. ولكن لا يقتصر موضوع الرسالة على عمل الأسطرلاب فقط، وإنما ينتمي إلى الكتب العلمية الأقل شيوعاً والتي تتعلق بتركيب هذه الآلة. وأشار الأشرف في الجزء الأول من رسالته إلى رسالة أبو علي المراكشي الذي عاش في القاهرة في أواخر القرن ١٣م عن علم الفلك الكروي[٢٢]، كما أنه اطلع على بعض الكتابات الفلكية الأخرى التي لم يذكرها اسماً، كما أنه زود الرسالة بالرسوم التخطيطية وجداول للتناسق. وهذه الجداول مشابهة لتلك التي وضعها الفلكي البغدادي الفرغاني الذي استلهم هو الآخر من جدول للخوارزمي[٢٣].

وقدم الأشرف في رسالته قائمتين مختلفتين للكوكب وكلاهما يعطي ''الدرجة التي تتوسط السماء مع الكوكب وهي درجة الممر'' وكذلك ''نصف قطر مدار الكواكب''. والقائمة الأولى هي ل٢٣ كوكب لفترة شهر ذو القعدة من سنة ٦٨٥ (ديسمبر ١٢٨٦)، والثانية ل١٧ كوكب وفقاً لشرف الدين الحاسب أي أبو علي المراكشي[٢٤] بعد أن صحح

مواقع علم الدين تعاسيف، وهو العالم المصري علم الدين قيصر بن أبي القاسم المعروف بتعاسيف (عاش في القرن ١٣م)[٢٥]. وأضاف الأشرف بعض الملاحظات عن موقع كوكب العقرب في ٦٩٩ هجرية (١٢٩٩/١٣٠٠م) طبقاً للمراكشي ومؤيد الدين العرضي[٢٦] أحد طلبة تعاسيف. ويلزم هذه المعلومة تحقيق ولكن يكفينا هنا أن نلاحظ أن قائمتي الكواكب في المخطوط لا تطابقا الكوكب المبينة على أسطرلاب الأشرف، كما أنه يوجد رسم تخطيطي لنفس المعلومات الموجودة على ظهر الأسطرلاب.

وتناول الأشرف في الجزء الرئيسي الثاني من رسالته تركيب المزولة، وقدم جداول لتطابق الساعات الفصلية مع ظل البرجية بالحساب مع خطوط العرض. وجداول المزولة هي من نفس نوع جدوال الخوارزمي والمراكشي[٢٧]. وتنتهي الرسالة ببحث قصير عن الساعات المائية (طرجهار) وعن طاسات تحديد القبلة[٢٨]. والإشارة الأخيرة ذات أهمية تاريخية لأنها أول إشارة إلى البوصلة في مصادر علم الفلك الإسلامي[٢٩]. وهناك رسالة أخرى للأشرف بعنوان **كتاب التبصرة في علم النجوم** التي يوجد منها مخطوط في أكسفورد[٣٠] وهي تتعلق أيضاً بعلم الفلك وتحديد الساعات.

إجازتي أستاذي الأشرف:

هناك إجازتان تتبعان نص الأشرف في مخطوط القاهرة قام بنشرهما الباحث السوري ظاهر الجزائري في دمشق في سنة ١٩٥٢[٣١]، ولكنه لم يكن على علم بأسطرلاب نيويورك. ولا توضح الإجازتان أعداد الأسطرلابات الذي صنعها الأشرف. فيبدو أنه صنع أثنين في سنة ٦٩٠ أحدهما لا بد وأنه الأسطرلاب الوجود في نيويورك، بالإضافة إلى اثنين آخرين في سنة ٦٨٩ أحدهما ثلثي والأخر سدسي. ولكن ربما تعني ملاحظات الإجازة الأولى عن تغييره للأسطرلاب السدسي واحدة من الآلات التي صنعها في سنة ٦٨٩ أو ٦٩٠. كما أن أستاذه الأول تفحص في سنة ٦٩٢ تقوسات زاوية السمت على أسطرلاب ثلثي يبدو أنه صنع في سنة ٦٩٢. ولكن الإجازة الثانية تذكر أنه صنع أسطرلابين سدسيين في سنة ٦٩١. ولذا يبدو أن هناك ستة من الأسطرلاب. وكتب الإجازة الأولى إبراهيم بن ممدود الجلاد الموصلي الحاسب الملكي المظفري الأشرفي، ولم أتوصل إلى معرفة هذا الشخص الذي يبدو أنه موصلي الأصل. وكتب الإجازة الثانية حسن بن علي الفهري المظفري بخط نسخي أنيق. وهو الآخر اسمه غير مألوف لي، ولكن يدل أسمه على أن أصوله من المنطقة وأنه عمل للسلطان المظفر.

الإجازة الأولى:

"بسم الله الرحمن الرحيم ... فأقول وأنا أقل عباد الله وأصغرهم إبراهيم بن ممدود الحاسب الملكي المظفري الأشرفي: أني لما شاهدت

الاصطرلابين قسمة السدس من عمل مولانا الملك الأشرف عمر ... من سنة ٦٨٩ وصحة جميع ما عمله بهما من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وأنصاف الأقطار والكواكب والحجرة والصفائح، سبكاً وضرباً، قسمة ووضعاً، وصحة قسمة دائرة البروج وصحة العضايد، وعيار المجموع فيهما، ولم أجد فيهما مأخذاً إلا أن كان اليسير من جهة الصانع الخراط ومولانا خلد الله ملكه عارف به وبإصلاحه، فشهدت له بالفضيلة وبتجويده في صناعة الإسطرلاب ووضعت له خطي هذا شاهداً على صحة ذلك، وأجزت له أن يعمل ما شاء من ذلك أي من الأصطرلابات، بما استقريته من إتقانه ومعرفته وذكائه وخبرته، واختياري له في ذلك وامتحاني إياه، وكذلك في اصطرلابين عملهما في سنة ٦٨٩ أحدهما أصغر من الآخر قسمة السدس والأكبر فيهما قسمة الثلث، أجزته وشهدت له بالصحة في الأربع اصطرلابات المذكورة. وكذلك أجزته في عمله لساعات مستوية يستخرجها بترجهار يعمله علماً وعملاً، وأن يعمل منها ما شاء لوثوقي بعلمه وعمله، فيما استقريته من أعماله، في جميع ما ذكرته عنه نفعه الله بما استفاده ونفعنا بما أفدناه. وكتب أقل العبيد إبراهيم بن ممدود الجلاد الموصلي الحاسب في شهور ٦٩٠ هجرية ... ثم أقول وأنا أقل عباد الله إبراهيم الحاسب الملكي المظفري الأشرفي أن مولانا الملك الأشرف بن مولانا السلطان الأعظم الملك المظفر خلد الله ملكهما، جدد اصطرلابا قسمة السدس سنة ٦٩١ هجرية صحيحة وتحرير بالغ أعظم مما قبله، مما استدللت به على زيادة فضائله ... وأقول أيضا أن مولانا الملك خلد الله ملكه أوقفني على

سموت باصطرلاب قسمة الثلث سنة ٦٩٢ والسموت لعشرات، فاستقريت الكثير منها أعني من السموت التي عملها بالآلات الصحيحة وبالحساب، فوجدتها في غاية الصحة والتناسب، مما استدللت بصحة يده وجودة ذهنه وتمكنه في العمل، فحكمت بصحة ما يعمله من السموت وأجزت له أن يعمل بعد ذلك ما شاء من الاصطرلابات المسمتة، وكذلك مما يعمله من الساعات الزمانية والمستوية، وخطي الفجر والشفق بأي اصطرلاب شاء، وذلك من جمادى الآخرة سنة ٦٩٢ والحمد لله وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه كتب ذلك أقل العبيد المظفري الأشرفي إبراهيم الحاسب في التاريخ المذكور.

الإجازة الثانية:

"بسم الله الرحمن الرحيم ... وكذلك يقول العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن علي الفهري المظفري أني شاهدت الاصطرلابات التي أتقن إحكامها ووضعها مولانا ومالكنا السيد الأجل العالم الأنبل الملك الأشرف ممهد الدنيا والدين عمر ...، فمنها اثنان قسمة السدس عملا في سنة تسعين وستمائة، واثنان أحدهما قسمة السدس والآخر أكبر منه قسمة الثلث عملا في سنة تسع وثمانين وستمائة، واصطرلابان قسمة السدس أيضاً عملا في سنة إحدى وتسعين وستمائة. وشاهدت جميع ما عمل بها من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وأنصاف الأقطار والقطرين المتقاطعين على ظهورها، وامتحنت حروف العضائد وقيام الشظايا على العضائد، ومقابلة ثقوب الشظايا بعضها لبعض على موازاة حروف

العضـائد المستعملة، واعتبرت كل واحد مـن ربعـي الارتفـاع فيـها وإدراجها من الواحـد إلـى التسعين، ومربعـات الظـل وأصابعـها الاثنـي عشر وأقدام الظل، واعتبرت أرباع الحجرة فـي جميعـها وأدراجـها الثلاث مائة وستين، وخط وسط السماء مع وتد الأرض، وخط المشرق والمغرب، وانتهاء أطـراف كل واحد مـن هذيـن القطريـن إلـى محـاذاة أرباع الحجرة ودوائر المقنطرات ودائرتي مداري المنقلبين ودائرة مـدار أول الحمل وأول الميزان وخـط العصـر وخـط الفجـر ومغيـب الشـفق والساعات الزمانية، وفي الاصطرلاب السداسـي الصـغير المعمـول فـي سنة تسع وثمانين وستمائة خطوط للساعات المستوية متقاطعة مع خطوط الزمانية، ثم بعد قريبة شاهدت الاصطـرلاب قسمة الثلث المعمول فـي سنة تسع وثمانين وستمائة، وقد قسمت صفائحـه الثلـث لست عـروض وهي: عـرض يـج ، وعـرض يـج ه، وعـرض يـد ه، وعـرض يـد ل، وعـرض ...، وعـرض كـا ه، فوجدت سموتها متقنـة العمل صحيحـة محققة قسمتها بعشر قسي عشر قسي من قسي السموت، ووجدت جميـع الاصطرلابات المذكورة بقسمتها وتاريخـها كاملـة الجـودة والتحقيـق والصحـة، وأجـزت لـه صناعـة الاصطـرلاب ووضعـها سبكاً وضربـاً ورسماً لمـا استقريته مـن إتقانـه ومعرفتـه وذكائـه وفطنتـه واختبـاري لأعماله التي أحكمها وامتحاني إياها، ثم أجزت له أن يعمل ما شـاء من الساعات المستوية يستخرجها بطرجهار بحكمه علماً وتحقيقاً، وشـاهدت طرجهارين من إحكامه وعمله أحدهما فضـة والثاني نحـاس، فوجدهمـا في غاية التحقيق فليعمل ما شـاء منـها فقد وثقت بمـا استقريته منـه فـي

جميع ما ذكرته في خطي هذا، ووثقت بثقوب معرفته وفطنته نفعه الله بالعلم آمين، وذلك بتاريخ اليوم الثاني من رجب الأصم سنة اثنتين وتسعين وستمائة''.

ملاحظات ختامية:

أن ملاحظة الجلاد أنه لم يجد في الآلتين التي صنعهما الأشرف عمر في سنة ٦٩٠: ''مأخذاً إلا أن كان اليسير من جهة الصانع الخراط ومولانا... عارف به وإصلاحه'' يدل على أن الأشرف لم يصنع بنفسه أجزاء الأسطرلاب ولكن العبارة ''مباشرةً وإملاءً'' على أسطرلاب نيويورك تعني أنه صنع الآلة. ولكنني اعتقد أن الأشرف حفر العلامات المختلفة بنفسه على الألواح طبقاً للجداول في حين أن مساعداً له قام بنقشها. ويمكننا أن نقول أن صناعة أسطرلاب الأشرف ليست ممتازة ولكن الآلة نموذج جيد قام بصنعها فلكي كفأ. وبالإضافة إلى رسالة الأشرف وإجازتي معلميه يكون هذا الأسطرلاب نموذج فريد في تاريخ صناعة الأدوات الفلكية الإسلامية.

الحواشي:

[١] أنظر North لمقدمة عامة عن الأسطرلاب، و Hartner 1 & 2 حول الأسطرلاب الإسلامي بشكل خاص. وأفضل وصف لأسطرلاب موجود في Morley. كما أن دراسة Gibbs & Saliba ذات أهمية. عن تاريخ الأسطرلاب، أنظر Neugebauer 1 & 2, II, 868-879، وعن المصادر الإسلامية، أنظر King 4 . ويضم Awwad قائمة بالمصادر الإسلامية عن الأسطرلاب ولكنها تحتاج أن تكمل بما جاء في دراسات Suter, Brockelmann, Sezgin, Cairo Survey . ورسالة الصوفي عن الأسطرلاب هي الوحيدة المنشورة حتى الآن، أنظر Kennedy et al, 405-447 . ويحمل الأسطرلاب اذي تتناوله هذه الدراسة رقم (٩١. ١ . ٥٣٥) في مجموعة المتحف. وقد ذكر في قائمة Dimand, 107, no. 8، و Mayer, 83-84. أنظر أيضا Astrolabe Checkist, no. 3549، و Islamische Kunst, 146-147، و Brieux & Maddison .

[٢] عن الأشرف وأعماله، أنظر الخزرجي، Text, I, 284-298, trans., I, 236-246. و Suter, no. 394، و Brockelmann, I, 650 ، و Azzawi, 233-234، و Sayyid, 131-132 ، والحبشي، ٥٥٥-٥٥٧، و Ulmann, 342، و King 2, 27-29 .

[٣] Gunther , I, 243 .

[٤] عن الأسطرلابات المزيفة، أنظر Gingerich & King & Saliba و Brieux.

[٥] Ettinghausen et al.

[٦] King 2.

[٧] توجد الرسالة في مخطوط القاهرة TR (تيمور رياضة) ١٠٥، ١٤٩ لوحة، منسوخة في سنة ٦٩٢/١٢٩٣، أنظر Cairo Catalogue, I, sub TR 105, & II, 4.1.2، و Survey, no. E8.. لم أطلع على النسخة الأخرى لهذه الرسالة وهي محفوظة في طهران، أنظر Azzawi, 234. وأنظر King 2, 28-29.

[٨] أنظر حاشية رقم ٢٧.

[٩] أنظر حاشية رقم ٢٤.

[١٠] للتفاصيل، أنظر Michel 1 72, 47-86.

[١١] أنظر Irani، و Destombes.

[١٢] عن منازل القمر، أنظر المقال ''منازل'' ل P. Kunitzsch في EI2.

[١٣] أنظر Hartner, 2542، و Kunitzsch 1 & 2 للأسماء العربية للكواكب.

[١٤] أنظر مقالي ''ميل'' في EI2.

[١٥] أنظر مقال ''ميقاط'' ل: C.E. Bosworth & D.A. King في EI2 عن مواعيد الصلاة و King 1, 47-48.

[١٦] Hartner 1, 2545-2547.

[١٧] البيروني، ١٩٩ و Wiedmann & Ullmann, 345-346.

[١٨] Hartner 1, 2548-2449 (f)، والبيروني، ٢٦٢-٢٦٣.

[19] Hartner 1, 2549 (g)، البيروني، ٢٣٠ و ٢٥٩، Tetrabiblos, I.18 .

[20] Hartner 1, 2458, fig. 851.

[21] أنظر حاشية رقم ٦.

[22] أنظر King 1, 539-540 عن المراكشي وعمله.

[23] أنظر King 1, 53-55 حول هذه الجداول. عن الخوارزمي، أنظر مقال G.J. Toomer in DSB، وعن جدوله لصناعة ألواح الأسطرلاب، أنظر King 5, 23-27. حول جداول للأسطرلاب من القرن ١٤م جمعها البخانقي في اليمن (Cairo) Survey, no. C28، أنظر King 2, 34-35. وأقوم حاليا بإعداد للنشر دراسة عن جداول الأسطرلاب الإسلامي.

[24] أنظر حاشية رقم ٢٣.

[25] عن هذا الشخص، أنظر Suter, no. 358 .

[26] عن العرضي، أنظر Saliba.

[27] King 1, 51-53, 56. عن جداول المزاول للخوارزمي، أنظر أنظر King 5, 17-22. وعن جداول المزاول للمراكشي، أنظر Janin & King, 335-352

[28] يحتاج هذا الجزء دراسة خاصة. أنظر Hill عن الساعات المائية.

[29] ناقش Banerjee & Sabra هذا المقطع.

[30] أنظر حاشية رقم ٧.

[31] أنظر الجزائري.



المراجع العربية:

الجزائري:
طاهر الجزائري، " التأليف في الملوك"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق** ٢٧ (١٩٥٢)، ٥٢-٦٠.

الحبشي:
عبد الله الحبشي، **مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن**. بيروت: دار العودة، ١٩٧٩.

عواد:
ك. عواد، "الأسطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل في العصور الإسلامية"، **سومر** ١٣ (١٩٥٧)، ١٥٤-١٧٨.

المراجع الغربية:

Astrolabe Checklist:
S.L. Gibbs, J.A. Henderson, and D.J. de Solla Price, *A Computerized Checklist of Astrolabes*. New Haven: Yale University Department of History of Science and Medicine, 1973.

Azzawi:
K. El-Azzawi, *History of Astronomy in Iraq and its Relations with Islamic and Arabic countries in the Post-Abbasid Periods* (in Arabic). Baghdad: Iraq Academy Press, 1959.

Banerjee & Sabra:
S. Banerjee and A.I. Sabra, "A Thirteenth-Century Magnetic Compass Described by Sultan al-Ashraf of Yemen", *Proceedings of the Second International Symposium on the History of Arabic Science* (Aleppo, 1979).

Al- Bīrūnī:
R.R. Wright, trans., *The Book of Instruction in the Elements of the Art of Astrology* by … al-Bīrūnī, London: Luzac & Co., 1934. (Reprinted Baghdad: al-Muthanna, n.d.).

Bosworth:
C.E. Bosworth, *The Islamic Dynasties: A Chronological and Genealogical Handbook*, Edinburgh: University Press, 1967.

Brieux:
A.Brieux, "Les astrolabes: tests d'authencité", *Art et Curiosité*, Sept. 1974, n.p.

Brieux & Maddison:
A.Brieux and F. Maddison, *Répertoire des facteurs d'astrolabes et de leurs oeuvres*, I (Islam), to appear.

Brockelmann:
C, Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur*, 2nd ed., 2 vols., Leiden: E.J. Brill, 1943-49, and *Supplementbände*: 3 vols., Leiden: E.J. Brill, 1937-42.

Cairo Catalogues:
D.A. King, *A Catalogue of the Scientific Manuscripts in the Egyptian National Library* (in Arabic), 2 vols., Cairo: General Egyptian Book Organizations, in collaboration with the Smithsonian Institution and the American Research Center in Egypt, 1981-86.

Cairo Survey:
D.A. King, *A Survey of the Scientific Manuscripts in the Egyptian National Library* (in English), Publications of the American Research Center in Egypt, Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1985.

Destombes:
M. Destombes, "Les chiffres coufiaques des instruments astronomiques arabes", *Physis* 2 (1960), 197-210.

Dimand:
M.S. Dimand, "Dated Specimens of Mohammedan Art in the Metropolitan Museum of Art –Part I", *Metropolitan Museum Studies* I:1 (1928), 99-113.

EI1:
Encyclopaedia of Islam, 1st ed., 4 vols. Leiden:E.J. Brill, 1913-1934.

EI2:
Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., 4 vols. to date, Leiden: E.J. Brill, 1960 to present.

Ettinghausen et al:
R. Ettinghausen, ed., *Islamic Art in the Metropolitan Museum of Art*, New York: Metropolitan Museum, 1972.

Gettings:
F. Gettings, *Dictionary of Occult, Hermetic and Alchemical Signs*, London, Boston & Henley: Toutledge & Kegan Paul, 1981.

Gibbs and Saliba:
S. Gibbs and G. Saliba, *Planispheric Astrolabes from the National Museum of American History*, Washington, D.C.: Smithsonian Institution Press, 1984.

Gingerich & King & Saliba:
O. Gingerich, D.A. King and G. Saliba, "The 'Abd al-A`imma Astrolabe Forgeries", *Journal for the History of Astronomy* 3 (1972), 188-198.

Gunther:
R.T. Gunther, *The Astrolabes of the World*, 2 vols., Oxford: University Press, 1932, reprinted London: The Holland Press, 1976.

Hartner 1:
W. Hartner, "The Principle and Use of the Astrolabe", in *Oriens-Occidens*, Hildesheim: Georg Olms, 1968, 287-311, reprinted in *Astolabica* (Paris: Société Internationale de l'Astrolabe) I (1978).

Hartner 2:
W. Hartner, "Asturlab", in *EI*2, reprinted in *Oriens-Occidens*, 312-318.

Hill:
D. Hill, *On the Construction of Water-Clocks: Kitab Archimidas fi `amal al-binkamat*, London: Turner & Devereux, 1976.

Irani:
R.A.K. Irani, "Arabic Numerical Forms", *Centaurus* 4 (1955), 1-12, reprinted in Kennedy et al., 710-721.

Islamische Kunst:
Islamische Kunst: Meisterwerke aus dem Metropolitan Museum of Art, New York, Berlin: Rembrandt Verlag, and New York: Harry N. Abrams, 1982.

Janin & King:
L. Janin and D.A. King, "Le cadran solaire de la mosquée d'Ibn Tūlūn au Caire", *Journal for the History of Arabic Science* 2 (1978), 331-357.

Kennedy & Haddad:
F.I. Haddad and E.S. Kennedy, "Geographical Tables of Medieval Islam", *al-Abhath* 24 (1971), 87-102, reprinted in Kennedy et al, 636-651.

Kennedy et al:
E.S. Kennedy, Colleagues and Former Students, *Studies in the Islamic Exact Sciences,* Beirut: American University of Beirut Press, 1983.

al-Khazraji:
The Pearl Strings: A History of the Resuliyy Dynasty of the Yemen by... El-Khazrejiyy, Arabic text edited by M. 'Asal, 2 vols., English translation and annotations by J.W. Redhouse, 3 vols. (E.J.W. Gibb Memorial Series, vols. III. 4-5 and III. 1-3), Leiden: E.J. Brill and London: Luzac & Co., 1913-18 and 1906-08.

King 1:
D.A. King, "On the Astronomical Tables of the Islamic Middle Ages", *Studia Copernicana* 13 (1975), 37-56, reprinted in *Variorum Reprints.*

King 2:
-----, *Mathematical Astronomy in Medieval Yemen: A Biobibliographical Survey*, Publications of the American Research Center in Egypt, Malibu, California: Undena Press, 1983, reprinted in *Variorum Reprints.*

King 3:
-----, The Astronomy of the Mamluks", *Isis* 74 (1983), 531-555, reprinted in *Variorum Reprints.*

King 4:
-----, "The Origin of the Astrolabe according to the Medieval Islamic Sources", *Journal for the History of Arabic Sciences* 5 (1981), 43-83, reprinted in *Variorum Reprints.*

King 5:
-----, "al-Khawārizmī and New Trends in Mathematical Astronomy in the Ninth Century", *Occasional Papers on the Near East* (New York University, Hagop Kevorkian Center for Near Eastern Studies) 2 (1983).

King 6:
-----, *Islamic Mathematical Astronomy*, London: Variorum Reprints, 1986.

King 7:
-----, *Islamic Astronomical Instruments*, London: Variorum Reprints, 1987.

Kunitzsch 1:
P. Kunitzsch, *Arabische Sternamen in Europa*, Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1959.

Kunitzsch 2:
P. Kunitzsch, *Untersuchungen zur Sternnomenklatur der Araber*, Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1961.

Lane:
E.W. Lane, *An Arabic-English Lexicon*, 8 pts., London: Williams and Norgate, 1863-93, reprinted Beirut: Librairie du Liban, 1968.

Lewcock & Serjeant:
R. Lewcock and R.B. Serjeant, eds., *San`a': An Arabian Islamic City*, London: World of Islam Festival Trust, 1983.

Littman:
E. Littman, "Über die Ehrennamen und Neubenennungen der Islamischen Monate", *Der Islam* 8 (1918), 228-236.

Mayer:
L.A. Mayer, *Islamic Astrolobists and their Works*, Geneva: Albert Kundig, 1956.

MacKay:
P.A. MacKay, "Certificates of Transmission on a Manuscript of the Maqāmāt of Harīrī (MS Cairo, Adab 105)", *Transactions of the American Philosophical Society*, N.S. 61:4 (1971).

Michel 1:
H. Michel, "Méthodes de tracé et d'exécution des astrolabes persans", *Ciel et terre* 57 (1941), 481-496.

Michel 2:
H. Michel, *Traité de l'astrolabe*, Paris: Gauthiers-Villars, 1947.

Morley:
W.H. Morley, "Description of A Planispheric Astrolabe Constructed for Shah Sultan Husain Safawi", (London, 1856), reprinted in Gunther 1, 1-50.

Neugebauer 1:
O. Neugebauer, "The Early History of the Astrolabe", *Isis* 40 (1949), 240-256, reprinted in Neugebauer 3.

Neugebauer 2:
-----, *A History of Ancient Mathematical Astronomy*, 2 pts., Berlin & Heidelberg & New York: Springer Verlag, 1975.

Neugebauer 3:
-----, *Astronomy and History: Selected Essays*, New York: Springer Verlag, 1983.

North:
J.D. North, "The Astrolabe", *Scientific American* 230 (1974), 96-106.

Saliba:
G. Saliba, "The First Non-Ptolemaic Astronomy at the Maraghah School", *Isis* 70 (1979), 571-576.

Sayyid:
A.F. Sayyid, *Sources de l'histoire du Yémen à l'époque musulmane*, Cairo: Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, 1974.

Sezgin:
F. Sezgin, *Geschichte des arabischeen Schrifttums*, 9 vols. to date, Leiden: E.J. Brill, 1967 to present.

Suter:
H. Suter, "Die Mathematiker und Astronomen der Araber und ihre Werke", *Abhandlungen zur Geschichte der mathematischen Wiseenschaften* 10 (1900), reprinted Amsterdam: Oriental Press, 1982.

Tetrabiblos:
F.E. Robbins, ed. and transl., *Ptolemy: Tetraiblos*, Loeb Classical Library, no. 350, Cambridge, Mass.: Harvard University Press and London: William Heinemann, 1964.

Ullmann:
M. Ullmann, *Die Natur- und Geheimwissenschaften im Islam*, Leiden: E.J. Brill, 1972.

Wiedemann:
E. Wiedmann, "Über die Zwichen für die Planeten usw. Auf Astrolabien", *Byzantische Zeitschrift* 19 (1910), 145-146, reprinted in *eius, Gesammelte Schriften zur arabisch-islamischen Wissenschaftsgeschichte*, 3 vols., (Frankfurt am Main: Institut für Geschichte der arabisch-islamischen Wissenschaften, 1984) I, 449-450.

الزجاج ذو الزخارف المموهة بالمينا المصنوع لسلاطين بني رسول*

فنيشيا بورتر

نشر ماكس فان برشم Max van Berchem في سنة ١٩٠٤ ثلاثة عشر قطعة من الزجاج ذو الزخارف المموهة بالمينا المملوكية ذات علاقة باليمن وخاصة ببني رسول الذين حكموا اليمن بين القرون ١٣ و ١٥م[١]. وقد ظهرت منذ نشر هذه الدراسة تحف أخرى زجاجية ومعدنية بالإضافة إلى قطعة نسيج، صنعت كلها في ورش مملوكية لبني رسول ووصل عددها حتى الآن إلى حوالي خمسين قطعة[٢]. ويتناول هذا البحث دراسة للتحف الزجاجية معتمداً على إحدى عشر قطعة كاملة وكسرات، يتركز حولهم سؤالان أساسيان أولهما يتعلق بالظروف السياسية للفترة التي صنعت فيها التحف، والآخر كيفية تحديد كون هذه التحف الزجاجية رسولية؟

وفكرة أن تكون هذه التحف مصنوعة في اليمن أمر مرفوض. فعلى الرغم من أن هناك أدلة تشير إلى وجود مشاغل للمعدن في اليمن كانت تنتج تحف شبيهة بنظيرتها المملوكية[٣]، فإنه لا يوجد أي دليل في الوقت الحالي على تمكن الحرفيين اليمنيين من صناعة الزجاج المموه

* مترجم عن: Porter, Venetia.. "Enamelled Glass Made for the Rasulid Sultans of the Yemen," in *Gilded and Enamelled Glass from the Middle East*, ed. Rachel Ward. London, 1998, 91-95.

بالمينا. أولاً، أن ما عثر عليه من زجاج فوق تلال بالقرب من عدن (نشره كل من لين وسارجنت Lane و Serjeant) يكشف عن صناعة محلية للزجاج، ولكن ما وجدوه هو عبارة عن كتل متكلسة من الزجاج الأخضر اللون وكسر لأواني زجاجية منفوخة وأساور، ولم يوجد بينها أي قطع زجاجية مموهة بالمينا[٤]. وقد عثرت المسوحات الأثرية الحديثة التي أجريت في منطقة عدن على قطع زجاجية مماثلة لها[٥]. ثانياً، إن ما يسمى بالزجاج الرسولي يتبع من ناحية الأسلوب و طريقة الصناعة الزجاج المملوكي، كما أنه لا يوجد أي ملامح تميزه سوى استخدام أسماء وألقاب سلاطين بني رسول، وفي وجود وريدة في أغلب الأحيان.

جاء بني رسول إلى اليمن مع طورانشاه الأيوبي الذي دخل اليمن في سنة ١١٧٣. وأدى صعودهم التدريجي إلى السلطة إلى كونهم الورثة الطبيعيين للأيوبيين، فانتهزوا فرصة رحيل المسعود آخر حكام الأيوبيين لينفردوا بالسلطة اليمن. وعلى الرغم من أنهم ادعوا نسباً لسلالة عربية (الغسانيون) فقد كانوا من أصل تركماني (منجك)[٦]. وتعتبر فترة حكم بني رسول فترة مزدهرة في تاريخ اليمن، شهيرة بعمائر فخمة وخاصة في عاصمتهم تعز، وباهتمام عدد من السلاطين بالعلوم والآداب[٧]، كما اتسمت بالثروة والرخاء الاقتصادي في المنطقة التي حكموها من اليمن نتيجة لاشتراكهم في تجارة الهند المربحة[٨]. وكانت صلات الرسوليين بالمماليك جيدة طول ما أبدى بني رسول محاباة وافية ولم يعارضوا سيادة المماليك على مكة والمدينة. وكتب ابن

فضل الله العمري (ت ١٣٤٩) ''وصاحب اليمن يهادي صاحب مصر ويداريه لمكان إمكان التسلط عليه من البحر والبر الحجازي''[٩]. ولكن من وقت لآخر اتسمت هذه العلاقات بالفتور مثل شكوى السلطان الناصر في سنة ١٣١٥ من هدية وصلت إلى مصر من السلطان الرسولي لم تحظ بقبوله، وتهديده بغزو بلاده إذ لم يقم بإرسال الهدية المقررة كالعادة[١٠].

واقتدى بنو رسول بالمماليك وصاغوا نظام دولتهم على غرارهم وتأثروا بهم في استخدامهم للألقاب الفخمة والرموز على النقود ومراسم البلاط، كما استجلبوا كتاب للعمل في ديوان الإنشاء[١١]. وفي سنة ١٣١٨ قام علاء الدين كشتغدي بتنظيم الجيش على نمط الجيش المصري وكان قد عمل عند أمير حماه قبل ذلك[١٢]. ومن الواضح أن الرسوليين رحبوا بالكثير من الغرباء مثل السلطان المؤيد الذي عرف عنه حسن وفادة الغرباء وجمع التحف الغريبة والنادرة. وذكر ابن عبد المجيد مؤلف **بهجة الزمن** الذي عمل كاتباً في ديوان السلطان المؤيد، أنه جمع أكثر من مائة ألف مجلد من كل جهة[١٣]. واعتمد العمري على ابن عبد المجيد كمصدر للمعلومات عن اليمن، فذكر أن كل من السلطان المظفر (١٢٥٠-١٢٩٥) والسلطان المؤيد داود ''كانا يبعثان إلى مصر والشام والعراق من يلتقط لهما محاسن الوجود وأحاسن الموجود''[١٤]. بالإضافة إلى أن الصناع كانوا يستجلبون إلى اليمن ''ولا تزال ملوك اليمن تستجلب من مصر والشام طوائف من أرباب الصناعات لقلة

وجودهم باليمن''[15]. ويضيف القلقشندي إلى ذلك ''قل أن يبقى مجيد في صنعة من الصنائع إلا ويصنع شيئاً على اسمه ويجيد فيه بحسب الطاقة ثم يجهزه إليه أو يقصده به ويقدمه إليه من يده فيقبل عليه ويقبل منه ويحسن نزله ويسني جائزته''. كما أضاف أن السلطانين ''كان من عادتهما أن لا يسمحا بعود غريب ولا يصفحان عن هذا عن بعيد ولا قريب''[16].

وهذه الإشارات تطرح عدة تساؤلات. فهي توحي بأن السلاطين اليمن كانوا يطلبون أن تصنع لهم تحف معينة ولكن لا تذكر ما هي تلك التحف، كما أنها لا تذكر ما إذا كان الصناع يأتون بتحف خالصة أم كانوا يصنعوها في اليمن. ويذكر العمري في قسم آخر من كتابه أن الزجاج المزخرف كان يصدر من دمشق إلى مدن أخرى في سوريا ومصر والعراق وآسيا الصغرى[17]. ومن المحتمل أن الصناع الذي أشار إليهم العمري كانوا نفس الصناع الذين عملوا في قصر المؤيد داود في ثعبات الذي اكتمل بناءه في سنة ١٣٠٨ ولكنه اندثر حالياً. وذكر الخزرجي مؤرخ الدولة الرسولية في وصفه لبناء القصر: ''كان يطلع إليه في كل يوم نحو من سبعين بغلة من الصناع الغرباء ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ومكندج ومرخم ومزخرف ومصور''[18]. كما أنه من المحتمل أن التحف وصلت إلى اليمن ضمن الهدايا التي صحبت البعثات الدبلوماسية.

وبالنسبة لفترتي حكم كل من المظفر يوسف والمؤيد داود نجد أن ١٢ تحفة من النحاس المكفت صنعت للمظفر، و٥ تحف من المعدن صنعت للمؤيد بالإضافة إلى تحفتين من الزجاج وقطعة نسيج[١٩]. وقد بعث السلطان المظفر سبع بعثات على الأقل إلى السلطان المملوكي بيبرس في القاهرة، وتلقي بعثتين مملوكيتين على الأقل. وسجلت ثمان بعثات يمنية إلى مصر خلال عصر المؤيد وثلاث بعثات مملوكية[٢٠]. ووصف هذه التحف وفي جميع الأحوال مبهم، باستثناء الهدية التي وصلت في سنة ١٢٦٧ والتي تضمنت خلعة وسنجق وقميص للسلطان المملوكي ودرع للصدر[٢١]. ولم نجد حتى الآن إشارات محددة لهدايا من أواني نحاسية أو زجاجية. وعلى عكس الزجاج، وجدت بعض التحف المعدنية في اليمن كما ذكر مصدر من القرن ١٦م يصف استيلاء الإمام الزيدي شرف الدين على ''الآلات الرفيعة من النحاس الغساني (أي الرسولي) المرصع بالفضة وأنواع الصيني'' وذلك في سنة ١٥٢٧[٢٢]. ولست على علم بوجود أي زجاج مموه بالمينا في متاحف اليمن، كما أنه من الصعب تتبع تاريخ التحف بعد ذلك وكيف تواجدت ضمن مجموعات في القرن ١٩م وأوائل القرن ٢٠م.

وبعد أن استعرضنا ظروف صناعة هذه التحف ووصولها إلى اليمن، يمكننا أن نفحص قطع الزجاج نفسها. وأول نموذجي من الزجاج عبارة عن قنينتين صنعتا للسلطان الأشرف عمر العالم وصانع الأسطرلاب الذي حكم لمدة قصيرة (١٢٩٥-١٢٩٧). والقنينة الكاملة

موجودة في متحف فكتوريا وألبرت بلندن مصنوعة من زجاج أرجواني اللون وعليها زخارف مموهة بالمينا والذهب وتحمل الكتابة: ''عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبي الفتح عمر ولد السلطان الملك المظفر''. أما الوعاء الثاني فهو مكسور وهو محفوظ في متحف اللوفر بباريس، وهو مصنوع من الزجاج الصافي ويحمل كتابة أطول: ''عز لملانا السلطان الملك الأشرف ممهد الدنيا والدين أبي الفتح عمر ولد السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول''. وهذان الإناءان لا يحملان إلا كتابات تربطهما بالرسوليين، في حين أن الوريدة التي تظهر على أغلب التحف الأخرى غائبة عنهما. وعلى الرغم من أن الوريدة موجودة على تحف للمظفر يوسف، اقترحت أتيل Atil أن عدم وجود الوريدة على إناء اللوفر يعني أن هذه التحفة صنعت قبل أن تصبح الوريدة شعار الرسوليين[٢٣]. ويوجد على القنينتين سرر بألوان متعاقبة (الأحمر والأسود والأبيض) مما جعل فان برشم Van Berchem يقترح أنها شعار[٢٤]. ولا يوجد حتى الآن أي دليل على أن هذا الرسم شعار ليس زخرفة بل شعار، فهو غير موجود على أسطرلاب الأشرف[٢٥]، كما أن كل من العمري والقلقشندي لم يذكراه ضمن ما أورداه عن الشعار الرسولي. ولا يوجد شعار يشبهه في كتاب ماير *Saracenic Heraldry*.

أما مجموعة التحف التالية فهي ثلاث تحف صنعت للمؤيد داود. أولهم قنينة ذات عنق طويل في متحف Institute of Fine Arts بدترويت Detroit[٢٦]، ويوجد عليها كتابة: ''مما عمل برسم السلطان الملك المؤيد

هزبر الدنيا والدين داؤد بن يوسف بن عمر عز نصره'' بالإضافة إلى وريدة بيضاء ذات الخمس بتلات فوق أرضية حمراء. وقد اقترحت أتيل Atil أن لقب المؤيد ''هزبر الدنيا والدين'' يفسر الأسود المرسومة على القنينة. أما التحفة الثانية فهي طست في متحف الفن الإسلامي في القاهرة[٢٧] عليه العبارة: ''مما عمل برسم السلطان الملك العالم العادل الملك المؤيد عز نصره'' والوريدة الخماسية بيضاء اللون فوق أرضية حمراء. أما القطعة الثالثة فهي شقفة نشرها لام Lamm وتحمل وريدة حمراء ذات ست بتلات وعبارة غير كاملة ''عز لمولانا المؤيد''[٢٨].

والمجموعة التالية تخص المجاهد علي (١٣٢١-١٣٦٣) وتضم أيضا ثلاث تحف أولهم قنينة ذات عنق طويل ووريدات حمراء فوق أرضية بيضاء في متحف Freer Gallery of Art بواشنطن[٢٩]، وتحمل الكتابة: ''عز لمولانا السلطان الملك المجاهد العالم العادل''. أما الثانية فهي سلطانية في متحف Toledo Museum of Art وتزخرفها وريدات حمراء وعبارة: ''السلطان الملك المجاهد''[٣٠]. والثالثة أيضا سلطانية في متحف Freer Gallery of Art وعليها مينا وتذهيب على الوجهين ووريدات حمراء على أرضية ذهبية وكتابة: ''عز لمولانا السلطان الملك العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر''[٣١].

ثم توجد مجموعة أخرى تشكل لنا بعض الصعوبة، وهي تشمل زهرية ذات مقبضين في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة عليها كتابة:

''عز لمولانا السلطان الملك العادل المجاهد''، ومن المحتمل أنها صنعت للمجاهد علي ولكن لا يوجد عليها وريدات[٣٢]. ثم زهرية ذات أربع مقابض في متحف Freer Gallery of Art بدون كتابات ولكن يزخرف عنقها وريدات خماسية البتلات فوق أرضية بيضاء. ويقال أن هذه الزهرية عثر عليها في الصين، واقترحت أتيل Atil أنها ربما كانت مرسلة كهدية دبلوماسية من قبل الرسوليين إلى ملك الصين[٣٣]. أما القنينة الموجودة في متحف الفن الإسلامي ببرلين فيوجد حول عنقها كتابة لصاحب غير معين ووريدات خماسية فوق أرضية بيضاء على الكتف[٣٤].

وبلا شك أن الوردة الخماسية تعتبر شعار كما أكده كل من العمري والقلقشندي. فذكر العمري: ''وشعار هذا السلطان وردة حمراء في أرض بيضاء. قلت ورأيت أنا السنجق اليمني وقد رفع في جبل عرفات سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة (١٣٣٧) وهو أبيض وفيه وردات حمر كثيرة''[٣٥]. إذاً فقد حدد لون الوردة في النص على عكس عدد البتلات. وأغلب التحف الرسولية تحمل وردات ذات خمس بتلات، وعلى قطع الزجاج فإن لون الوردة يكون أبيض فوق أرضية حمراء أو أحمر فوق أرضية بيضاء. والسؤال هنا هو ما أهمية عدد البتلات واللون؟ ففي اليمن نتبين الوردة على العمائر والمسكوكات فقط. ومن المحتمل أن تكون أتيل Atil على حق في اقتراحها أن السبب في غياب الوردة على تحف الأشرف عمر ربما يرجع إلى أنها صنعت قبل أن

تتخذ الوردة كشعار. ولا تظهر الوردة على العمائر والنقود إلا في عصر الأشرف إسماعيل (١٣٧٧-١٤٠١) وهي الفترة التي لم نعثر لها على تحف مملوكية مصنوعة خصيصاً للسلاطين. وتظهر بعض الوردات على زخارف سقف جامع المظفر[٣٦] ولكنها محصورة وغير واضحة، في حين أن الوردات الحمراء اللون ذات الخمس بتلات واضحة في كل من المدرستين الأشرفية والمعتبية[٣٧] وتعطي انطباع السنجق اليمني كما وصفه العمري ''أبيض وفيه وردات كثيرة''.

ولا تظهر الوردات على المسكوكات إلا في عصر الأشرف إسماعيل بالرغم من وجود شعارات أخرى على النقود الرسولية منذ فترة حكم المجاهد علي وحتى نهاية العصر الرسولي[٣٨]. واستخدام الشعار هو نموذج آخر لتأثير المماليك على الرسوليين في ذلك الوقت. وفي مصر تظهر الشعارات أو الرنوك على النقود النحاسية[٣٩]، مع بعض الاستثناءات مثل أسد بيبرس الذي استخدمه بركة خان كشعار له. ووجود هذه الرنوك على النقود المملوكية النحاسية يعني أنها كانت الشعارات الرسمية للسلاطين وربما أنها استخدمت من قبل بعض الأمراء المحليين على سبيل الزخرفة[٤٠]. وبإمكان القول أن الرسوليين نقلوا هذه الرموز على نقود الفضة إذ أن النقود النحاسية من تلك الفترة نادرة، وكانت هذه الرموز في البداية مقترنة بأماكن معينة مثل السمكة مع عدن.

أما الوردة التي تظهر على النقود المملوكية فهي عادةً ذات ست بتلات وكانت بالأساس شعار لبيت قلاوون ولكن سلاطين آخرين استخدموها أيضا[٤]. في حين تراوح عدد بتلات الوردة على النقود الرسولية بين ست وثمان، وكان استخدامها يختلف عن الرموز الأخرى. وكما ذكرنا سابقاً إن الرموز مقترنة بدار ضرب معينة وليس بسلطان معين فإن الوردة وجدت خلال فترة حكم الأشرف على نقود من عدة دور ضرب مختلفة على الوجه الذي يحمل اسم السلطان، وبالتالي من الواضح أنها شعار للدولة الرسولية وقد استمر استخدامها خلال عصر الناصر أحمد.

وبالأخير يمكننا القول أن طبقاً للمصادر التاريخية صنعت بعض التحف على طلب السلاطين، وثانياً أن ظهور الوردة على التحف والنقود والعمارة خلال الفترة الرسولية يؤكد بأنها كانت شعار للدولة وليست رنك خاص. أما بالنسبة للون الوردة فيبدو أن اللون الأحمر كان المفضل كما أن عدد البتلات لا يبدو مهماً إلا أن الوردة الخماسية هي الأكثر شيوعاً. وعلى هذا يمكننا القول أن التحف الزجاجية ذات الوردات الخماسية مع الكتابات التي تحتوي على أسماء السلاطين هي الرئيسية، أما التحف ذات الوردات الخماسية فقط فهي هامشية. أما الشقفة التي نشرها لام Lamm ذات الوردة السداسية واسم المؤيد فمن الأرجح أنها رسولية لأن السلطانين المملوكيين المتلقبين بنفس اللقب هم متأخران (١٤١٢-١٤٢١ و ١٤٦١). كما أنه لا بد أن نستبعد التحف

ذات الوردات السداسية التي لا تصحبها اسم أو أسماء غير معروفة مثل مشكاة متحف فكتوريا وألبرت بلندن التي تحمل اسم كافور[٤٢].



الحواشي:

[١] Van Berchem 1904.
[٢] Porter 1987.
[٣] Allan 1986، ٣٥-٤١.
[٤] Lane & Serjeant 1948.
[٥] Tonghini et al 1994، ١٩-٣٤. Whitcomb 1989، ٢٠١-٢٠٢.
[٦] Smith 1978، الفصلان ٣ و٤.
[٧] Varisco 1994. Finster 1987.
[٨] Cahen & Serjeant 1957.
[٩] العمري ١٩٨٥.
[١٠] عبد العال أحمد ١٩٨٠، ٤٠٣.
[١١] الحبشي ١٩٨٠، ٢٧. Irwin 1986، ٤٠.
[١٢] ابن عبد المجيد، ١٣١.
[١٣] ابن عبد المجيد، ١٣١-١٣٣.
[١٤] العمري ١٩٨٥، ١٦٢.
[١٥] العمري ١٩٨٥، ١٥٦.
[١٦] القلقشندي ١٩١٣-١٩٢٠، ج ٥، ٣٦.
[١٧] انظر:
Irwin, Robert, "A Note on Textual Sources for the History of Glass," *Gilded and Enamelled Glass from the Middle East*, ed. R. Ward. London, 1998.
[١٨] Redhouse & Asal 1906-1818، ج ١، ٢٨٧. Smith 1987، ١٢١-١٢٢.
[١٩] Porter 1987، ٢٤٠، ٢٤٩-٢٥١.
[٢٠] عبد العال أحمد ١٩٨٠، ٣٥٩ وبعده.
[٢١] Quatremere 1945، ج ١، ٤٩.
[٢٢] يحيى بن الحسن ١٩٦٨، ج ٢، ٦٧١. Porter 1989، ١٠٧.
[٢٣] Atil 1981، ١١٩.
[٢٤] Van Berchem 1904، ٤٥-٤٦.
[٢٥] King 1987، ٣٠٣-٣٠٤.
[٢٦] Van Berchem 1904، ٥٠-٥٢. Lamm 1929-39، ج ٢، لوحة ١٧٩ :١.
[٢٧] القاهرة، متحف الفن الإسلامي ٢٤٢٥٢. Ministry of Culture 1969، ١٧٧-١٧٨، رقم ١٦٨. Van Berchem 1904، ٥٢-٦٠.
[٢٨] Lamm 1929-39، ج ٢، لوحة ١٣٨ :٢.
[٢٩] Van Berchem 1904، ٦٦-٦٨. Atil 1975، ١٣٨. Lamm 1929-39، ج ٢، لوحة ١٨٠ :٧.

[٣٠] Lamm 1929-39، ج ٢، لوحة ١٨٠ :٩. هناك سلطانية مشابهة في المتحف البريطاني .OA 1874.6-13.1

[٣١] Atil 1975، ١٣٦ رقم ٧٣. Lamm 1929-39، ج ٢، لوحة ١٧٩ :٩.
[٣٢] القاهرة، متحف الفن الإسلامي ٢٤٢٥٠. Ministry of Culture 1969 ، رقم ١٧٤.
[٣٣] Atil 1975، ١٣٩ رقم ٧٥.
[٣٤] Berlin 1979، ١٣٧ رقم ٥١٤.
[٣٥] العمري ١٩٨٥، ١٥٩. القلقشندي ١٩١٣-١٩٢٠، ج ٥: ٣٤.
[٣٦] Lewcock & Smith 1974، لوحات ٥-٧. هناك مشاكل حول تحديد تاريخ الزخارف المدهونة لأنه أعيد زخرفة أجزاء من المسجد في أواخر القرن ١٥م.
[٣٧] Finster 1987، ٢٥٦.
[٣٨] Nützel 1987، ٥٦-٥٩.
[٣٩] Balog 1964، ١٨-٣٨.
[٤٠] .Allan 1970
[٤١] Balog 1964، ٢٤-٢٥.
[٤٢] متحف فكتوريا وألبرت ١٨٦٠,٦٨٢٠. Van Berchem 1904، ٨١.

المراجع العربية:

العمري، ابن فضل الله. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. تحقيق أيمن فؤاد سيد. القاهرة، ١٩٨٥.

عبدالعال، أحمد. **بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما**. الإسكندرية، ١٩٨٠.

الحبشي، عبد الله. **حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول**. صنعاء، ١٩٨٠.

ابن عبد المجيد. **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**. تحقيق محمد الأكوع. صنعاء، ١٩٨٥.

القلقشندي، أحمد. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**. ١٤ جزء. القاهرة، ١٩١٣-١٩١٨.

ابن الحسين، يحيى بن القاسم. **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**. جزآن. تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة، ١٩٦٨.

المراجع الغربية:

Allan 1970
Allan, J.W. "Mamluk Sultanic Heraldry and the Numismatic Evidence: A Reinterpretation." *Journal of the Royal Asiatic Society* 2: 99-112.

Allan 1986
Allan, J.W. Islamic Metalwork: The Aron Collection. London.

Atil 1975
Atil, Esin. *Arts of the Arab World*. Washington, D.C.

Atil 1981
Atil, Esin. Renaissance of Islam: Art of the Mamluks. Washington, D.C.

Balog 1964
Balog, Paul. The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria. New York.

Berlin 1979
Museum für Islamische Kunst, Katalog, 2. Aufl.

Cahen & Serjeant 1957
Cahen, Claude and Serjeant, R.B. "A Fiscal Survey of Medieval Yemen," *Arabica* 4, pp. 23-33.

Finster 1987
Finster, Barbara. "The Architecture of the Rasulids," *Yemen: 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix*, edited by Werner Daum. Innsbruck, pp. 254-264.

Irwin 1986
Irwin, Robert The Middle East in the Middle Ages. London.

King 1987
King, David A. " Astronomy in Medieval Yemen," *Yemen: 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix*, edited by Werner Daum. Innsbruck, pp. 300-308.

Lamm 1929-30
Lamm, Carl Johan. Mittelalterliche Gläser und Steinschnittarbeiten aus dem Nahen Osten. Berlin

Lane & Serjeant 1948
Lane, A and Serjeant, R.B. "Pottery and Glass Fragments from the Aden Litoral," *Journal of the Royal Asiatic Society*, pp.108-133.

Lewcock & Smith 1974
Lewcock, Ronald and Smith, G.R. "Three Medieval Mosques in The Yemen," *Oriental Art* XX , pp. 75-86 and 192-203.

Ministry of Culture 1969
Islamic Art in Egypt 969-1517. Cairo.

Nützel 1987
Nützel, Heinrich. *Coins of the Rasulids*. Translated by A. Kinzelbach. Mainz.

Porter 1987
Porter, Venetia. "The Art of the Rasulids." *Yemen: 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix*, edited by Werner Daum. Innsbruk, pp. 232-253.

Porter 1989
Porter, Venetia. "The Architecture of the Tahirid Dynasty of the Yemen," *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 19, pp. 105-20.

Quatremère 1845
Quatremère, E.M. *Histoire des sultans mamlouks de l'Égypte*. Paris.

Redhouse & Asal 1906-1918
Redhouse, J.W. and Asal, Muhammad. *El-Khazreji's history of the Resuli Dynasty of the Yemen.* Leiden and London, 5 vols.

Smith 1978
Smith, G.R. *The Ayyubids and Early Rasulids in the Yemen (567-694/1173-1295)*. London.

Smith 1987
Smith, G.R. "The Political History of the Islamic Yemen down to the first Turkish Invasion (1-945/622-1538)," *Yemen: 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix*, edited by

Werner Daum. Innsbruck, pp. 129-139.

Tonghini et al 1994
Tonghini, C., King, G. et al. "Reconnaissance Survey of the Islamic Period Tells near Aden and Wadi Abyan, Yemen 4-14th January 1994," unpublished report.

Van Berchem 1904
Berchem, Max van. "Notes d'archéologie arabe," *Journal Asiatique* 3, pp. 5-96.

Varisco 1994
Varisco, D.M. *Medieval Agriculture and Islamic Science: The Almanac of A Yemeni Sultan.* Seattle & London.

Whitcomb 1988
Whitcomb, D.S. "Islamic Archaeology in Aden and the Hadramaut," *Araby the Blest: Studies in Arabian Archaeology*, edited by D.T. Potts. Copenhagen, pp. 177-262.

المؤرخ الخزرجي وعمله في زخرفة العمائر*

نهى صادق

على الرغم من أن أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي يعتبر المؤرخ الرئيسي لعصر بني رسول فإن المعلومات المعروفة عن حياته محدودة. فيبدو أنه ولد بعد سنة ١٣٣٠/٧٣٠، وكان يناهز السبعين أو أكثر عندما توفي في زبيد في سنة ١٤٠٩/٨١٢ أثناء حكم السلطان الناصر أحمد، وعاش معظم حياته تحت حكم كل من السلطان الأفضل عباس (٧٦٤-٧٧٨/ ١٣٦٣-١٣٧٦) وابنه السلطان الأشرف إسماعيل (٧٧٨-١٣٧٦/٨٠٣-١٤٠٠). وتعتمد شهرة الخزرجي على عدد من مؤلفاته في تاريخ اليمن وبالذات فترة حكم بني رسول، من ضمنها نذكر هنا **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** الذي يغطي تاريخ أسرة بني رسول منذ البداية وحتى وفاة السلطان الأشرف إسماعيل في سنة ١٤٠٠/٨٠٣ وهو المصدر الرئيسي لتلك الفترة، وخاصة للنصف الثاني من القرن ١٤/٨ الذي كان الخزرجي له شاهداً عياناً. وكذلك كتاب **الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنه في الإسلام** الذي يشمل تاريخ اليمن من العهد النبوي إلى عصر المؤلف. وسجل كل من العقود والكفاية الأحداث الرئيسية السياسية والاجتماعية لفترة حكم كل سلطان

* مترجم عن: Sadek, Noha. "Notes on the Rasulid historian al-Khazraji's career as a craftsman," *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 27 (1997), 231-233.

بالإضافة إلـى تراجـم لشخصيات مهمـة. كمـا أنـه صنـف كتـاب تراجـم بعنـوان **طـراز أعـلام الزمـن فـي طبقـات أعيـان اليمـن** أو **العقـد الفـاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن** الذي يشمل جزء خاص بالنساء[1].

وبالإضافة إلى كتابـة التـاريخ، كـان الخزرجي أحد المدرسين الذين عينهم السلطان الأشرف إسماعيل فـي جـامع الممـلاح بـالقرب مـن زبيد الذي بناه في سنة ١٣٩٢/٧٩ لإقراء القرآن الكريـم بـالقرآت السـبع. ويبدو أنـه سكن زبيد أو بـالقرب منـها حيث كـان يمتلـك أرض ونخيـل سامحه السلطان في خراجها بعد أن ندبه للحج عن والدته التي توفيت في سنة ١٣٨٥/٧٨٤[2]. ولكن ما يعنينا في هذا البحـث هـو عمل الخزرجـي كمزخرف معماري. إذ تذكر ترجمة للخزرجي في كتاب **طبقات صلحاء اليمن** أنه ''عمل في زخرفة المساجد والدور الملوكية واسـمه مثبـت فـي بعض المدارس كالمدرسة الأفضلية وربما فوض إليه مباشرة العمارة من السلطـان وذكر أنه كـان مـن جملـة المزخرفين فـي دار الديبـاج بثعبـات، وهو القصر الذي بنـاه الأفضـل عبـاس فـي سـنة ١٣٦٥/٧٦٦[3]. ولسـوء الحظ أن المدرسة الأفضلية اندثرت وبالتالي لم يعد لتوقيع الخزرجـي أي أثر. وتدل هذه الملاحظة على أن الحرفيين كانوا يوقعون أعمالهم وإن لم يتم العثور حتى الآن على أي توقيعات للمزخرفين علـى جدران العمـائر الرسولية، مثل جامع المظفر وكل من المدرسة الأشـرفية والمعتبيـة فـي

تعز، ولكن من المحتمل وجود توقيعات ولكنها مخبأة تحت طبقات الجص التي تغطي حاليا أجزاء كبيرة من الزخارف. وذكر الخزرجي نفسه أن أحد وزراء الأفضل عباس وهو تقي الدين عمر بن أبي القاسم معيبد استدعاه من زبيد إلى تعز حيث ابتنى مدرسة في سنة ١٣٨٠/٧٧٩ ''لزخرفتها وتزويقها وكندجتها وكنت يومئذ مقدم أهل هذه الصناعة في ذلك العصر''[٤٤].

وبالرغم من قلة ما ذكره الخزرجي عن مهنته الحرفية فقد اهتم في مؤلفاته بتسجيل العمائر التي بناها السلاطين وغيرهم من أفراد المجتمع المهمين. ولكن وصفه لتلك العمائر موجز للغاية، وحتى المدرسة الأفضلية التي عمل بها فكان وصفه لها مقتضب فيذكر أن السلطان أمر فيها ''بعمارة منارة لم يكن في البلاد مثلها وذلك أنها على ثلاث طبقات فالطبقة الأولى مربعة الشكل صحيحة الأركان والطبقة الثانية مثلثة الأركان قائمة الحروف والطبقة الثالثة مسدسة الشكل عجيبة المنظر''[٤٥].

أما المدرسة الأشرفية التي لا تزال قائمة، فإنه لم يشر على الإطلاق إلى زخارفها الرائعة المدهونة والمحفورة في الجص والتي تعتبر خير مثال لهذا التقليد الفني في اليمن. واقتصر وصف الخزرجي للمدرسة الأشرفية على أنها ''مدرسة حسنة الشكل لها بابان شرقي وغربي وباب يماني ومقدم فسيح وشمسية رحبية وتكوين عجيب وابتنى فيها مطهراً نفيساً''[٤٦]. ومن الغريب أن البناء الذي وصفه الخزرجي بشيء من

الإسهاب هو قصر المعقلي على الرغم من أنه شيد قبل مولده. وهو القصر الذي بناه السلطان المؤيد بالقرب من تعز واستغرقت عمارته ثمان سنوات وكان الانتهاء منها في سنة ١٣٠٨/٧٠٨. ويبدو أن هذا القصر كان أعجوبة معمارية مما جعل الخزرجي يصف زخارفه من ذهب ورخام وأعمدة وبرك ونافورات إلى جانب العدد الكبير من الحرفيين الأجانب والمحليين على عكس صمته حول قصر الديباج الذي عمل به[٧].

ويزيدنا مصدران آخران بمعلومات إضافية عن الزخارف المدهونة في العمائر الرسولية. أولهما هو كتاب المؤرخ المملوكي ابن فضل الله العمري (ت ١٣٤٩/٧٥٠) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** الذي يذكر ضمن ملاحظاته عن أهل اليمن أن ''لهم الديارات الجليلة والمباني الأنيقة، إلا الرخام ودهان اللازورد فإن هذا من خواص السلطان لا يشاركه فيها مشارك من الرعايا ولا من الأعيان، وإنما فرش دورهم بالخافقي وما يجري مجراه''[٨]. وفي فقرة عن مدينتي تعز وزبيد ذكر ابن فضل الله العمري أن ''مساكن الملك فيهما فنهاية في العظمة وفرش الرخام والسقوف المدهونة''[٩]. ويدل تعليق الخزرجي عن زخرفة مدرسة الوزير تقي الدين عمر على أن الزخارف المدهونة في المدارس والمساجد لم تقتصر على عمائر السلاطين وأفراد أسرتهم

فقط[١٠].

أما المصدر الثاني فهو رسالة **مخترع في فنون من الصنع** تنسب إلى السلطان المظفر يوسف، وهي مقسمة إلى عشر فصول تتناول مواضيع مختلفة مثل القلم والحبر والأصباغ وكذلك تجليد الكتب. ويوجد في الفصل المتعلق بالألوان والأصباغ فقرة قصيرة عن تحضير الألوان لدهان الأسقف بالتحديد[١١] ولكن دون وصف لأي زخارف. ومن الطبيعي أن نتوقع أن يترك الخزرجي رسالة مماثلة عن مهنته، ولكن لم ينسب إليه أي نص مماثل. وربما فقدت مخطوطات على مر السنين. كما أنه من الصعب معرفة سبب عدم اهتمامه بمهنته الحرفية، وربما إنها كانت في نظره معلومات غير مهمة للتدوين على عكس حياة الحكام والأحداث السياسية التي ميزت عصرهم والتي اهتم الخزرجي بها بالأساس.

الحواشي:

[1] ناقش القاضي إسماعيل الأكوع بتفصيل مؤلفات الخزرجي في مقاله ''أضواء على مؤلفات علي بن الحسن الخزرجي المؤرخ اليمني'' **مجلة التاريخ العربي** ٤ (١٩٧٧)، ص ١٢٣-١٢٩. وهناك نصان آخران ينسبان للخزرجي وهما: **العسجد المسبوك والزبرجد المحكوك فيمن ولي اليمن من الملوك وفاكهة الزمن في أخبار من ولي من اليمن** الذي ينسب أيضاً إلى السلطان الأشرف إسماعيل ولكنه في الأغلب من مؤلفات الخزرجي. وتوجد قائمة لأعمال الخزرجي في **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** لأيمن فؤاد سيد (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ١٥٢-١٥٦. وحقق محمد عسل ''العقود اللؤلؤية'' وترجمه J.W. Redhouse إلى الإنجليزية، وطبع في خمس أجزاء (لندن، ١٩٠٦-١٩١٨)، وأعاد إصداره القاضي محمد الأكوع في مجلدين (صنعاء، ١٩٨٢). وحقق راضي دغفوس الفصول الأولى من **الكفاية** التي تتناول عصر الرسول (ص) حتى العباسيين تحت عنوان ''اليمن في عصر الولاه''، *Cahiers de Tunisie* (١٩٧٨) مجلد ٢٧، ص ٣-١٦٢. أما **العسجد** فحققه شاكر عبد المنعم (بغداد، ١٩٧٥) ولكن نسبه إلى الأشرف إسماعيل. ولا يزال **فاكهة الزمن** و**العقد الفاخر** غير منشوران.

[2] الخزرجي، **العقود اللؤلؤية** (صنعاء، ١٩٨٢)، جزء ٢ ص ١٤٩-١٥٠، ١٧١.

[3] البريهي، **طبقات صلحاء اليمن** (صنعاء ١٩٨٣)، ص ٢٩١.

[4] في ترجمة تقي الدين عمر بن أبي القاسم في **العقد الفاخر**، انظر القاضي إسماعيل الأكوع، **المدارس الإسلامية في اليمن** (صنعاء، ١٩٨٥)، ص ٢٦٠-٢٦١.

[5] الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، جزء ٢، ص ١٣٦.

[6] الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، جزء ٢، ص ٢٦٠.

[7] لوصف الخزرجي لقصر المعقلي، انظر مقال سميث عن ثعبات.

[8] ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق أيمن فؤاد سيد (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ١٥٩.

[9] ابن فضل الله العمري، **مسالك**، ص ١٥٢.

[10] لقد اندثرت معظم عمائر بني رسول ولم يتبق منها إلا القليل، تم دراستها في:

Noha Sadek. *Patronage and Architecture in Rasulid Yemen, 626-858 AH/1229-1454 AH*. Unpublished Ph.D. thesis, University of Toronto, 1990.

[11] الملك المظفر يوسف بن عمر، **المخترع في فنون من الصنع**. تحقيق محمد عيسى صالحية (الكويت، ١٩٨٩)، ص ٨٦-٨٧.